ديوان
حافظ إبراهيم

الجزء الأول

أحمد أمين
أستاذ باللغة العربية
بالجامعة المصرية

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

إبراهيم الإبياري
مدرس
بالمدارس الأميرية

ويشمل:
المدائح والتهاني، الأهاجي، الإخوانيات، الوصف، الخمريات، الغزل، الاجتماعيات

الكتاب: ديوان حافظ ابراهيم (الجزء الأول)

ضبط وتصحيح: أحمد أمين – أحمد الزيني – ابراهيم الإبياري

الطبعة: 2018

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

ابراهيم، حافظ

ديوان حافظ ابراهيم (الجزء الأول)/ ضبط وتصحيح: أحمد أمين أحمد الزيني – ابراهيم الإبياري – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

376 ص، 18 سم.

الترقيم الدولى: 2 – 667 – 446– 977– 978

أ – العنوان رقم الإيداع : 4166

ديوان حافظ إبراهيم

(الجزء الأول)

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوان حافظ إبراهيم

للأستاذ أحمد أمين

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(1) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده، ولم يعرفه حافظ نفسه، كما أقر بذلك. وقد عرض على القومسيون الطبي عندما أريد تعيينه في دار الكتب، فقدر سنه تسعاً وثلاثين سنة. وكان الكشف الطبي عليه يوم 4 فبراير سنة 1911، برئاسة الدكتور بتسي؛ وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه من قال: إنه ولد يوم 4 فبراير سنة 1872م وهو سبب واهٍ كما ترى.

(2) كتب حافظ بخطه ما يأتي: "ولدت في ذهبية (أي حرافة) بالنيل، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد".

(3) كتب إلى (ديروط) للبحث في الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ، فأجابت بأنها بحثت من سنة 1870 إلى سنة 1880 فلم تعثر عليه في دفاترها.

(4) كتب حافظ بخطه أن "أباه اسمه ابراهيم فهمي، وأمه الست هانم كريمة أحمد البورصة لي بك".

(5) الدبلومات والشهادات الحاصل عليها: "عريضة ملازم أول".

(6) وظائفه:

في وزارة الحربية:

ملازم ثان.... من 1891/2/13 إلى 1893/2/13.

ملازم أول.... من 1893/8/1 إلى 1894/5/6.

في وزارة الداخلية:

معاون مركز بني سويف.... من 1895/5/7 إلى 1895/3/23.

معاون بوليس مركز الإبراهيمية.... من 1895/3/24 إلى 1895/10/15.

في وزارة الحربية ثانية:

أحيل للاستيداع.... من 1895/10/16 إلى 1896/3/17.

ملازم أول بإدارة التعيينات.... من 1896/3/8 إلى 1900/5/2.

أحيل للاستيداع.... من 1900/5/3 إلى 1900/10/31.

أحيل على المعاش....1903/11/1.

(7) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه، فقد كتب تظلماً قال فيه "إنه مكث بخدمة الجيش 12 سنة، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول. ومضى عليه أربع سنوات وهو في الاستيداع، وأنه فقد الأقدمية، ويتلمس إحالته على المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بنفقته ونفقة عائلته الكبية التي لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها". "وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه".

(8) كان مرتبه في الاستيداع 4 جنيهات.

(9) في أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر إلى السودان، وقد أمضى فيه 15 يوما – 9 أشهر في سواكن، يوم – 2 شهر في وطوكر، يوم – 10 أشهر قبلي حلفا.

(10) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية ما نصه: "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والفايش (اللذين كانوا في عهدته)".

(11) عين رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب في 1911/3/14 تحت الاختبار، بمرتب قدره 30 جنيهاً. وفي 1912/4/1 عين بصفة دائمة. وفي 1916/2/7 عين رئيساً للمغيرين بدار الكتب أيضاً.

(12) كتب وهو في سن الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش، وأن يعطى خمسين جنيهاً شهرياً، لأنه خدم اللغة والأدب مدة طويلة، فلم يجب طلبه.

(13) ظل مرتبه في دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمانين جنيهاً.

(14) أحيل إلى المعاش من دار الكتب في 1932/2/4.

(15) مجموع مدة خدمته في الحكومة: 35 سنة و4أشهر و29 يوماً.

وبيانها كالآتي:

8 يوم – 6 شهر – 14 سنة مدة خدمته في الحربية والداخلية.

21 يوم – 10 شهر – 20 سنة مدة خدمته بدار الكتب.

(16) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية. وفي سنة 1923 طلب إجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من 30 أغسطس.

حياته – حوالي سنة 1872م. كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) في أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم أفندي فهمي أحد المهندسين المشرفين على قنلطر ديروط وزوجته الست هانم.

ففي يوم منها أو قريب منها، ولد لهذه الأسرة في هذه السفينة كولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد، فكان ذلك إرهاصاً لطيافاً، وإيماءً طريفاً، إذ شاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل.

كان أبوه "إبراهيم فهمي" مصرياً صميماً، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصة لي" من أسرة تركية الأصل، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة في الحج، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به.

ومع أن الدم التركي كان يجري في عروقه كالدم المصري، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب، ولم يشد بذكر الأتراك إشادة (شوقي) بهم، لأن ما كان في (شوقي) دم تركي أرستقراطي، وما كان في حافظ دم تركي ديمقراطي؛ ولأن تركية شوقي غذتها بيئة القصور التي ولد ببابها، وعاش في أكنافها، وتنفس في جوها، وتركية حافظ غلبتها الحياة البائسة، وعيشه في أوساط الجماهية، واندماجه في غمار الناس، يعيش عيشتهم، ويحيا حياتهم، فماتت عصبيته التركية إلا نادراً؛ فكان شوقي إذا شعر في الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه، يفخر

بنصرهم، ويتعتز بعزهم، ويراعي العلاقة القوية بين عابدين ويلدز، وبين دينية ووطنية، فهو يفخر بنصرة الترك، لأنها نصرة للإسلام، ويخشى على الخلافة لأن في ضعفها ضعفاً لدينه، وفي النيل منها نيلاً من وطنه.

لم يعش أبو حافظ طويلاً بعد ولادته، ولم يرزق ولداً غيره؛ وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره، فانتقلت به والدته إلى القاهرة، ونزلت عند أخيها، فتولى أمره، وقام بتربيته.

أدخله خاله مدرسة "تسمى المدرسة الخيرية" كان مقرها (القلعة)، وكانت مكتباً تعلم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب.

ثم دخل مدرسة القربية وهي مدرسة ابتدائية يعلم فيها ما يعلم في المكتب على نمط أرقى.

ثم تحول إلى مدرسة المبتديان، ثم صار إلى المدرسة الخيديوية، ولكن لم يطل مقامه فيها، فانتقل مع خاله "محمد أفندي نيازي" إلى طنطا، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها.

وقد تعرف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالباً بالمعهد الأحمدي، وذلك في شعبان سنة 1305 هـ – أبريل سنة 1888م. وسن حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاماً. قال الأستاذ النجار: " عندما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة، رأيت إخواني وأصدقائي يلوذون بفتى غض الإهاب، جديد الشباب، وقد أسرعوا

بتقديمي إليه وتقديمه إلي، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إباهيم" ولم تمر إلا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسي ميلاً إليه بجاذب من الأدب الذي كان نهمة نفسي، حتى آل ذلك إلى غرام بأدبه، وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة، وبديهة مطاوعة، وسرعة خاطر، وحضور نادرة".

"وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معاً، ثم نلبث في سمر ممتع، ومطارحة للشعر، ومذاكرة في نوادر الأدب، وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض، إلى أن يأتي وقت السحور، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر. فنؤديه، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة، ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع، فيذهب كل منها فنؤديه، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة، ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع، فيذهب كل منها إلى بيته (1)".

فهو في سن السادسة عشرة يربي نفسه بالمطالعات، ويحفظ جيد الشعر، ويسمر مع أصدقائه، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه، وكان وحده المعلم والمتعلم.

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة، وحسن ذوقه وجودة حسه؛ فقد رأى طائراً جميلاً هو (اللقلق) أو كما يسمى في مصر "البشروش" في حديقة مدرسة الفرير بطنطا، فكان يفزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته، واستمر على هذا حتى

ضج رجال المدرسة، وأكمنوا له وقبضوا عليه وأسلموه للضبطية، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله(**2**).

طبيعي أن يمل خاله هذه الحال التي عليها ابن اخته، ولو كان أبوه حياً لملها منه، فشاب ليس في مدرسة، وليس له ثروة، ثم لا يتكسب، حالة توجب الملل؛ أشعره خاله بذلك، أو شعر هو به. فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق، فهو يقول:

ثقلت عليك مرؤوتي إني أراها واهية
فافرح فإني ذاهب متوجه في داهية

شعر ساذج في سن الصبا، ولكنه يكن عاطفة قوية حزينة. موقف أليم في بيت خاله يذكره دائماً بيتمه وعدمه، ويصور له دائماً بؤسه وشقاءه؛ وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق، وألم كامن، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور.

(**1**) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو؛ يوليه **1933**

(**2**) المصدر نفسه

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه في هذه الحالة، كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه، ويتبرم بأحداث الزمن. ويتمنى لو يوافيه حمامه؛ فمن ذلك قوله:

عجبت لعمري كيف مد فطالا　　　وما أثرت فيه الهموم زوالا
وللموت، ما لي قد أراه مباعداً　　　وجل مرادي أن أوسد حالا
فللموت خير من حياة أرى بها　　　ذليلاً وكنت السيد المفضالاً

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل، وعضه الفقر، لقد أبى أن يأكل من بيت خاله، فمن أين يأكل؟

كانت أمامه إحدى سبيلين: سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علماً لم يتبع نظاماً، ولم يستند إلى "شهادة" وهي أن يكون معلماً في مكتب أو شبهه. كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره، أو أن يكون محامياً، كلاهما إذ ذاك كان مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط.

ولعل حافظاً رأى أنه طلق اللسان، حسن التأتي إلى ما يريد، مداور محاور، وأن المحاماه تدر على صاحبها إذا نجح ما لا يدر عليه التعليم إذا نجح. ففضل أن يكون محامياً.

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتباً، وينتظر شهرته "فذهب إلى أحد المحامين الشيخ محمد الشيعي المحامي بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه، وكان يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا، ويترافع في القضايا ويكسبها؛ ثم اختلف معه وتركه" وترك له بيتين وهما:

جراب حظي أقد فرغته طمعاً بباب أستاذنا الشيمي ولا عجباً
فعاد لي وهو مملوء فقلت له مما؟ فقال: من الحسرات وا حرباً

ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب محمد أبو شادي بك بطنطا، فمكث عندة مدة كان فيها مغتبطاً كل الاغتباط، وكا أبو شادي بك يرى نفسه قد عثر على كنز ثمين فكانا يتنادران بالأدب، ويتطارحان الشعر.

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهيم أفندي المحامي، فمكث فيه مدة من الزمن يشتغل عنده".

***

لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماه، ولم ينجح فيها؛ ويرجع ذلك – في نظري – إلى أمور: فالمحاماة تتطلب عكوفاً على درس القضايا وكتابة وقائعها، ووضع مذكراتها، وليس "حافظ" بالصبور على ذلك ولكنه لا يجيد البحث والكتابة؛ ثم كان فتى غراً، فهو في السادسة عشرة، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب، ولم تعلمه الأيام، إنما كان همه أن يستعرض ديوان شعر يقع منه على ما يرضي ذوقه، فيرتسم في حافظته؛ أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها، واستخراج الحكم منها، فعمل لم يألفه حافظ، ولم يدرسه، ولم يتذوقه، ثم هو ملول لا يشتغل في مكتب واحد حتى يمله وهي خصلة لا تنجح، كالتاجر يفتح كل يوم دكاناً في مكان ثم يغلقها ليفتح في مكان آخر – وأخيراً – هو متلاف، ينفق كل ما تصل إليه يده، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه.

فشل في المحاماه ففكر فيما يعمل، فهداه تفكيره إلى أن يسافر من طنطا إلى القاهرة، ويدخل المدرسة الحربية.

يبدو هذا التفكير غريباً، فأديب ناشئ، ومحام فاشل، يفكر في أن يكون ضابطاً! لسنا ندري الباعث على هذا التفكير، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربي الشاعر، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك.

وأياً ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغتبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومي يضمن له فيه الرزق، ثم يقول الشعر بعد ذلك، يغني به لنفسه ولإخوانه، وظل في المدرسة إلى أن تخرج سنة **1309** هـ – **1891**م، فيكون عند تخرجه في سن العشرين تقريباً.

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت في عهد الخديوي توفيق باشا عقب الثورة العرابية، وأدخل عليها تعديلات جديدة، وعين لها البكباشي هوليت (**Huleatt**) الإنجليزي قومنداناً، وكان ناظرها اللواء لارمي باشا الفرنسي. وزادوا عدد تلاميذها إلا بضع وتسعين، وكان ذلك سنة **1887**؛ وجعلت الدراسة فيها نوعين: دروساً مشتركة لجميع التلاميذ، ودروساً خاصة للأقسام؛ فالمشتركة هي القوانين، والتعليمات العسكرية، والجغرافيا، واللغة الأجنبية، والطبيعة، والكيمياء، والرسم؛ والخاصة هي الطبوغرافيا، والاستحكامات، والتمرينات في الطوبجية والسواري (والجنباز والشيش). وعين المستر براين الإنجليزي أيضاً في وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة **1889**، وأصدر السردرا أمراً ببيان اختصاص القومندان والمعلم

الأول فكان اختصاص القومندان النظر في كل شيء يتعلق بإدارة المرسة، واختصاص المعلم الأول النظر في البرامج؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسي كل شيء (1).

هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها، وتحد من تعليمها. وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيراً من ناحية معارفه العامة، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعاته الشخصية.

عين في الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى الداخلية ملاحظ بوليس في بني سويف، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة البوليس لم تكن أنشئت بعد فكان يؤخذ للبوليس من الحربية، ثم أعيد للحربية. وسافر منها إلى السودان في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر، وكانت منطقة عمله في السودان الشرقي.

تبرم حافظ من عمله بالسودان، وأكثر من الشكوى إلى أصدقائه، وعاوده داء الملل القديم، ولم يطق جو السودان، ولا جفاء العيشة في السودان، فتحسر على أصدقائه في مصر، وليالي الأنس بها، وجوها البديع، وعيشها الناعم، كما يدل على ذلك شعره في هذه الفترة.

قال في ذلك يصف حاله:

وما أعذرت حتى كان نعلي * دماً ووسادتي وجه التراب

*

وحتى صيرتني الشمس عبداً * صبيغاً بعدما دبغت إهابي
وحتى قلم الإملاق ظفري * وحتى حطم المقدار نابي
متى أنا بالغ يا مصر رضاً أشم بتربها ريح الملاب

(1) انظر الجزء الثاني من حقائق الأحبار لإسماعيل سرهنك باشا.

وزاد حاله سوءاً في السودان كراهية كتشنر له، إذ كان حافظ غير معني بنظام، ولا مراعياً حسن هندام، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان، إذ يقول "وقعت همة النجمين، وقصرت يد الجديدين، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد؛ فلقد نما ضب ضغنه عليّ، وبدرت بوادر السوء منه إليّ، فأصبحت كما سر العدو، وساء الحميم" إلخ.

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه، ويرفع التقارير السيئة عنه، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذمه يحدو بها هو وأصحابه، فمنها قوله فيه:

تراه إذ ينفخ في المزمار تحسبه في رتبة السردار
يجتنب العاقل والنبيها ويعشق الجاهل والسفيها

وأفادته أيام عمله في المحاماة فاستغلها في السودان، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجة، وحسن البيان، فكان كثيراً ما ينيبه الضباط المتهمون في الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية.

حتى إذا جاءت سنة **1899**م حدثت ثورة في السودان، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطاً، كان من بينهم حافظ، فحوكموا وأحليوا إلى الاستيداع.

وقال اللورد كرومر في كتابه "عباس الثاني" عن هذا الحادث ما يأتي:

"عندما شب الحرب جنوبي أفريقيا، عاد كثير – من أفضل الضباط البريطانيين، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السوداني – إلى فرقهم الأصلية في الجيش البريطاني، ونظراً لبعض الملابسات التي لا حاجة بي إلى ذكرها – التي ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخبيرون إلى السفر – حدث استياء في الجيش.

وجاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالعصيان – وقد كثرت الإشاعة بأن الخديوي قد قال أقوالاً تجعل الثائرين يعتقدون أنه راضٍ عنهم عاطف عليهم. على أن الثورة أخمدت بدون إراقة دماء، وحوكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية، وحكم عليهم بالسجن مدداً مختلفة، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها.

ولما حادثت الخديوي في هذه المسألة، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه في الثورة، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته، واقتصرت في حديثي على وصف الخيانة والحادثة العظمى التي ارتكبها بعض جنده نحو سموه، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم، يخاطبهم بكلمات اخترتها وعربتها لهم، فوجد الخديوي نفسه في مأزق حرج، وموقف لا يدري كيف يخرج منه، لأنه إذا رفض يعرض نفسه للشبهة في أنه حرض

على الثورة في جشيه، كما فعل جده من قبل، وإذا قبل يتضح للثائرين أنه لا أمل لهم مبساعدته، وبذلك يفقد كثيراً من احترامه ونفوذه في الجيش، على أنه –كما كنت أتوقع – اختار الأمر الأخير (1).

أثر هذا الحادث كثيراً في نفس حافظ وملأه يأساً وخالط نفسه شيء ليس بقليل من الخوف، فلم يقل في شلك شعراً، أو قاله وكتمه، وزاد في خوفه وياسه، ما صار إليه أمر الثورة، وأمر الأمير.

وخير ما يمثله في هذا الموقف قوله:

إذا نطقت فقاع السجت متكأ   وإن سكت فن النفس لم تطب

ثم التمس إحالته إلى المعاش، فأجيب إلى طلبه، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمله، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملاً فيها، ويظهر أن ذلك كان بإيعاز الخديوي، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم،

(1) كتاب اللورد كرومر "عباس الثاني".

وأنه لا يستطيع توظيفهم في الحكومة، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة، يدل على أن ذلك الذي قدم حافظاً لصاحب الأهرام هو شوقي بك. وصلته بالقصر معروفة. ولكن ذلك لم يتم، ولسنا ندري السبب في ذلك.

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام، وكان قد اتصل به أيام كان في السودان، فلما عاد زاد اتصاله به، وعطف عليه الأستاذ، وأنهله من علمه وفضله، كما غشي مجالس الأدباء والعظماء، يسمع منهم، ويغني لهم بشعره وأدبه، حتى كانت سنة **1911** فساعده المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة **1932**، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحواً من عشرين سنة.

كما أعانه حشمت باشا، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية، فأنعم عليه بها سنة **1912**. ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة.

في سنة **1906** بعد أن عاد حافظ من السودان، تزوج من أسرة يحي عابدين ولم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر، فافترق الزجان، ولم يعقب منها؛ ثم لم يعد بعذ ذلك إلى الزواج.

وتوفيت والدته حول سنة **1908** فظل يعيش مدة في بيت خاله، وبعد أن توفي خاله، كان يعيش مع زوجة خاله نيازي بك الست عائشة هانم؛ فكانت تدرب بيته، وتقوم بأمره، وكانت لم ترزق بأولاد، فكانت تتبنى بنتين وظلت تقوم بشؤونه إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين.

وفي بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة، توفي حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس **21** يولية سنة **1932**، أي بعد إحالته إلى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف.

دعا في ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب. فاقتصر على أن آنسهما بحديثه.

وبعد انصرافهما زاد ألمه، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب، فلما حضرا، كان حافظ في النزع الأخير، وما لبث أن فاضت روحه، رحمه الله.

أخلاقه

انتاب حافظاً كثير من الشدائد منذ حداثته، فقد مات والده صغيراً، ولم يورثه ثروة. وكان بائساً في بيت خاله، ولم ينجح في المحاماة؛ وأصيب في منصبه فاحيل إلى الاستيداع، ثم إلى المعاش في مقتبل عمره، زكانت له إلى هذا نفس شاعرة، وحس مرهف، فأثر كل ذلك في نفسه أثراً بليغاً، فهو ناقم على الدهر، ناقم على قومه، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس.

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لتوازن نفسه منفذاً، ولشقائه مسعداً، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة، والنادرة المستلمحة، فضحك من البؤس، ومن الشقاء، ومن كل شيء؛ وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله، فما يسمع حديثاً، أو يعرض أمامه شيء،

حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم، وقرارات قلوبهم؛ فكان في مجالسه موضع إعجابهم، ومنبع سرورهم، يرسل النكتة من بديهة حاضرة، فتستخف الوقور، وتستهوي الرزين، فهو زينة المجلس، وبهجة النادي.

ومن العجيب مع هذا أنك قلماً ترى للنوادر والنكات في شعره مجالاً، فمن قرأ شعره وحده، ولم يعرف شيئاً من صفاته، لا يشعر بأنه كان فكهاً مراحاً، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون لهم شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره، انصب في قالب خاص وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيراً من فكاهته في شعره، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير. وسبب لآخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقي إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قل أن يدخلوا – حتى الآن – فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة ونحوها، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتماماً إلا في الأيام الأخيرة؛ فكان حافظ إذا قال شعراً في فكاهة أو مزح، عده من سقط متاعه، ولم ينظر إليه عندما يتخير شعره للنشر أو التدوين.

ثم قد تعود في حياته ألا يقيم للمال وزناً، فهو كريم، وساع العطاء، ذاق طعم البؤس فعرف موقعه من الناس، فسخت كفه، ونديت راحته،

حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها في يوم واحد؛ قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده وهو أحوج ما يكون إليه لسد رمقه وتفريج همه.

وكما كان كريماً على الناس فهو كريم على نفسه، يمتعها بما تشتهي ما وجد إلى ذلك سبيلاً، يأكل خير ما يؤكل، وقد عرف إخوانه بيته بذلك، ويدخن خير "سيجار" وأغلاه، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه، فإذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر؛ له يد صناع في الكسب، خرقاء في الإنفاق؛ خير أيامه وهو "موظف" بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء، فإذا لم يكن "موظفاً" فخير أيامه ما استفاد فيها مالاً فحسب، لو كان تاجراً لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق. ومن طريف ملاحظاته في ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطي موظفها أكبر مرتب أول استخدامه، ثم تنقصه شيئاً فشيئاً كلما تقدمت به السن؛ لا أن تعطيه مرتباً يزيد مع القدم؛ وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه، وهذا هو زمن الإنفاق، فإذا خرم ثم شاخ فيكفيه القليل، وحسبه من غنى شبع وري.

ومع هذا فلم يكن سخياً بمنصبه سخاءه بماله، فهو حريص على بقائه في عمله بدار الكتب أشد الحرص، ضنين به أشد الضن؛ فهو لا يقول شعرا يغضب به أحداً من ذوي السلطان خشية أن يزحزحوه عن منصبه، أو ينالوه بأذى فيه؛ وإن قال شعرا سياسياً أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه، فقد قال قصيدته في مظاهرة السيدات سنة **1919**، ولكنها

انتشرت في منشور من غير اسمه، ولم تنشر في الصحف إلا سنة **1929** حين أمن عاقبة نشرها؛ وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب، لم تنشر إلا سنة **1932**، وهكذا؛ وما قاله من الشعر السياسي في ذلك العصر – صراحة – هادئ لين، أو في ظروف تحميه، بل قد قال في ذلك العهد أحياناً ما يخالف منهجه، ولا يجري مع ما عرف من حماسته، كقوله للمغفور له السلطان حسين يطلب إليه أن يوالي الإنجليز ويمادهم حبال الود.

ووال القوم إنهم كرام ... ميامين النقيبة أين حلوا
وليس كقومهم في الغرب قوم ... من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
وإن شاورتم والأمر جد ... ظفرت لهم برأيٍ لا يزل
فماددهم حبال الود وانهض ... بنا للخير فقيادنا للخير سهل

ومن ثم كانت هذه الفترة في حياته – وما أطولها – فترة نضوب في شعره، وجموده في قريحته إلا نادراً؛ فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنه، ومنفعة له، ومضرة على الناس – ولعل أيام بؤسه الأولى روعته وأفزعته حتى قامت شبحاً دائماً أمام عينه تنذره بالويل والثبور وعظائم الأمور، إن هو أصيب في منصبه أو مس في مرتبه.

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحالته إلى المعاش، إذ ألف حب الأمن واعتاده، وعقد عليه، حتى لقد أنشدني قبيل وفاته قصيدته التي مطلعها:

قد مر عام يا سعاد وعام وابن الكنانة في حماه يضام

وكانت نحو مائتي بيت، يصف فيها وزارة إسماعيل صدقي باشا فأشرت عليه أن ينشر بعضها، أو يكتبها، أو يمليها، أو يحتفظ بها بأي شكل من الأشكال فقال: "إني أخاف السجن ولست أحتمله".

ثم هو وساع الصدر في نقدك شعره، إذا كنت وهو على انفراد، فإذا نشرت نقدك في صحيفة أو على ملأ من الناس، فهو غضوب أشد الغضب، ناقم أشد النقمة، حريص على منزلته في فنه أكثر من حرصه على شخصه، حتى لأحب إليه أن تهجوه من أن تهجو شعره.

وثقافته الرسمية – إن جاز التعبير – ثقافة محدودة، فهي لا تعدو دراسته في مكتب أو مدرسة ابتدائية، ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الحربية.

ولكنه أكمل ثقافته، ووسع معارفه من نواح متعددة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب، وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني؛ فقد حدث أنه قرأه مرات.

وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والشريف الرضي، وابن هانئ الأندلسي، وابن المعتز والعباس بن الأحنف، وأبي العلاء المعري. يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر، فإذا جلست إليه

أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك، حتى لقد خيل إلي أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر، وروح العصر – وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه، وتلبي اختياره، فما يختار جيداً من القول حتى يرتسم في حافظته، ويبقى في ذاكرته، ثم يتجلى ذلك في شعره – لكنه – مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة، ولم يقرأ بقراءة مستفيضة في عمق، ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة؛ بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة، وترتشف من هذه رشفة، ومن تلك رشفة، فهو يرضي ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة؛ فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه في نفسه.

وقد عاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة، أنه كان ملول الطبع، كما يدل عليه تاريخ حياته؛ عمل بالمحاماة فلم تعجبه، واشتغل في البوليس فمله، وفي الجيش فسئمه، ولولا أنه كان حراً طليقاً – إلى حد كبير – في دار الكتب لملها ايضاً. ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعني أن يكون في بيته دوارة وقلم، أو مكتبة منظمة. كان لديه كتب تبعثر، فيأتي، زائر ويأخذ جزءاً من الأغاني، وجزءاً من غيره، حتى أنه لما مات – رحمه الله – لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود؛ وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين، فأما الأول فلأنه كان في سنينه الأخيرة دائم الشكوى من المرض، كثير التوهم بالعلل؛ فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء؛ وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد في

الرؤى وأثرها في حياة الإنسان؛ وكان يرجع إليه في التنادر على بعض الأصدقاء، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا، في مسجد وصيف، وكان حافظ وصحبه يتنادون عاى صديق من الأضياف، كان يعتقد في الأحلام وصحتها؛ ويتفاءل بها في آماله في منصب كبير، أو مطلب خطير.

وشيء آخر يعد مصدراً كبيراً من مصادر ثقافته، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة، فقد اتصل بالأستاذ محمد عبده، وعد نفسه فتاه، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس، ويجلس في مجالسه، وقد يصحبه في أسفاره؛ ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول، وقاسم أمين، ومصطفى كامل، ونحوهم؛ وكانت مجالسهم مدارس من أرقر المدارس، تطرح فيها المسائل العلمية، والمعضلات السياسية، والمشكلات الاجتماعية، وتعرض فيها الحلول المختلفة، وتبسط فيها أدواء الأمم، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده، وسعد، ومصطفى كامل، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكار التي صاغها في شعره.

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمنتديات أمثال: خليل مطران والبشري، وإمام العبد؛ وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة، والنادرة الطريفة، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه، فكان كل منهم مفيداً مستفيداً عارضاً سامعاً.

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية، فمكنته من الاطلاع على شيء من آدابها، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو، وترجم بعض قطع لجان جاك روسو، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد"، وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الإنجليزي، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير، ولكنه على كل حال، لم ينل حظاً وافراً من الأدب الغربي، ولم يكن أثر ذلك كبيراً في شعره، إنما شعره – على الأكثر – نتاج الأدب العربي، والثقافة العربية، والتجارب الشخصية.

وأخيراً – وإن شئت أولاً – كان من مصدر ثقافته، تجاربه الواسعه، فقد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر، ومطارحتهم النكات والنوادر، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم، ويسمعون لأدبه، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم، ويلتهب حماسة من حماستهم، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم.

شعره

منح حافظ عاطفة قوية/ ونفساً فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها، وإلا فما الذي جعله وسط صليل السيوف والتدريب العسكري، وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويتخيره ويحفظه، ثم يحاول أن يقلده، وينظم على غراره؛ وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا، فقد تخرج في الدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وترقى في رتب الجيش، وخاض معاً مع القتال، وكان

رب القلم، كما كان رب السيف، وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته.

فاتخذه حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه، ويختط نهجه، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه، فيكون ذا الآستين، وحامل اللواء، وقد عبر عن تقديره له للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه:

أمير القوافي إن لي مستهامة بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعرني لمدحيك اليراع الذي به تخط وأقرضني القريض المسددا
ومر كل معنى فارس بطاعتي وكل نفور منه أن يتوددا
وهبني من أنوار علمك لمعة علي ضوئها أسرى وأقفو من أهتدي
وأربو على ذاك الفخور بقوله إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب، فكأنه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله، ويحدد مستقبله؛ وقد قلد البارودي أيضاً في ناحيتيه الأدبيتين، فقد عني البارودي بالتخير من شعر الفحول، فاختار لثلاثين شاعراً من الشعراء المولدين، ثم أنشأ شعره، وجود نظمه، وكذلك فعل حافظ، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم. ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشر له بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره.

ولكن شاء الحافظ أن يقارب شأو البارودي في دولة الفلم لا في دولة السيف، فانتهى – على عجل – تاريخ حافظ الحربي بإحالته في شبابه إلى المعاش، واستمر – طول حياته – تاريخه الأدبي، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه، ولم يدرك من البارودي إلا إحدى دولتيه.

وكان حرياً بحافظ أن يدرك أن ما ناله البارودي في عهد الاستقلال، لا يمكن أن يناله حافظ في عهد الاحتلال، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ العظمة في الحروب، ومبلغ العظمة في الآداب، والاحتلال هو الذي الذي حطم سيف البارودي، بل وحطم قلمه القوي، وقدم له قلماً آخر يشكو به الدهر، ويبكي على زمانه الغابر؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة، والشباب يهزأ بكل قوة.

على أنه يخيل لي أن حافظاً لم يخلق رجل قتال؛ نعم كان منظره رجل حرب، فهو مستحكم الخلقة، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين، ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه، لقد ظل وهو في السودان يشكو في شعره حره، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها:

فمن لي أن أرى تلك المغاني ... وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا ... وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلي ... ولي حال أرق من السديم

وهكذا ظل في السودان يبكي ويتوجع ويتشوق، ويشتغيث بالأستاذ الإمام المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر "رد الشمس قطرة المزن إلى اصلها،

ورد الوفي الأمانات إلى أهلها". وليست هذه بالنفس الحربية؛ ثم لما ثار الضباط في السودان وهو منهم، وطردوا وعادوا إلى مصر، وأحيلوا إلى المعاش، لم ينطق بشكوى، ولم يعثر على من ظلمه، ولم يهج من نكبه؛ ولكنه سكت واستسلم، وأخذ يسعى إلى وظيفة في القصر، أو أن يكون شاعراص لخليفة أو أمير.

ولما عين في دار الكتب سكت وأمعن في السكوت، إلا ما كان يقوله في المواسم والحفلات، أو ما تدعو إليه المناسبات.

كل هذا يرينا أنه كان مغالياً في أمله – إن كان – أن يجمع في يده بين السيف والقلم.

ولكن إن أخفق حافظ في حربه فقد نجح في شعره، بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها، من مدح للخديوي والأغنياء، ومداعبة الإخوان، والشكوى إليهم، ونحو ذلك؛ وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديداً أو خيالا رائعاً، وإنما هو أسلوب من سبقه من حيث معانيهم وأغراضهم. ومع هذا فكان يرى في نفسه أنه في هذا العهد أكبر شاعر في مصر لا يفضله إلا شوقي؛ فيقول قصيدته التي قالها سنة **1901**:

قل للألى جعلوا للشعر جائزة	فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إني فتحت لها صدراً تليق به	إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني	

ذاك الذي حكمت فيها يراعته　　　إلا فتى ما له في السبق إلاه
وأكرم الله والعباس مثواه

وكان في عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودي، وإسماعيل صبري، ولكن يحق له هذا القول، لأن حظ مصر في هذا العصر من الشعر؛ بل من الأدب عامة، كان حظاً ضعيفاً، فلم ير حافظ له نداً غير شوقي، لأن البارودي على إجادته وفتحه للناس باب الشعر الحي القوي بعد أن أغلق طويلاً، كان أخريات أيامه، وقد برحت به الحوادث، ودلف إلى القبر، إذ أدركته وفاته سنة **1904**.

وإسماعيل صبير باشا كان أشعر من حافظ في ناحية خاصة، وهي مقطوعاته الصغيرة يعبر بها عن معان دقيقة، وعن شعور نفسي عميق – ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقي وحاول أن يحترفه حافظ – وكان منصبه الحكومي يسمو به عن ذلك.

لهذا جهو حافظ بأنه خير شاعر في مصر إذا استثنى شوقي، ولعله كان يرى في أعماق نفسه أن "شوقي" لم يفضله بشاعريته، وإنما فضله بقربه إلى القصر وانه شاعر الأمير، ولولا لما فضله، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفي في هذه القصيدة نفسها، إذ يقول:

ذاك الذي حمكت فينا يراعته　　　وأكرم الله والعباس مثواه

قامت بعد ذلك حركة في مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأي، تعيب على الشعراء الشعر التقليدي في أسلوبه

وفي أغراضه، وفي أوزانه وقوافيه، وتنقد شوقي وحافظاً مر النقد، لأنهما قديمان في أفكارهما، مقلدان في أغراضهما، محافظان في أوزانها.

وكان من آثار هذه الحركة في حافظ أن ثار هو أيضاً على الشعر القديم، فقال قصيدته المشهورة في الشعر، التي مطلعها:

ضعت بين النهى وبين الخيال   يا حكيم النفوس يابن المعالي

عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم في الكاس والطاس، والمدح والهجاء والرثاء، وحب سلمى ولسلى، ومكان الآثار والأطلال، والرحال والجمال، ثم يقول:

آن يا شعر أن نفك قيوداً   قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا   ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم. فهل جدد حافظ بعد في شعره؟ لم يجدد في بحوره وأوزانه. ولم يجدد في أسلوبه وبيانه، ولا تفكيره وخياله، إنما جدد في شيء هو فوق ذلك كله، جدد في موضوعه وأعراضه، فبدلاً من أن ينظم موضوعات امرىء القيس وطرفة، أو جرير والفرزدق، أو بشار وأبي نواس، نظم في موضوعات عصره وأماني قومه.

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية، فإن شل في حرب السيف فليحارب بالقلم، وإن تكسر سن رمحه فليشرع سن قلمه، وإن أخطأ

النجاح في ثورة الضباط في السودان، فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال.

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولاً، وآمال الشعب العربي ثانياً.

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق، وتشكو من الاحتلال، وتشكو من تضييق الغرب على الشرق، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته، ويشعلون غيرته، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه؛ – وكان حافظ – بما له حس مرهف، وعاطفة حساسة – يجمع كا ذلك في نفسه، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه، بنى على أنقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات؛ وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية، والخطباء الوطنيين، وقادة الرأي الاجتماعيين؛ يغشى مجالس كل هؤلاء، ويتشرب من أرواحهم، ويستمد من وحيهم ويغذي عواطفه، ثم يخرج ذلك كله شعراً قوياً ملتهباً، يفعل في النفوس – وذلك شان الشعر الحي – ما لا تفعله الخطب والمقالات؛ فكان حافظ – حقاً – شاعر الوطنية، وشاعر الشعب، وشاعر السياسة والاجتماع، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره.

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة، فتارة يقرع الأمة تقريعاً جارحاً مؤلماً على استنامتها وإخلادها إلى السكون، واستسلامها للأجانب.

أمة قد فتت في ساعدها ... بغضها الأهل وحب الغربا

تعشق الألقاب في غير العلا وتفدي بالنفوس الرتبا
وهي والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالي لعب القوم بها أم بها صرف الليالي لعبا

ويقول:

فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب

***

وكم ذا بمصر من المضحكات كما قال فيها أبو الطيب
أمور تمر وعيش يمر ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفر من الصالحات فرار السليم من الأجرب

ويقول:

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم هي أمة تلهو شعب يلعب

ونحو ذلك كثير في ديوانه.

وتبدأ معركة الأمة بحركة، وتقف موقفاً مشرفاً يوماً؛ فيحيي أمله، ويبشر بعد أن كان ينذر، ويعاوده الأمل بعد اليأس؛ والرجاء بعد الخيبة، فيقول مخاطباً سعداً:

فاوض فخلفك أمة قد أقسمت ألا تنام وفي البلاد دخيل

عزل ولكن في البلاد ضراغم　　　لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

ويقول:

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا　　　سنريه كيف يصيده زغلول

ويقول:

أفقنا بعد نوم فوق نوم　　　على نوم كأصحاب الرقيم

إلى كثير من أمثال ذلك.

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم، اضطراب الأمة بين اليقظة والنوم، والعمل والتواكل، والإصابة والخطأ، فهو صدى لها في حركاتها، وهو المدرس الحكيم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يةمه.

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم، نظم في موضوعاته، لكنه حتى في هذه لا ينسى مقامه، ولا يجهل رسالته ولا يفوته غرضه، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد، وتحية المليك، ورثاء الفقيد، وتهاني العيد، ليبث في ذلك كله عاطفته الوطنية ونظراته الأخلاقية، وليبشر وينذر، ويرغب ويرهب؛ فهو مجدد من هذه الناحية في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة، حتى في وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذي ملك عليه قلبه، ولا يحاول أن يجعله أدباً صرفاً، فهو يشبه طول الليل بعد الاحتلال، إلى كثير من أمثال ذلك.

ويتغزل في هذا الطور من الحياة، ولكن لا في جارية ولا في غلام، ويتغى ولكن لا في كأس ولا مدام، إنما يتغزل في مصر، ويتغنى بمصر؛ ويأرق في حب مصر:

وما أنا والغرام وشاب رأسه	وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرقت لغير مصر	تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال	وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما با فيها	وباتت مصر فيه فهل ألام

لم يشأن حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلاً أجوف، يقول القول عاماً لا يستند إلى مادة من حقائق، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساسا لدعوته، وسناداً لهجمته.

فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعاً لشعره، ويملؤه بما يجيش في صدره.

تقوم حركة الجامعة، ويحتدم الجدال بين أنصار الكتاتيب وأنصار الجامعة، فيناصر الحركة الوطنية، ويدعو إلى التبرع للجامعة، ويبين مزاياها، ويكتتب هو بالشعر –كما يقول – ليكتتب قومه بالمال.

وتحدث حادثة المؤيد، وينقسم فيها الرأي العام في مصر قسمين: قسم طالب بحرية المرأة في الزواج، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور، وتركهم

جسامها، وتحزبهم فئات: منهم من يلوذ بالأمير، ومن يلوذ بالعميد، ومن يصيح من الصائحين، ثم يلذعهم لذعاً أليماً في حبهم للمجاملة، وتركهم الصراحة، وإلا فما لهم يقترعون صاحب المؤيد على فعلته، والوفود تتوافد على بيته.

وتحدث حادثة دنشواي فيشن الغارة على الإنجليز في تصرفهم، وعلى بعض المصريين في معاونتهم، وعلى المصريين جميعاً في استكانتهم، ويلهب الشعور، ويشعل الحماسة ويستثير الدمع.

ويتحدث الناس في اللغة العربية، وهل هي أداة صالحة للعلوم الحديثة، والأدب الحديث، فيبين محاسنها، ويظهر مزاياها، ويدعو إلى إنهاضها، وينعى على من لم يأخذ بيدها؛ وهكذا شعره في رعاية الأطفال، والجمعية الخيرية الإسلامية، ومساعدة العميان، وما إليها.

كان في شعره سجل الأحداث، إنما يسجلها بدماء قلبه، وأجزاء روحه ويوصغ منها أدباً قيماً يستحث النفوس، ويدفع إلى النهضة، سواء أضحك في شعره أم بكى، وأمل أم يئس.

ولم يتسع أفقه في كثير من الأحيان، فينظر إلى الوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين، وفي الدعوة إلى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء؛ وكم قال في علاقة مصر الآستانة، وتمنى نهضة الخلافة، ورفع لواءها، وعودة مكانتها؛ وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه، فكان شعره مقرباً

للقلوب، داعياً إلى ائتلاف الشعوب، ينتهز لذلك كل فرصة، كافتتاح السكة الحديدية الحجازية، وأعياد الدستور الأمة التركية، وحفلات التكريم التي شترك فيها أدباء الشرق، ونحو ذلك، بل أحياناً يزيد اتساع أفقه، فينظر إلى الإنسانية كلها، كالذي يقوله في زلزال مسينا:

وسلام على امرئ جاد بالدمـ ـع وثنى بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإنسـ ـان لم أدعكم إلى إحسان

مما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال، شعره في الرثاء، فقد أكثر منه، كما في ديوانه، وقد قال في ذلك عن نفسه:

إذا تصفحت ديواني لتقرأني وجدت شعر المرائي نصف ديواني

وقد أجاد فيه كل الإجادة، وأحسن كل الإحسان، وسبب ذلك، أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية، فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر، وعلى العالم الإسلامي، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة، إلى المسائل العامة الاجتماعية، وبذلك يجلس حافظ على عرشه، ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه.

وشيء آخر، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان الحنق عليه، والغيظ منه. فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل، فرماه بالبؤس والفقر، ورمة أمته بالتفرق والتواكل، والاحتلال، ورمى العالم

الإسلامي بالغرب يمتص دمه، ويسومه سوء العذاب، فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى ينغر جرحه وينفجر ألمه.

وثالث، هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت، دعاه ذلك إلى أن ينعي نفسه، ويتألم كثيراً لشيخوخته، ويتوهم المرض في كل عضو من أعضائه، فإذا مات قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك، لأن موته إنذار بموت حافظ، وأشد وقعا على نفسه.

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية، ومن بغضه الدهر وحنقه عليه، ومن إشفاقه على نفسه، رثاء يقطع الأحشاء، ويذيب لفائف القلب؛ ولولا هذه مجتمعة ما بلغ في الرثاء ما بلغ.

قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية، ولم يكن يكون فيها رأياً بعد بحثها وتمحيصها، ودرس حججها، كموقفه في مسألة الزوجية، لقد هرب من إبداء رأيه فيها، ولم يتحيز إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون في حرية المرأة وتقييدها، وحلق في المسائل العامة التي أشرت إليها من قبل؛ وكموقفه إزاء دعوة قاسم أمين، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة، وإن كان قال فيه شعراً، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه، ويظل على هذا حتى في رثائه، فيقول:

إن رأيت رأياً في الحجاب ولم تعصم فتلك مراتب الرسل

الحكم للأيام مرجعه فيما رايت فنم ولا تسل
فإذا أصبت فأنت خير فتى وضع الدواء مواضع العلل
أولا فحسبك ما شرفت به وتركت في دنياك من عمل

فتراه مضطرباً لا يستطيع الجزم برأي؛ أو هو لا يريد، وتراه في بعض المواقف السياسية يكتفي بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما في قصيدته في وداع اللورد كرومر، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين، ثم قال:

فهذا حديث الناس والناس ألسن إذا قال هذا صاح ذاك مفنداً
ولو كنت من أهل السياسة بينهم لسجلت لي رأياً وبلغت مقصداً
ولكنني في معرض القول شاعر أضاف إلى التاريخ قولاً مخلداً

وهرب بذلك من إبداء رأي، وترجيح قول على قول.

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقاً كبيراً، بين الأديب والعالم، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها، وعلاقتها بالأشياء الأخرى، وعلاقتها بالظروف التي تحيط بها، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الإنسان وطبيعته الأخلاقية؛ فالعالم بالنبات مثلاً يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله النباتات الأخرى، ووظيفة كل جزء منه، والتغيرات التي تطرأ عليه كلما نما، حتى يصل به إلى الموت والفناء.

أما الأديب فلا يهمه كل ذلك، إنما النبات في نظره قد خلق لجماله، وليست شجرة الورد في نظره إلا زهرته وأريجها العطر.

فهذه الناحية الخاصة التي يعني بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه في البحث وإمعانه في الدرس، وتخفف حدة نقدنا في أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور.

ومما يتصل بهذا أن حافظاً كان يؤثر في الجمهور بإلقائه بالقدر الذي يؤثر فيهم بنفس شعره، لقد كان في نبرات صوته وحسن إجادته في الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بها بألفاظه ومعانيه، ومن أجل هذا، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره في الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه، فهو بقراءته يفقد جزءاً كبيراً من تأثيره السحري الذي كان يتركه في سامعه. ومن أجل هذا كان يطيل الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقعه في السمع، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس.

وعلى الجملة، كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم؛ فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية؛ ويوصغها القادة وأولو الرأي أفكاراً ينادون بها في مجلس الشورى، أو الجمعية العمومية، أو أحاديث وحكماً وأمثالاً في مجالسهم الخاصة؛ ويوصغها حافظ شعراً قوياً يغذي نفوس الشباب، ويلهب شعور من سمعه.

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين: قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقي، وقسم يتعصب لشوقي ويفضله على حافظ؛ وكنا نلاحظ أن من فضل حافظاً كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه، وغذاء وطنيته، ومن فضل شوقي فضله لفنه وخياله. فشبيبة الوطنية إمامهم حافظ، وشبيبة الفن إمامهم شوقي.

ظل حافظ يغني بشعره التقليدي – أولاً – والجديد – ثانياً – نحو خمسة عشر عاماً تنتهي سنة **1911**، لما عرضت عليه "وظيفة" دار الكتب.

وطبيعي أن "الوظيفة" الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسي والاجتماعي فهو يدعو المصريين إلى الثورة، والإنجليز إلى الجلاء، وحرام على الموظف وقتذاك أم يتكلم في السياسة، وأن يتصل بالجرائد، فكيف يسمح بالشعر السياسي عامة، ولشعر حافظ خاصة.

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته في هذا الباب، وقد بر بوعده، ووفي بشرطه غالباً؛ فلم يقل من الشعر إلا قليلاً، وفي مناسبات ملحة، وبتحفظ تام وحذر شديد، أو أن تحميه الظروف.

عيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة، ولكن لماذا تعيره وحده بالوظيفة ولا نعير من ألجأه، لماذا نطلب منه التضحية بقوته، ونؤنبه على سكوته، ولا نؤنب الأمة وقتذاك تعجب به، ثم يتبخر هذا الإعجاب، ولا

يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به – الحق أن الأمة في تاريخها الماضي أبدت جموداً عجيباً وشحاً أليماً في حافظ وأمثاله؛ تصفق لهم طويلاً وتتركهم يألمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، وتعيبهم إذا ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها، وتنعم وتغرق في الترف، وتدعو المغني أن يغني لها، ثم تضن عليه بأجره، فإذا طالبها به غضبت منه.

إذاً – فليس من العدل أن نسرف في نقده على صمته، ونعيبه بكسر عوده وفيتارته، فلم يفعل غير ما فعله من قلبه:

غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

إنما يصح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر، وهو حافظاً لم يكن يستطيع – حقاً – وقد قبل المنصب في دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات، ولكن لماذا سكت عن فنون الشعر الأخرى، والمجال أمامه فسيح؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعاً، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر القصص، وهناك شعر الوصف، وغيره من أنواع الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول في كل ذلك، أو في شيء من ذلك، وفي شوقي المثل لهذا، فقد كان مقيداً في القصر بأشد من قيود دار الكتب، ومع هذا ظل يقول في فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر.

ولكن ما ذنب حافظ، ونبوغه إنما كان في ثورته، وإجادته في فورته، وطبيعته وتعليمه ودربته تدعو إلى النوبغ في سياساته واجتماعياته، لا في

غزله وخمرياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود، وليس ملك القانون، أو ملك الكمان، وليس الناي، فملك في إحداها خير عندي من سوقة في جميعها.

وبعد، فما منزلة شعر حافظ في الشعر، وما قيمته الأدبية؟

الشعر الجيد – في نظري – فيضان من شعور قوي، سما به الخيال، وحلاه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان. فهو لابد أن تتجمع فيه – ككل نوع من الأدب – عاطفة وخيال، وصياغة وجمال؛ ويمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشعار ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغ ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر، وأفعل في نفس السامع؛ ثم هو يضعها بعد في أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية، والأساليب الأدبية، يرى أنها تؤدي غرضه، وتخدم مأربه؛ كما يمتاز بما له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان، ولهذه الأوزان فعل النفوس كفل " رنات المثالث والمثاني"، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه، من رقة ولين في شعر الغزل، وقوة وجلبة في شعر الحماسة. والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر في النفس ما ليس لقافية أخرى، وهكذا.

وأخيراً حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر! فلا بد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، ومقارنة صورة بصورة، ومنظر بمنظر، حتى يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويفعل في النفوس فعل السحر.

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة، قوة العاطفة، وحسن الصياغة، وجمال الموسيقى. وأعوذه أمر منها وهو قوة الخيال.

فأما عاطفته فقوية فياضة، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ، فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه، وهاجت مشاعره؛ وعواطفه صحيحة لا مريضة، والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى؛ فحافظ يريد منا أن نتبوأ مقعدنا بين الأمم، وأن يرفع عنا نير الاحتلال، وأن يعادل الشرق الغرب، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيراً مما هي، فلا تواكل ولا استنامة ولا خنوع. ويريد منا أن تكون لغتنا حية قوية؛ وأن تجد في الحياة حتى ننعم بطيباتها، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح، فهو يمتلئ شعوراً بذلك، ثم يصوغه شعراً يسير فينا سير العافية؛ وأجمل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المديح؛ فإن العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية؛ والأدب الذي ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها، خير من الذي ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها. كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل، أو هياماً في حب، فإن هذا النوع قد كثر حتى مل، وهو في كثير من الأحيان أجوف؛ وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص.

فمزية عاطفة (حافظ) في شعره عمومها وقوتها، وإنشئت فقل: وجدتها؛ فلم نعرف شاعراً عربياً قبله، ولا معاصراً له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضته.

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع –كما أشرنا إلى ذلك قبل – فلا تجد كثياً من شعره في جمال الطبيعة، بل لا تجد شعره فيها حياً قوياً، كما ترى في قصيدته في الشمس.

وسبب ذلك – على ما يظهر – أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي. كان مظهره الخارجي ضحوكاً مرحاً، لا يراه الرائي حتى يضحك من ضحكه ولا يكون في مجلس حتى يملأه سروراً وضحكاً، ولكنه في أعماق نفسه حزين، كالشمعة تضيء وهي تحترق، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات.

وهذا ما يعلل أيضاً ضعف الفكاهة في شعره، وقوتها في مجلسه؛ وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو.

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة، ويحمل على الإجادة فيها، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق، ونحو ذلك.

ومن أجل هذا أيضاً أجاد حافظ في أحد وجهي الوطنية، أكثر مما أجاد في وجهها الآخر، ذلك أن الشعر في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم، والتأميل وعدمه، والترغيب

والترهيب، والمدح للتشجيع، والذم للتقريع، فأجاد حافظ في التشاؤم وفي الترهيب وفي التقريع أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع. لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه. فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة؛ فأما فرح بالطبيعة، وهو قليل بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له مجال في شعره.

هذه العاطفة القوية التي شرحنا، بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه، فكانت صيغتها قوية، وموسيقاها قوية. يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه، وأنسبه لمعناه، ويعرض للمترادفات، يقلبها حتى يختار خيرها، وينثر كنانته ليتخير أشدها عوداً، واصلبها مكسراً؛ ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب. وكان "حافظ" يسمى هذه "العملية" كلها التذوق، ويمدح بعض الشعراء بأنه "ذواق" يريد بذلك أن من له ذوقاً مرهفاً في اختيار اللفظ واختيار الأسلوب. وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق، وإنما الإجادة في الصياغة. وهو يستعين على ذلك بالموسيقى، موسيقى اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وموسيقى الأوزان والقوافي.

قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقع على آذان الناس، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعي موسيقى الطول والقصر، وموسيقى

الفخامة والرقة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فيوفق في ذلك توفيقاً كبيراً.

أما الخيال، فكان مع الأسف – خيالاً قريباً – قال حظه من الابتكار، وقلل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر؛ وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً عاماً يجذب النفوس إليه.

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة، ولكنها رجت قصة عرجاء، تتخلج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قريبة المنال، مضحكة التصوير – إن شئت فاقرأ قصته في مدح البارودي التي مطلعها. تعمدت قتلى في الهولا وتعمداً. إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية، فيقلد عمر بن أبي ربيعة في رأيته المشهورة، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتي خياله بجديد، أو فاقرأ قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت، التي مطلعها:

ليلاي ما أنا حي	يرجى ولا أنا ميت
تر خيالاً ساذجاً	وتصويراً مهلهلاً

ولكن من ذا الذي حاز الكمال أجمع، ومن ذا الذي بلغ شأو الفن في جميع عناصره، حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات، ثم يستطيع أن يعوض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن؛ لئن نقص حافظ في الخيال فقد عطى عيبه شيوع الجمال في سائر نواحيه، وكفاه ذلك موهبة.

وقد رأى حضرة صاحب المعالي علي زكي العرابي باشا، وزير المعارف العمومية، حباً منه في الأدب، وتقديراً لحق الوطن، أن يجمع شعر حافظ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف.

وكان من حظي أن ندبني معاليه للقيام بهذا العمل، فتفضل وطلب إلي جمع شعره وضبط شرحه، وتبويبه وتقديمه، فاغتبطت للمساهمة في هذا العمل الجليل، لأن حافظاَ شاعر كبير، ومن واجبه الأدبي أن نخلد شعره، ونحفظ له ذكره؛ وهو شاعر الوطنية في عصرنا، غذى شعره الشعور الوطني، وألهبه غيرة وحماسة، وكان داعياً للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا.

فكان واجباً – وقد بدأنا – نجني ثمار جهادناً، أن نؤرخ قادة حركتنا، – وأول واجب نفعله في تاريخ شاعر أن نجمع شعره، ونعني بنشره، ونأذ في درسه.

ومن حسن الطالع أن يكون صدور ديوانه، معاصراً لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية، وسهروا عليها، وضحكوا في سبيلها، ولم يدركهم في ذلك سأم ولا ملل، ولم يفت في ساعدهم تعذيب ولا اضطهاد، حتى تمت المعاهدة، وبدأنا ننعم بالاستقلال، نحمل عبئناً على ظهورنا، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا.

فإخراج ديوان حافظ أمانة في عنقنا نؤديها، وواجب ننهض به.

وكان من حظي أيضاً أن شاركني في هذا العمل الأستاذان: (أحمد الزين)، (وإبراهيم الإبياري)؛ فقد لقيا من العناء في الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم. وكان لهما من العمل وبذل الجهد في ذلك فوق مالي. وإليهما يرجع أكثر الفضل في إخراج الديوان على هذا الوضع.

كان حافظ رحمه الله غير منظم في عمله، ولا حريص على تدوين شعره، فيكتبه في ورقة حيثما اتفق، ويلقيها أيضاً حيثما اتفق، فضاع كثير منه، ولولا فضل الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به، لما بقي من شعره إلا القليل.

وقد جمع في حياته بعضاً منه، معتمداً على ما نشر في الصحف والمجلات، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء، ولكن وقفل في ذلك عند أجزاء ثلاثة صغار؛ نشر الجزء الول منها سن **1319** هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك، وقد استفدنا منها؛ ونشر الثاني سنة **1325** هـ **1907**م، والثالث سنة **1329** هـ **1911**م؛ فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع في حياته.

فلما توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنتشر في ديوانه، ونشرها بدمشق سنة **1351**، كذلك فعل شوقي وجمع ما نشر في رثائهما، وبعض ما كتب عنهما، وسمي كتابه "ذكرى شاعرين".

ثم نشرت مكتبة الهلال في مصر سنة **1353** ديوانه مجموعاً فيه ما نشر من قبل في الأجزاء الثلاثة، وما نشره السيد أحمد عبيد "في ذكرى الشاعرين".

ولكن ما ورد في ذلك كله ليس وافياً ولا مستقصياً، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عدداً عدداً، من يوم أن نشر له شعر، إلى يوم وفاته؛ ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره، فتمت لنا بذلك مجموعة هي أقصى ما وصل إليه جهدنا.

ثم رتبناها حسب الموضوعات، فذكرنا كل ما قاله في المديح، ثم ما قاله في الهجاء.... إلخ. وفي كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه، رأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة، وأدل على مناحي الشاعر. ووضعنا فهرساً مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء في آخر الديوان، ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها.

وقد ضبطناه ضبطاً كاملاً لتسهل قراءته على الناشئ، وشرحناه نوعين من الشرح: شرحاً بذكر ظروف القصيدة وملابساتها وتاريخ نشرها أو قولها، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشاراتها وجوها، إذ في ذلك أكبر إعانة على فهمها وتقديرها؛ وشرحاً لغوياً لمفرداتها وأساليبها؛ وبيان المراد من عباراتها، وذكر الحوادث التاريخية التي أشار إليها في أبياتها، وقد نكون بالغنا بعض الشيء في كثرة الشرح والضبط، وعذرنا أننا راعينا نابتة

الأدب، وناشئة الشعر، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتهين؛ وقدرنا أن الديوان ستتناوله أيدي الطلبة في المدارس الثانوية ومن في مستواهم، فقصدناهمبالشرح، ونظرنا إليهم في البسط. ونرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما ندبنا له وأدينا شيئاً من واجب الأمة والوزير والشاعر، والله الموفق.

17 فبراير 1937

أحمد أمين

الجزء الأول

المحتـــــــــويات

المدائح والتهاني

تهنئة عبد الحليم عاصم باشا بإسناد إمارة الحج إليه

(سنة 1313هـ)

حال بين الجفن والوسن ... حائل لو شئت لم يكن ([1])
أنا والأيام تقذف بي ... بين مشتاق ومفتتن
لي فؤاد فيك تنكره ... أضلعي من شدة الوهن ([2])
وزفير لو علمت به ... خلت نار الفرس في بدني ([3])
يا لقومي إنني رجل ... حرت في أمري وفي زمني
أجفاء أشتكي وشقا ... إن هذا منتهى المحن
يا هماما في الزمان له ... همة دقت عن الفطن ([4])
وفتى لو حل خاطره ... في ليالي الدهر لم تخن ([5])
يا أمير الحج أنت له ... خير واق خير مؤتمن
البيت هزك الحرام له ... هزة المشتاق للوطن ([6])

---

[1]) الوهن: النعاس. أي حال بين الجفن والنوم حائل من صدك لو وصلت ما حال.
[2]) الضعف. اي أن لي فؤادا قد اشتد ضعفه حتى لم تكد تحسه ضلوعه، فأنكرت وجوده فيه.
[3]) نار الفرس: هي النار اللتي تعبدها مجوس فارس، ويضرب بها المثل في قوة الاشتعال ودوامه.
[4]) دقت عن الفطن، أي لا تدركها الأفهام لقصر العقول عنها.
[5]) يريد أنه لا يخطر له إلا الخير فلو كان للأيام مثل خاطره ما توقع أحد منها غدرا.
[6]) هزك البيت: استخفك لزيارته.

فرحت أرض الحجاز بكم   فرحها بالهاطل الهتن [7]
وسرت بشرى القدوم لهم   بك من مصر إلى عدن [8]

تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء [9]

(سنة 1313هـ - 1899م)

بلغتك لم أنسب ولم أتغزل   ولما أقف بين الهوى والتذلل [10]
ولما أصف كأسا ولم أبك منزلا   ولم أنتحل فخرا ولم أتنبل [11]
فلم يبق في قلبي مديحك موضعا   تجول به ذكرى حبيب ومنزل [12]
رأيتك والأبصار حولك خشع   فقلت (أبوحفص) ببرديك أم علي) [13]
وخفضت من حزني على مجد أمة   تداركتها والخطب للخطب يعتلي [14]

---

[7] سكن الشاعر «الفرح» لضرورة الوزن. والهاطل: المطر المتتابع العظيم القطر. والهتن: المنصب

[8] عدن: مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر الهندز ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه، فأثبتناها على اقتضابها.

[9] الشيخ محمد عبده، هو ابن عبده بن حسن خير الله، ولد في محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة 1266 ه. وتعلم العلم في الجامعين الأحمدي والأزهر، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء، وظل فيه إلى أن توفى بالإسكندرية في سنة 1323 ه – سنة 1905 م، ودفن في القاهرة.

[10] بلغتك، أي وصلت إلى مدحك. ولم أنسب: لم أشبب بالنساء. يريد أنه ابتدأ القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء في تقديم الغزل والفخر وما إليهما على المدح في أول القصائد.

[11] انتحل الشيء: ادعاه لنفسه وهو لغيره. وتنبل الرجل: تكلف النبل وتشبه بالنبلاء.

[12] يشير إلى بيت امرئ القيس: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .. .. إلخ

[13] أيو حفص: كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهي في الأصل كنية الأسد. وعلي: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

[14] يريد بقوله «والخطب للخطب يعتلي»: تراكم الخطوب بعضها فوق بعض.

طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح (ابن مقبل) ([15])

وجردت للفتيا حسام عزيمة بحديه آيات الكتاب المنزل ([16])

محوت به في الدين كل ضلالة وأثبت ما أثبت غير مضلل

لئن ظفر الإفتاء منك بفاضل لقد ظفر الإسلام منك بأفضل

فما حل عقد المشكلات بحكمة سواك ولا أربى على كل حول ([17])

وقال يمدحه ويصف حضرته:

قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول قوال ([18])

هذا قريضي وهذا قدر ممتدحي هل بعد هذين إحكام وإجلال ([19])

إني لأيصر في أثناء بردته نورا به تهتدي للحق ضلال

حللت دارا بها تتلى مناقب ببابها ازدحمت للناس آمال ([20])

رأيت فيها بساطا جل ناسجه عليه (فاروق) هذا الوقت يختال ([21])

بمشية بين صفي حكمة وتقي يحبها الله لا تيه ولا خال ([22])

تبسم المصطفى في قبره جذلا لما سموت إليها وهي معطال ([23])

---

[15]) القدح (بكسر القاف): واحد قداح الميسر، وهي سهامه. وقداح ابن مقبل، يضرب مثلا في حسن الأثر والفوز. وابن مقبل: رجل من جاهلية العرب، واسمه تميم بن أبي بن مقبل، شاعر نخضرم من المعمرين، وكان كثير المقامرة، فاز قدحه سبعين مرة متوالية، فضرب به المثل في الفوز.

[16]) جرد الحسام: سله من غمده.

[17]) أربى: زاد. والحول: البصير بالأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في غيرها.

[18]) القوال: حسن القول اللسن. أي ما قالوا صدقت في مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفوني به.

[19]) الشعر. وممتدحي، أي ممدوحي.

[20]) المناقب المفاخر والأفعال الكريمة، الواحدة: منقبة.

[21]) يصف بساطا رآه في دار الإمام فأعجب بنسجه وناسجه. والفاروق: اسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأنه فرق بين الحق والباطل.

[22]) الخال: الكبر والاختيال.

[23]) الجذل: الفرح. وإليها، أي إلى الفتيا. والمعطال: المتجردة من الحلي والزينة.

فكان لفظك درا حول لبتها   العدل ينظم والتوفيق لآل ([24])
لي كل حول لبيت الجاه منتجع   كما تشد لبيت الله أرحال ([25])
وزهرة غضة ألقى الإمام بها   لها على أختها في الروض إدلال ([26])
تفتح الحمد عنها حين أسعدها   منك القبول وفيها نور القال ([27])
نثرت منظوم تيجان الملوك بها   فراح ينظمه في وصفك البال ([28])
يا من تيمنت الفتيا بطلعته   أدرك فتاك فقد ضاقت به الحال ([29])

---

[24]) اللبة: موضع القلادة من الصدر. و اللآل: صاحب اللؤلؤ، والقياس: لؤلؤي.
[25]) يريد ببيت الجاه: بيت ممدوحه. ويريد بالمنتجع هنا: الانتجاع؛ يقال: انتجع فلان فلانا، إذا أتاه طالبا معروفه.
[26]) يريد بالزهرة الغضة: القصيدة التي يمدحه بها. والغضة: الناضرة. ويريد بأختها: الزهرة الحقيقية. والإدلال الإفراط في التيه.
[27]) نور القال:صار ذا نور (بفتح النون وسكون الواو). والنور: زهر النبات. والقال والقول: كلاهما بمعنى واحد.
[28]) يقول: إنه نثر اللؤلؤ الذي تحلى به تيجان الملوك ونظمه شعرا في مدحه. والمراد تشبيه شعره فيه بدرر التيجان.
[29]) الفتيا: ما أفتى به الفقيه.

مدحة محمود سامي البارودي باشا (1)

[نشرت في 15 أكتوبر سنة 1900م]

تعمدت قتلي في الهوى وتعمدا ... فما أثمت عيني ولا لحظه اعتدى (2)
كلانا له عذر فعذري شبيبتي ... وعذرك أني هجت سيفا مجردا (3)
هوينا فما هنا كما هان غيرنا ... ولكننا زدنا مع الحب سؤددا (4)
وما حكمت أشواقنا في نفوسنا ... بأيسر من حكم السماحة والندى (5)
نفوس لها بين الجنوب منازل ... بناها التقى واختارها الحب معبدا
وفتانة أوحى إلى القلب لحظها ... فراح على الإيمان بالوحي واغتدى (6)

(1) محمود سامي البارودي باشا، هو ابن المرحوم حسن حسني بك مدير دنقلة وبربر في عهد المغفور له محمد علي باشا. ولد البارودي في القاهرة سنة 1255 هـ، وتعلم الفنون العسكرية في المدرسة الحربية؛ وكان من فحول شعراء العربية، كما كان شاعرا باللغتين التركية والفارسية. وآخر المناصب التي تولاها في الحكومة المصرية رآسة النظارة بعد شريف باشا، وقبل الثورة العرابية؛ ولبث في هذا المنصب قليلا، ثم شبت الثورة العرابية فكان من أقطابها، فلما هدأت نارها نفي إلى جزيرة سرنديب مع من نفي ثم عفا عنه الخديوي عباس الثاني في سنة 1317 هـ. وتوفي في سنة 1322 هـ. وله ديوان شعر، طبع منه جزءين، ومختارات من شعر الشعراء العباسيين طبعت في أربعة أجزاء.

(2) يريد أنه تعمد قتل نفسه بالنظر إلى حبيبه نظرة جلبت الهوى. وتعمد المحبوب قتله بسهام لحظه. وأثمت: أذنبت.

(3) الشبيبة: الشباب. وهاجه يهيجه: أثاره. والسيف المجرد: السلول من غمده.

(4) هنا، من الهوان، وهو الذل. والسؤدد (بفتح الدال وضمهت، يهمز ولا يهمز): السيادة والشرف.

(5) أي لم يكن خضوعنا للحب بأقل من خضوعنا لسماحة والكرم، وبالكل زدنا سؤددا وشرفا.

(6) «أوحى إلى القلب لحظها» إلخ، أي ألهمه الحب فآمن به إيمانا ثابتا في غدوه ورواحه.

تيممتها والليل في غير زيه وحاسدها في الأفق يغري بي العدا (1)
سريت ولم أحذر وكانوا بمرصد وهل حذرت قبلي الكواكب رصدا (2)
فلما رأوني أبصروا الموت مقبلا وما أبصروا إلا قضاء تجسدا (3)
فقال كبير القوم قد ساء فألنا فإنا نرى حتفا بحتف تقلدا (4)
فليس لنا إلا اتقاء سبيله وإلا أعل السيف منا وأوردا (5)
فغطوا جميعا في المنام ليصرفوا شبا صارميعنهم مقد كان مغمدا (6)
وخضت بأحشاء الجميع كأنهم نيام سقاهم فاجيء الرعب مرقدا (7)
ورحت إلى حيث المنى تبعث المنى وحيث حدا بي من هوى النفس ما حدا

(1) تيممتها: قصدت إليها. ويريد بقوله «في غير زيه»: أنه ليل مقمر ليس في هيئته المعهوده من السواد والظلمة. ويريد «بالحاسد» (هنا): البدر، لشبهها به في الجمال.

(2) سرى يسري: سار بالليل. والمرصد: المرقب. والرصد: الرقباء، جمع راصد.

(3) يريد بقوله: «تجسد» أنه قضاء محقق لا شك فيه، حتى كأنه يلمس وينظر.

(4) يقال: ساء فأله، أي ساء ظنه. و«حتفا بحتف تقلد»، أي موتا تقلد موتا، يريد نفسه متقلدا سيفه. وقد خطأ بعضهم حافظا في تعدية "قلد" بالباء في هذا البيت، وقال: «إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف».وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى: (ولا الهدي ولا القلائد): إنهم كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم.

(5) أعل: من العلل (بالتحريك)، وهو السقية الثانية. أي إن لم نخل له سبيله سقي السيف من دمائنا مرة بعد مرة.

(6) غط النائم غطا وغطيطا: نخر وتردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله. وشباة الصارم: حده، وجمعه: شبا. وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت، قال الشاعر:

أما شبا السيف مسلولا على القمم فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم

(7) خضت بأحشاء الجميع: مررت وسطهم وعبرت عليهم. والمرقد: الشراب الذي يجلب الرقاد.

وحيث فتاة الخدر ترقب زورتي   وتسأل عني كل طير تغردا (1)

وترجو رجاء اللص لو أسبل الدجى   على البدر سترا حالك اللون أسودا (2)

ولو أنهم قدوا غدائر فرعها   فحاكوا له منها نقابا إذا بدا (3)

فلما رأتني مشرق الوجه مقبلا   ولم تثنني عن موعدي خشية الردى

تنادت وقد أعجبتها – كيف فتهم   ولم تتخذ إلا الطريق المعبدا (4)

فقلت: سلي أحشاءهم كيف روعت   وأسيافهم هل صافحت منهم يدا

فقالت: أخاف القوم والحقد قد برى   صدورهم أن يبلغوا منك مقصدا (5)

فلا تتخذ عند الرواح طريقهم   قد يقنص البازي وإن كان أصيدا (6)

فقلت: دعيما تحذرين فإنني   أصاحب قلبا بين جنبي أيدا (7)

فمالت لتغريني ومالأها الهوى   فحدثت نفسي والضمير ترددا (8)

أهم كما همت فأذكر أنني   فتاك فيدعوني هداك إلى الهدى (9)

(1) تغرد الطائر، كغرد: رفع صوته وطرب به.

(2) أسبل: أرخى. والحالك: الشديد السواد.

(3) قدوا: قطعوا. والغدائر: الضفائر. والفرع من المرأة: شعرها، جمعه فروع. وحاكوا: نسجوا. والنقاب: البرقع. ويريد بهذا البيت والذي قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر، أو أن تجعل للبدر نقابا من غدائرها السود سترا لمحبوبها من أعين الرقباء.

(4) الطريق المعبد: الممهد المسلوك.

(5) برى الحقد صدورهم، أي أسقمها وأذابها.

(6) يقنص: يصاد. والبازي: نوع من الصقور يتخذ للصيد والأصيد (هنا): الأقدر على الصيد الأعرف به.

(7) الأيد (بتشديد الياء): القوي الشديد.

(8) مالأها: ساعدها وشيعها.

(9) يريد بهذا البيت والذي قبله أنها انثنت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هواها له وهواه لها، فهمت به وهم بها، ثم ذكر هدي الممدوح فاهتدى بهديه.

كذلك لم أذكرك والخطب يلتقي   به الخطب إلا كان ذكرك مسعدا (1)
أمير القوافي، إن لي مستهامة   بمدح ومن لي فيك أن أبلغ المدى (2)
أعرني لمديحك اليراع الذي به   تخط وأقرضني القريض المسددا (3)
ومر كل معنى فارسي بطاعتي   وكل نفور منه أن يتوددا (4)
وهبني من أنوار علمك لمعة   على ضوئها أسري وأقفوا من اهتدى (5)
وأربو على ذاك الفخور بقوله: (إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا) (6)
سلبت بحور الأرض در كنوزها   فأمست بحار الشعر للدر موردا
وصيرت منثور الكواكب في الدجى   نظيما بأسلاك المعاني منضدا (7)
وجئت بأبيات من الشعر فصلت   إذا ما تلوها ألقى الناس سجدا (8)
إذا ذكروا منه النسيب رأيتنا   وداعي الهوى منا أقام وأقعدا (9)

(1) التقى الخطب بالخطب، أي توافقت الخطوب على وتراكم بعضها على بعض.

(2) مستهامة أي نفسا هائمة بمدحك.

(3) اليراع: القلم. والمسدد: الموفق للصواب.

(4) يريد «بالمعنى الفارسي»: المعنى البديع؛ وقد نسبه إلى فارس (وهم الفرس) لأنهم كانوا أهل إبداع وخيال في الشعر. والنفور: الشارد الممتنع على طالبه.

(5) السرى: المشي بالليل. وأقفو: أتبع.

(6) يقال: ربا يربو، إذا زاد. وأربى عليه في الأمر: زاد عليه فيه. فلو عبر"بأربى" لكان أقوم. وذاك الفخور: يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي الشاعر الكبير المشهور، وهو قائل الشطر الثاني من هذا البيت، وصدره: «وما الدهر إلا من رواة قصائدي».

(7) المنضد: المضموم بعضه إلى بعض.

(8) فصله تفصيلا: بينه.

(9): النسيب: التشبيب بالمرأة وذكر محاسنها وأوصافها في الشعر.

وإن ذكروا منه الحماس حسبتنا   نرى الصارم المخضوب خدا موردا (1)
ولو أنني نافرت دهري وأهله   بفخرك ما أبقيت في الناس سيدا (2)

تهنئة لسمو الخديوي عباس الثاني بعيد الفطر (3)

(1318هـ- 1901 م)

مطالع سعد أم مطالع أقمار   تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري
إلى سدة (العباس) وجهت مدحتي   بتهنئة شوقية النسج معطار (4)
مليك أباح العيد لثم يمينه   وياليت ذاك العيد يبسط أعذاري (5)
ويحمل عني للعزيز تحية   ويذكر شيئا من حديثي وأخباري
(لآل علي) زينة الملك وجهتي   وإن قيل شيعي فقد نلت أوطاري (6)
أحن لذكراهم وأشدوا بمدحهم   كأني بجوف الليل هاتف أسحار (7)

(1) الحماس، أي الشعر المقول في الحماسة. والحماس (بفتح الحاء): الشدة والمحاربة. والمخضوب: المصبوغ بالدم. يقول: إذا قال أبياتا في الحماسة تعشقنا السيوف المخضبة بالدماء كما نتعشق الخدود الموردة.

(2) المنافرة: المفاخرة. أي لو فاخرت الدهر والناس بمفاخرك الكثيرة ما أبقيت في الناس سيدا إلا سدته.

(3) تولى الخديوية المصرية بعد وفاة أبيه توفيق باشا في يوم 8 يناير سنة 1892 م – 8 جمادى الثانية سنة 1309 هـ. ثم خلعته انجلترا سنة 1914 م عقب نشوب الحرب العظمى.

(4)السدة: باب البيت، أو ساحته، والمراد هنا: حضرة الخديوي. وشوقية النسج: نسبة إلى شوقي الشاعر. والمعطار: الطيبة الرائحة.

(5) يشير بالشطر الثاني إلى أنه لم يستطع الوصول إلى حضرته فيحظى بلثم يمينه الذي قد أباحه العيد، فهو يعتذر من تقصيره.

(6) آل علي، أي آل محمد علي جد الأسرة المالكة. والوجهة: القصد. والشيعي: نسبة إلى الشيعة، وهم من يتولون علي بن أبي طالب وأهل بيته. وقد وري في هذا البيت بعلي وشيعته من محمد علي وأشياعه. والأوطار: الحاجات.

(7) أشدو: أترنم. وهاتف الأسحار: الطائر المغرد في السحر.

وأنشد أشعاري وإن قال حاسدي نعم شاعري لكنه غير مكار

فحسبي من الأشعار بيت أزينه بذكرك يا (عباس) في رفع مقداري

كذا فليكن مدح الملوك وهكذا يسوس القوافي شاعر غير ثرثار (1)

ويسلب أصداف البحار بناتها بنفثة سحر أو بخطرة أفكار (2)

معان وألفاظ كما شاء (أحمد) طوت جزل (بشار) ورقة مهيار (3)

إذا نظرت فيها العيون حسبنها لحسن انسجام القول كالجدول الجاري (4)

أمولاي هذا العيد وأفاك فأحبه بحلة إقبال ويمن وإيثار (5)

ويمنه وانثر من سعودك فوقه وتوجه بالبشرى ومره بإسفار (6)

فلا زالت الأعياد تبغي سعودها لدى ملك يسري على عدله الساري (7)

ولا زلت في دست الجلال مؤيدا ولا زال هذا الملك في هذه الدار (8)

(1) يسوس القوافي: يروضها ويذللها. والثرثار: المتشدق الذي يكثر الكلام تكلفا.

(2) بنات الأصداف: اللآلي التي تكون فيها. والنفث: النفخ، وأضافه إلى السحر، لأن الساحر ينفث في العقد.

(3) الظاهر أنه يريد «بأحمد» أبا أحمد بن الحسين المتنبي. ويقول: إن لشعره من الجزالة والرقة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيار.

(4) الجدول: النهر الصغير.

(5) حباه يحبوه: أعطاه بلا جزاء ولا من. وآثره إيثارا: خصه بالإكرام.

(6) يمنه، أي أفض عليه من اليمن، وهو البركة. والذي في القاموس وشرحه «يمن عليه» بتعدية هذا الفعل بالحرف. والإسفار: الإضاءة والإشراق.

(7) يسري عدله الساري. أي أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به (8) الدست: صدر المجلس؛ فارسي معرب.

وقال أيضا بمدحه ويهنئه بعيد جلوسه في 8 يناير سنة 1901 م

ماذا ادخرت لهذا العيد من أدب ... فقد عهدتك رب السبق والغلب (1)
تشدو وترهف بالأشعار مرتجلا ... وتبرز القول بين السحر والعجب (2)
وتصقل اللفظ في عيني فأحسبني ... أرى فرند سيوف الهند في الكتب (3)
هذا هو العيد قد لاحت مطالعه ... وكلنا بين مشتاق ومرتقب
فادع البيان ليوم لا تطاوله ... يد البلاغة في الأشعار والخطب (4)
إني دعوت القوافي حين أشرق لي ... عيد الأمير فلبت غرة الطلب (5)
وأقبلت كأياديه إذا انسجمت ... على الورى وغدت مني على كثب (6)
فقمت أختار منها كل كاسية ... تاهت بنضرتها في ثوبها القشب (7)
وحار فيه بياني حين صحت به: ... بالعز يبدأ أم بالمجد والحسب؟
يا من تنافس في أوصافه كلمي ... تنافس العرب الأمجاد في النسب (8)

(1) في هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب إلى نفسه.

(2) تشدو: تترنم. وأرهف بالشعر: قاله على البديهة ولم يهيئه قبل إنشاده.

(3) تصقل اللفظ: تجلوه وتكسبه رونقا وطلاوه. وفرند السيف: ماؤه الذي يجري فيه؛ معرب. يشبه الشعر في بهجته وبهائه بالسيف في لمعانه وروائه.

(4) لا تطاوله: لا تبلغ مدى وصفه.

(5) غرة الطلب: أوله: يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يحوجه إلى تكرارا الطلب.

(6) الأيادي : المنن. وانسجمت: توالت وتتابعت. والكثب: القرب.

(7) الكاسية: ذات الكسوة؛ ويريد بها الألفاظ في ثوب من الجمال. والنضرة: الحسن. والقشب: الجديد.

(8) تنافس: تتنافس وتتبارى.

لم يبق (أحمد) من قول أحاوله ... في مدح ذاتك فاعذرني ولا تعب (1)
فلست ممن سمت بالشعر همتهم ... إلى الملوك ولا ذاك الفتى العربي
لكن عيدك يا (عباس) أنطقني ... كالبدر أطلق صوت البلبل الطرب (2)
عيد الجلوس، لقد ذكرت أمته ... يوما تأبه في الأيام والحقب (3)
اليمن أوله والسعد آخره ... وبين ذلك صفو العيش لم يشب (4)
فالعرش في فرح، والملك في مرح، ... والخلق في منح، والدهر في رهب (5)
والملك فوق سرير الملك تحرسه ... عين الإله وترعى أعين الشهب (6)
الحلم حليته، والعدل قبلته، ... والسعد لمحته كشافة الكرب (7)
مشيئة الله في (العباس) قد سبقت ... إلى الجدود ومن يأتي على العقب (8)
فهو ابن أكرم من سادوا ومن ملكوا ... وهو الأب المفتدي للسادة النجب

(1) يريد «بأحمد»: (أحمد شوقي بك)، وكان «شاعر الأمير» إذ ذاك، ولقب بهذا اللقب؛ وقال مفتخرا:

شاعر الأمير وما ... بالقليل ذا اللقب

(2) يشير بالشطر الثاني من هذا البيت إلى ما يقال من أن البلبل أكثر ما ينطلق صوته بالغناء في الليالي المقمرة. وقد شبه الشاعر عيد الجلوس في إطلاقه ألسنة الشعراء بالثناء، بالبدر في إطلاقه أصوات البلابل بالغناء.

(3) تأبه، من الأبهة، وهي العظمة والبهجة. ويريد بهذا اليوم يوم تولية الخديوي عباس الثاني، وهو اليوم الثامن من شهر يناير سنة 1892 م الموافق اليوم الثامن من جمادى الثانية سنة 1309 هـ. والحقب: السنون، جمع حقبة (بالكسر).

(4) لم يشب: لم يمزج بما يكدره.

(5) المرح: شدة الفرح. والرهب: الخوف.

(6) الملك (بسكون اللام): لغة في الملك (بكسرها). وترعى أعين الشهب، أي تحرسه الكواكب.

(7) اللمحة: واحدة الملامح، وهذا من النوادر. يريد أن السعد يبدو في طلعته وملامح وجهه. ويصح أن يراد «باللمحة»: النظرة، أي أنه يسعد من يلمحه.

(8) يريد أن الله تولى أسرة العباس بالرعاية في الآباء والأبناء.

يا من توهم أن الشعر أعذبه ... في الذوق أكذبه، ازريت بالأدب (1)
عذب القريض قريض بات يعمصه ... ذكر (ابن توفيق) عن لغو وعن كذب (2)

تهنئة الأمير محمد عبد المنعم

وكان وليا لعهد أبيه الخديوي عباس؛ قالها في ذكرى مولده لأول العام الثالث من عمره

[نشرت في يناير سنة 1901م]

في عيد مولانا الصغير ... وعيد مولانا الكبير
إشراق عيد الفطر والأ ... ضحى على عرش الأمير (3)

تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (4)

[نشرت في 2 سبتمبر سنة 1901م]

لمحت جلال العيد والقوم هيب ... فعلمني آي العلا كيف تكتب
ومثل لي عرش الخلافة خاطري ... فأرهب قلبي، والجلالة ترهب

(1) أزري بالأدب: تهاون به. يفند في هذا البيت العبارة المأثورة: «أعذب الشعر أكذبه».

(2) توفيق، هو محمد توفيق باشا، بكر أنجال إسماعيل باشا، تولى خديوية مصر سنة 1879 م؛ وتوفى سنة 1892م، فخلفه ابنه عباس.

(3) شبه العيدين السابقين في البيت الأول، بعيد الفطر وعيد الأضحى، لما اشتهر من وصف الأول بالصغير والثاني بالكبير.

(4) ولد السلطان عبد الحميد في 21 سبتمبر سنة 1842م، وولي الملك في أغسطس 1876 م وخلع في 27 إبريل سنة 1909م، وتوفى في10 فبراير سنة 1918م.

سلوا الفلك الدوار هل لاح كوكب على مثل هذا العرش أو راح كوكب
وهل أشرقت شمس على مثل ساحة إلى ذلك البيت (الحميدي) تنسب؟ (1)
وهل قر في برج السعود متوج كما قر في (يلديز) ذاك المعصب؟ (2)
تجلى على عرش الجلال وتاجه يهش وأعواد السرير ترحب (3)
سما فوه والشرق جذلان شيق لطلعته والغرب خذلان يرقب (4)
فقام بأمر الله حتى ترعرعت به دوحة الإسلام والشرك مجدب (5)
وقرب بين المسجدين تقربا إلى الملك الأعلى فنعم المقرب (6)
وكم حاولوا في الأرض إطفاء نوره وإطفاء نور الشمس من ذاك أقرب
فراعهم منه بجيش مدجج له في سبيل الله والحق مذهب (7)
يداني شخوص الموت حتى كأنما له بين أظفار المنية مطلب

(1) الحميدي: نسبة إلى السلطان عبد الحميد.

(2) يلديز: كان قصر الخلافة بالأستانة. والمعصب: المتوج، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة، قال عمرو بن كلثوم:

بكل معصب من آل سعد يتاج الملك يحمي المحجرينا

(3) تجلى: ظهر. ويهش: يرتاح.

(4) جذلان: من الجذل (بالتحريك)، وهو الفرح. والشيق: المشتاق. ويريد بالخذلان: المخذول. ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من مدونات اللغة؛ وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله في الشطر الأول: «جذلان».

(5) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظلال.

(6) يريد «بالمسجدين» (هنا): بيت المقدس ومسجد المدينة؛ ويشير بذلك إلى الخط الحديدي الحجازي من دمشق إلى المدينة، وقد بدئ العمل فيه في مايو سنة 1900 م، واحتفل بالفراغ منه وافتتاحه سنة 1908 م.

(7) راعهم: أفزعهم. والمدجج: المسلح:

إذا سار في يوم الوغى مال منكب   من الأرض والأطواد وانهال منكب (1)
له من رءوس الشم في البر مركب   ومن ثائر الأمواجفي البحر مركب (2)
فدى لك يا (عبد الحميد) عصابة   عصت أمر باريها وحزب مذبذب (3)
ملكت عليهم كل فج ولجة   فليس لهم في البر والبحر مهرب
تقاذفهم أيدي الليالي كأنهم   بها مثل للناس في القوم يضرب (4)
وكم سألوها لثم أذيالك التي   لها فوق أجرام السموات مسحب (5)
فما بلغوا سؤلا ولا بلغوا منى   كذلك يشقى الخائن المتقلب
فيا صاحب العيدين لا زلت سالما   يهنيك بالعيدين شرق ومغرب (6)
ففي كل روض منك طيب ونضرة   وفي كل أرض منك عيد وموكب
أرى مصر والأنوار: منها مورد،   ومنها لجيني، ومنها مذهب (7)
وأشكالها شتى فهذا منظم   وذلك منثور وذاك مقبب (8)

(1) الوغى: الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة. ومنكب من الأرض، أي ناحية منها. والأطواد: الجبال العظيمة، والواحد منها طود (بفتح الطاء). والمعنى أن الأرض تميد بهذا الجيش لكثرته وعدته.

(2) الشم: الجبال العالية، واحدها: أشم.

(3) يشير إلى حزب تركيا الفتاة الذي كان يعارض السلطان عبد الحميد في سياسته.

(4) تقاذفهم، أي تتقاذفهم. وقد شبههم في تشريدهم في البلاد بالأمثال السائرة بين من لسان إلى لسان.

(5) سألوها، أي سألوا الليالي. وأجرام السموات: أفلاكها. والمسحب: المكان الذي تنسحب عليه الأذيال.

(6) يريد «بالعيدين»: عيد جلوس السلطان وعيد تأسيس الدولة العثمانية.

(7) اللجيني: نسبة إلى اللجين، وهو الفضة.

(8) المقبب: المصنوع على أشكال القباب.

وبعض تجلى في مصابيح، زيتها ... يضيء ولا نار وبعض مكهرب (1)
وانظر في بستانها النجم مشرقا ... فهل أنت يا بستان أفق مكوكب (2)
وأسمع في الدنيا دعاء بنصره ... يردده البيت العتيق ويثرب (3)

تهنئة جلالة إدوارد السابع بتتويجه (4)

[نشرت في 9 أغسطس سنة 1902 م]

لمحت من مصر ذاك التاج والقمرا ... فقلت للشعر هذا يوم من شعرا (5)
يا دولة فوق أعلام لها أسد ... تخشى بوادره الدنيا إذا زأرا (6)
بالأمس كانت عليك الشمس ضاحية ... واليوم فوق ذراك البدر قد سفرا (7)
يؤول عرشك من شمس إلى قمر ... إن غابت الشمس أولت تاجها القمرا (8)
من ذا يناويك والأقدار جارية ... بما تشائين، والدنيا لمن قهرا (9)

(1) يريد بقوله: «يضيء ولا نار»: أن هذا الزيت صاف براق.

(2) المكوكب: ذو الكواكب.

(3) البيت العتيق: الكعبة. ويثرب: اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(4) ولد إدوارد السابع في سنة **1841**م، وولي الملك في يناير سنة **1901**م، وتوفى في سنة **1910**م.

(5) يريد «بالقمر»: صاحب التاج. وشعر، أي قال الشعر.

(6) الأسد: شعار الدولة الإنجليزية، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية، والهلال شعار الدولة العثمانية، وغير ذلك. والبوادر: جمع بادرة، وهي ما يبدر من الشر. أي ما يسبق منه عند الحدة والغضب.

(7) يريد «بالشمس»: الملكة فكتوريا ملكة الإنجليز. والذرا: جمع ذروة، وهي ما ارتفع من المواضع. ويريد «بالبدر»: ابنها الملك إدوارد السابع. وسفر: ظهر وانكشف.

(8) أولت: أعطت.

(9) المناوأة: المعاداة والمعارضة.

إذا ابتسمت لنا فالدهر مبتسم ... وإن كشرت لنا عن نابه كشرا (1)

لا تعجبن لملك عز جانبه ... لولا التعاون لم تنظر له أثرا

مائل ربك عرشا بات يحرسه ... عدل، ولا مد في سلطان من غدرا (2)

خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا ... على مرافقهم والملك قد سهرا (3)

تشاوروا في أمور الملك من ملك ... إلى وزير إلى نفوس من يغرس الشجرا (4)

وكان فارسهم في الحرب صاعقة ... وذو السياسة منهم طائرا حذرا

بالبر صافة داست سنابكها ... مناجم التبر لما عافت المدرا (5)

وفي البحر أساطيل إذا غضبت ... ترى البراكين فيها تقذف الشررا (6)

وهن في السلم والأيام باسمة ... عرائس يكتسبن الدل والخفرا (7)

حتى إذا نشبت حرب رأيت بها ... أغوال قفر ولكن ولكن تنهش الحجرا (8)

(1) كشر عن نابه: كشف عنه وأبداه؛ وهو مستعمل هنا في معنى التنمر والغضب.

(2) ثل الله عرشهم، أي هدم ملكهم، أذهب عزهم.

(3) المرافق: المنافع والمصالح. والملك (بتسكين اللام): لغة في الملك (بكسرها).

(4) من يغرس الشجر، أي الفلاح.

(5) الصافنة: الخيل. والصافن منها: ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة، وهو من الصفات المحمودة فيها. والسنابك: أطراف الحوافر، الواحد: سنبك(بضم السين والباء). والمدر: التراب المتلبد. يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم تدوس ما تضمنت الأرض من ذهب، لكثرة ما في أيديهم من الأماكن الغنية، وكرهت أن تدوس التراب.

(6) شبه سفنهم في الحرب ببراكين النار.

(7) الخفر (بالتحريك): شدة الحياء.

(8) الأغوال: جمع غول، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف.

اليوم يشرق إدوار على أمم   كأنها البحر بالآذى قد ذخرا (1)

لو أمطر الغيث أرضا تستظل بهم   عدت رءوسهم عن وجهها المطرا (2)

اليوم يلثم تاج العز محتشما   رأسا يدبر ملكا يكلأ البشرا (3)

يصرف الأمر من مصر إلى عدن   فالهند فالكاب حتى يعبر الجزرا (4)

قد سالمته الليالي حين أعجزها   عقد لما حل أو تقويم ما أطرا (5)

(إدوار) دمت ودام الملك في رغد   ودام جندك في الآفاق منتصرا

حقنت بالصلح والرأي السديد دما   روى الشعاب وروى الصارم الذكرا (6)

هم يذكرونك إن عدوا عدولهم   ونحنه نذكر إن عدوا لنا (عمرا)

كأنما أنت تجرى في طريقه   عدلا وحلما وإيقاعا بمن أشرا (7)

(1) آذى البحر: موجه، وجمعه أواذى (بتشديد الياء). شبه به الأمم التي تحت سلطان التاج البريطاني في كثرتها.

(2) «عدت رءوسهم» إلخ. أي صرفت رءوسهم المطر عن وجه الأرض. يصفهم بكثرة العدد، حتى إنهم لكثرتهم يحجبون وجه الأرض برءوسهم فلا يمسه المطر.

(3) محتشما، أي مستحييا. ويكلأ: يحفظ ويحرس.

(4) يصرف الأمر: يبره ويقلبه كما يشاء.

(5) أطره، عوجه وثناه. والمعنى أن الدهر قد صالحه وسالمه حين لم يقدر على مناوأته ومعارضته فيما أراد.

(6) يقال: حقن فلان دم فلان، إذا حل به القتل فأنقذه. ويريد «بالشعاب»: الطرق، الواحد: شعب (بكسر السين)، وهو في الأصل: الطريق في الجبل. والصارم الذكر: السيف الذي شفرته من الحديد الذكر، ومتنه من الحديد الأنيث. والحديد الذكر: هو أيبس الحديد وأجوده. ويشير بهذا البيت إلى الصلح في الحرب التي كانت بين البوير والإنجليز، وقد ابتدأت في سنة 1899م وانتهت في سنة 1902 وهي السنة التي قال فيها الشاعر قصيدته في تتويج إدوارد السابع.

(7) أشر يأشر (من باب فرح يفرح): بطر، يريد العاصي المتمرد.

إلى الأستاذ الإمام محمد عبده (1)

قالها في سفر له إلى بعض بلاد الوجه البحري وكان مصاحبا له في هذا السفر

صدفت عن الأهواء والحر يصدف ... وأنصفت من نفسي وذو اللب ينصف (2)
صحبت الهدى عشرين يوما وليلة ... فقر يقيني بعد ما كان يرجف (3)
فرحت وفي نفسي من اليأس صارم ... وعدت وفي صدري من الحلم مصحف
وكنت كما كان (ابن عمران) ناشئا ... وكان كمن في (سورة الكهف) يوصف (4)
كأن فؤادي إبرة قد تمغطست ... بحبك أني حرفت عنك تعطف (5)
كأن يراعي في مديحك ساجد ... مدامعه من خشية الله تذرف (6)
كأنك والآمال حولك حوم ... نمير على عطفيه طير ترفرف (7)
وأزهر في طرسي يراعي وأنملي ... ولفظي فبات الطرس يجني ويقطف (8)

(1) انظر التعريف بالأستاذ الإمام في الحاشية رقم 3 ص 4 من هذا الجزء.

(2) صدفت: أعرضت وصددت.

(3) يرجف: يضطرب. ويشير بهذا البيت إلى القصة التي سمعناها منه وهي أن حافظا كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك في عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه في هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه في الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى مبالغا في كتمان ذلك عمن حوله؛ فأحسن الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ في ظنه الأول به؛ ثم اهتدى بهديه، وبدل شكه يقينا.

(4) يشير إلى قصة نبي الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام، وإكثار موسى على الخضر في الأسئلة؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة الكهف.

(5) تعطف: ترجع. (6) تذرف: تسيل.

(7) الحوم من الطيور: التي تدور حول الماء، الواحد: حائم. والنمير: الماء الناجع في الري. والعطفان: الجانبان.

(8) أزهرك أخرج الزهر. والطرس: الصحيفة التي يكتب فيها.

وجمع من أنوار مدحك طاقة يطالعها طرف الربيع فيطرف (1)

تهادى بها الأرواح في كل سحرة وتمشي على وجه الرياض فتعرف (2)

إمام الهدى إني أرى القوم أبدعوا لهم بدعا عنها الشريعة تعزف (3)

رأوا في قبور الميتين حياتهم فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا

وباتوا عليها جاثمين كأنهم (على صنم للجاهلية عكف) (4)

فأشرق على تلك النفوس لعلها ترق إذا أشرقت فيها وتلطف

فأنت بهم كالشمس بالبحر إنها ترد الأجاج الملح عذبا فيرشف (5)

كثير الأيادي، حاضر الصفح، منصف كثير الأعادي، غائب الحقد،مسعف (6)

(1) الأنوار: جمع نور (بفتح الون)، وهو الزهر. والطاقة: الحزمة من الزهر. ويطالعها طرف الربيع، أي تنظر إليها عينه. فيطرف، أي يصاب بما يؤذيه؛ يقال: طرف فلان عين فلان، إذا أصابها بشيء فدمعت؛ وقد طرفت عينه (مبنيا للمجهول) فهي مطروفة. يريد أن مدحه للأستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا، فإذا نظر إليه الربيع ارتد طرفه عنه حسيرا.

(2) تهادى، أي تتهادى. والتهادي: المشي في لين، ويجوز أن التهادي (هنا) من الإهداء، أي أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدي بعضها بعضا به. والسحرة: أول وقت السحر. وتعرف (بضم الراء)، أي تصير ذات عرف (بفتح العين وسكون الراء)، أي رائحة طيبة؛ أي أن الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتتعطر الرياض به.

(3) أبدعوا: أحدثوا. وتعزف (بضم الزاي وكسرها): تنصرف وتعرض.

(4) جاثمون: ملازمون لها لم يبرحوها؛ وفعله من باب (نصر وضرب). وقوله: «على صنم» الخ: عجز بيت من قصيدة للفرزدق، وقبله:

لقد علم الجيران أن قدورنا جوامع للأرزاق والريح زفزف

ترى حولهن المقترين كأنهم على صنم ... ... إلخ

والعكف: العاكفون، من عكف على الشيء، إذا لزمه وحبس نفسه عليه.

(5) بهم، أي فيهم. ويشير إلى ما هو معروف من تنجر ماء البحر بحرارة الشمس وصيروة هذا البخار سحابا، ثم مطرا. والأجاج من الماء: الشديد الملوحة. ويرشف، أي يشرب. وأصل الرشف: مص الماء بالشفتين.

(6) الأيادي: النعم. وغائب الحقد: لا يحقد على أحد.

له كل يوم في رضى الله موقف وفي ساحة الإحسان والبر موقف
تجلى (جمال الدين) في نور وجهه وأشرق في أثناء برديه (أحنف) (1)
رأيتك في الإفتاء لا تغضب الحجا كأنك في الإفتاء والعلم (يوسف) (2)
فأنت لها إن قام في الشرق مرجف وأنت لها إن قام في المغرب مرجف (3)
كملت كمالا لو تناول كفره لأصبح إيمانا به يتحنف (4)

وقال يهنئه بعودته من سياحته في بلاد الجزائر:

[نشرت في 6 أكتوبر سنة 1903 م]

بكرا صاحبي يوم الإياب وقفا بي (عين شمس) قفابي
إنني والذي يرى ما بنفسي لمشوق لظل تلك الرحاب (5)

(1) يشير إلى أستاذ الممدوح الشيخ جمال الدين الأفغاني العالم الفيلسوف المعروف، ورد مصر في زمن إسماعيل باشا، وتلقى عليه العلم أذكياء طلاب بالأزهر، ومنها الأستاذ الممدوح، فكانوا دعاة النهضة الحديث وهداتها. ويريد بالأحنف: الأحنف بن قيس التميمي، وكان من سادات التابعين، مشهورا بالحلم؛ وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه؛ وشهد بعض الفتوحات، وتوفي حوالي سنة سبع وستين.

(2) الحجا: العقل. يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل في فتاويه. ويوسف، هو نبي الله يوسف الصديق عليه السلام؛ ويشير إلى قوله تعالى في سورة يوسف (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) الآية.

(3) لها، أي لملة الإسلام. والمرجف: الذي يخوض في الأخبار السيئة على أن يوقع في الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شيء منها.

(4) يتحنف به: يتعبد به. يشير إلى ما هو مأثور في كلام الفرس من قولهم: كل شيء يتناوله العليل يتحول إلى علة، وكذلك العكس، فكل شيء يتناوله الصحيح يتحول إلى صحة، والكامل لما يتناوله الكفر صار إيمانا. وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردد هذه العبارة. ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا.

(5) الذي يرى ما بنفسه هو الله تعالى.

يا أمينا على الحقيقة والإفـ ـتاء والشرع والهدى والكتاب
أنت نعم الإمام في موطن الرأ ي ونعم الإمام في المحراب
خشع البحر إذ ركبت جواريـ ـه خشوع القلوب يوم الحساب (1)
وبدا ماؤه كخاطرك المصـ ـقول أو كالفرند أو كالسراب (2)
يتجلى كأنه صحف الأبـ ـرار منشودة بيوم المآب (3)
علمت من تقل فانبعثت للـ ـقصد مثل انبعاثه للثواب (4)
فهي تسري كأنها دعوة المضـ ـطر في مسبح الدعاء المجاب (5)
وضياء (الإمام) يوضح للربان سبل النجاة فوق العباب (6)
بات يغنيه عن مكافحة البحـ ـر ورقب النجوم والأقطاب (7)
وسرى البرق للجزائر بالبشـ ـرى بقرب المطر الأواب (8)
فسعى أهلها إلى شاطئ البحـ ـر وفودا بالبشر والترحاب
أدركوا قدر ضيفهم فأقاموا يرقبون (الأمام) فوق السحاب (9)

(1) الجواري: السفن.

(2) المصقول: المجلو. وفرند السيف: ماؤه الذي يترقرق به؛ وهو فارسي معرب. والسراب ما يرى على البعد في نهاية الأفق كأنه الماء وليس به. شبه الشاعر به ماء البحر في الصفاء.

(3) المآب: المرجع. ويوم المآب، أي يوم القيامة. شبه ماء البحر بصحف الأبرار في النصوع والنقاء.

(4) علمت، أي السفينة. وتقل: تحمل.

(5) مسبح الدعاء، أي طريقه.

(6) عباب البحر: موجه.

(7) الرقبي: المراقبة.

(8) الأواب: الكثير الرجوع إلى الله.

(9) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سيرجع إليهم في ظلل من الغمام؛ فشبه الأستاذ الإمام به.

ليت مصرا كغيرها تعرف الفضل لذي الفضل من ذوي الألباب
إنها لو درت مكانك في المجد ومرماك في صدور الصعاب
وتفانيك في سبيل (أبي حفص) ومسعاك عند الدفع المصاب (1)
لأظلتك بالقلوب من الشمس ووارت عداك تحت التراب
أنت علمتنا الرجوع إلى الحق ورد الأمور للأسباب
ثم أشرقت (المنار) علينا بين نور الهدى ونور الصواب (2)
فقرأنا على ضيائك فيه كلمات المهيمن الوهاب (3)
وسكنا إلى الذي أنزل الله وكنا من قبله في ارتياب (4)
أيهذا الإمام أكثر حسا دي فباتت نفوسهم في التهاب
أبصروا موقفي فعز عليهم منك قربي ومن علاك انتسابي
أجمعوا أمرهم عشاء وباتوا يسمعون الورى طنين الذباب (5)
ونسوا ربهم وقالوا ضمنا بعده عن رحاب ذاك الجناب (6)

(1) «وتفانيك في سبيل أبي حفص»، أي استماتتك في نصرة الحق، وهو سبيل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

(2) يريد (مجلة المنار) المعروفة، التي كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام، وقد أنشئت هذه المجلة في سنة 1315 هـ (سنة 1898 م).

(3) يشير بذلك إلى ما كان ينشر في (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن الكريم.

(4) سكن إلى الأمر: اطمأن إليه ووثق به.

(5) أجمعوا أمرهم عشاء، أي بيتوا النية على الكيد لي والوشاية بي. (6) يريد جناب الأستاذ الإمام.

قل لجمع المنافقين ومنهم   خص بالقول عبد أم الحباب (1)
عبد تلك التي يحرمها الله   إزاء الأزلام والأنصاب (2)
إن نفس الإمام فوق مناهم   ما تمنوا وإنني غير صابي (3)
شاب فيهم ولاؤهم حين شابوا   وولائي في عنفوان الشباب

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره:

لو ينظمون اللآلي مثل ما نظمت   مذ غبت عنا عيون الفضل والأدب (4)
لأفقر الجيد من در يحيط به   والثغر من لؤلؤ والكأس من حبب (5)

وقال مدافعا عنه أيضا ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف ورسموا له صورا تزري بقدره:

إن صوروك فإنما قد صوروا   تاج الفخار ومطلع الأنوار

(1) أم الحباب: كناية عن الخمر. والحباب: الفقاقيع التي تعلو الشراب في الكأس. ويريد «بعبد أم الحباب»: أحد الساعين في التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام، وكان مدمنا للخمر.

(2) إزاء الأزلام، أي معها. والأزلام: سهام الميسر، الواحد زلم (بالتحريك). والأنصاب: ما ينصبمن الأوثان ليعبد من دون الله، الواحد نصب (وزان عنق وقفل). ويشير بهذا إلى قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية.

(3) صابي، أي صابئ (بالهمز)، وهو الخارج من دين إلى دين؛ واستعمله هنا في المتحول عن مودته.

(4) يريد «بعيون الفضل والأدب»: ما كان يحبره الأستاذ الإمام في غيبته من مقالات وخطب.

(5) الجيد العنق: وحبب الكأس: الفقاقيع التي تعلو سطح الشراب. والمراد بهذا البيت الذي قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت في خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور والآلئ والثغور وحبب الكؤوس شبيها بما قلت، ولاستنفد نظمهم كل ذلك.

أو نقصوك فإنما قد نقصوا — دين النبي محمد المختار
سخروا من الفضل الذي أوتيته — والله يسخر منهم في النار
لا تجز عن فلست أول ماجد — كذبت عليه صحائف الفجار
رسموا بذاتك للنواظر جنة — محفوفة بمكاره الأشعار (1)
وتقولوا عنك القبيح وهكذا — يمني الكريم بغارة الأشرار (2)
لن يحجبوك عن الورى أو يحجبوا — فلق الصباح وشرق الأقمار (3)
أو يبلغوا علياك حتى يبلغوا — بين الزواهر صورة الجبار (4)
ما أنت ذياك البغيض فتنثني — متسر بلا بالعار فوق العار (5)
لعبوا به في صورة قد أسفرت — عن عزله فأقام حلس الدار (6)

(1) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «حفت الجنة بالمكاره». شبه صورة الإمام في صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو بالجنة التي حفت بالمكاره.

(2) يقال: تقول عليه الخبر؛ إذا افتراه. ويمنى: يبتلى ويصاب.

(3) أو يحجبوا. وفلق الصباح: ضوءه أول ما يبدو.

(4) الزواهر: النجوم. والجبار: اسم الجوزاء؛ يقال «طلع الجبار»، وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرسي.

(5) المتسربل: اللابس.

(6) حلس الدار: الذي يلزمها ولا يبرحها. ويشير إلى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعر أنه قد عزل من منصب الإفتاء، وأقام في داره. واستعماله «أسفرت» بمعنى «سفرت»، أي كشفت وأظهرت، لم يرد في كتب اللغة التي بين أيدينا؛ وهو استعمال شائع بين كتاب العصر. الذي في كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء وأشرق؛ وليس مرادا هنا.

تهنئة الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى سنة 1321 ه

[نشرت في 25 فبراير سنة 1904 م]

طف بالأريكة ذات العز والشان ... واقض المناسك عن قاص وعن داني (1)
يا عيد ليت الذي أولاك نعمته ... بقرب صاحب مصر كان أولاني (2)
صغت القريض فما غادرت لؤلؤة ... في تاج (كسرى) ولا في عقد (بوران) (3)
أغريت بالغوص أقلامي فما تركت ... في لجة البحر من در ومرجان (4)
شكا (عمان) وضج الغائصون به ... على اللآلي وضج الحاسد الشاني (5)
كم رام شأوى فلم يدرك سوى صدف ... سامحت فيه لنظام ووزان (6)
عابوا سكوتي ولولاه ما نطقوا ... ولا جرت خيلهم شوطا بميدان
واليوم أنشدهم شعرا يعيد لهم ... عهد (النواسي) أو أيام (حسان) (7)

(1) الأريكة: سرير الملك. وقد شبه في هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديوي من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج. ومناسك الحج: أموره وشؤونه، أو المواضع الذي تذبح فيها ذبائحه.

(2) أولاك: أعطاك.

(3) كسرى: لقب ملك الفرس. وبوران، هي بوران دخت بنت كسرى؛ أو هي بوران بنت الحسن بن سهل. شبه شعره باللآلئ التي في هذا التاج وذاك العقد.

(4) أغراه به: حضه عليه.

(5) عمان، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ. يقول: إن مغاص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يغوصون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من اللآلئ الغالية التي أرصع بها شعري وأحول بينهم وبينها؛ وهي مبالغة في تشبيه شعره بالنفاسة. والثاني بالهمز (وسهل الشعر): المبغض السيئ الخلق.

(6) الشأو: الغاية. ويريد «بالنظام والوزان»: الذين يقولون الشعر خاليا من المعاني ذات القيمة.

(7) يريد «بالنواسي»: أبا نواس الشاعر المعروف. وحسان، هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية.

أزف فيه إلى (العباس) غانية ... عفيفة الخدر من آيات عدنان (1)
من الأوانس حلاها يراع فتى ... صافى القريحة صاح غير نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيده ... ولا استعان بمدح الراح والبان (2)
ولا استهل بذكر الغيد مدحته ... فى موطن بجلال الملك ريان (3)
أغليت بالعدل ملكا أنت حارسه ... فأصبحت أرضه تشري بميزان
جرى بها الخصب حتى أنبتت ذهبا ... فليت لي في ثراها نصف فدان
نظرت للنيل فاهتزت جوانبه ... وفاض بالخير في سهل ووديان
يجري على قدر في كل منحدر ... لم يجف أرضا ولم يعمد لطغيان (4)
كأنه ورجال الري تحرسه ... مملك سار في جند وأعوان
قد كان يشكو ضياعا مذ جرى طلقا ... حتى أقمت له خزان أسوان (5)
كم من يد لك في القطرين صالحة ... فاضت علينا بجود منك هتان (6)

(1) شبه قصيدته في حسنها وجمالها بالغانية، وهي الفتاة التي غنيت بجمالها عن الحلي. ويريد بقوله «عفيفة الخدر»: اختصاص مدحته بالخديوي تشبيها لها بالغانية التي لم يطرق خدرها غير حليلها. «ومن آيات عدنان» أي أنها عربية صميمة.

(2) أصغره، أي لسانه. والراح: الخمر. ويريد بقوله: «ولا استعان» إلخ. أنه لم يجر على طريقة الشعراء في ابتداء قصائد المدح بوصف الخمر وما إليها.

(3) استهل: ابتدأ. والغيد من النساء: النواعم اللينات منهن، الواحدة غادة.

(4) على قدر، أي على حساب ومقدار. ويريد بقوله: «ولم يعمد لطغيان»: أنه لم يغرق البلاد البلاد بكثرة فيضانه. ويشير بهذا البيت إلى ما يقوم به المهندسون في تدبير ماء النيل.

(5) طلقا (بضم الطاء واللام، أي منطلقا بلا قيد ولا حبس.

(6) يريد «بالقطرين»: مصر والسودان. وهتان، أي منصب.

رددت ما سلبت أيدي الزمان لنا   وما تقلص من ظل وسلطان (1)
وما قعدت عن السودان إذ قعدوا   لكن أمرت فلبى الأمر جيشان (2)
هذا من الغرب قد سالت مراكبه   وذا من الشرق قد أوفى بطوفان (3)
ولاك ربك ملكا في رعايته   ومده لك في خصب وعمران
من كردفان إلى مصر إلى جبل   عليه كلمه (موسى بن عمران) (4)
فكن بملكك بناء الرجال ولا   تجعل بناءك إلا كل معوان (5)
وانظر إلى أمة لولاك ما طلبت   حقا ولا شعرت حبا لأوطان
لاذت بسدتك العلياء واعتصمت   وأخلصت لك في سر وإعلان (6)
حسب الأريكة أن الله شرفها   فأصبحت بك تسمو فوق كيوان (7)
تاهت بعهد مليك فوق مفرقه   لملك مصر وللسودان تاجان (8)
هذا هو الملك فليهنأ مملكه   وذا هو الشعر فلتنشده أزماني

(1) تقلص، أي تقبض وتقاصر.

(2) يشير بهذا البيت إلى إعادة فتح السودان الذي تم سنة 1898 م. ويريد «بالجيشين»: الجيش المصري والجيش الإنجليزي.

(3) أوفى بطوفان، أي جاء بعدد كثير كطوفان الماء.

(4) كردفان: إقليم من السودان معروف. ويريد «بالجبل»: جبل الطور الذي كلم نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه.

(5) يقول: هيئ لشعبك رجالا تعتد بهم عند الشدائد، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم. (6) سدتك، أي بابك.

(7) كيوان: اسم زحل بالفارسية؛ وهو ممنوع من الصرف وإنما أورده الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية.

(8) المفرق (بفتح الراء وكسرها): وسط الرأس، وهو الموضع الذي يفرق فيه الشعر.

وقال أيضا يهنئ سموه بالعام الهجري

[نشرت في 19 مارس سنة 1904 م]

قصرت عليك العمر وهو قصير ... وغالبت فيك الشوق وهو قدير (1)
وأنشأت في صدري لحسنك دولة ... لها الحب جند والولاء سفير (2)
فؤادي لها عرش وأنت مليكه ... ودونك من تلك الضلوع ستور
وما انتقضت يوما عليك جوانحي ... ولا حل في قلبي سواك أمير (3)
كتمت فقالوا: شاعر ينكر الهوى ... وهل غير صدري بإغلام خبير
ولو شئت أذهلت النجوم عن السرى ... وعطلت أفلاكا بهن تدور (4)
وأشعلت جلد الليل مني بزفرة ... غرامية منها الشرار يطير
ولكنني أخفيت ما بي وإنما ... لكل غرام عاذل وعذير (5)
أرى الحب ذلا والشكاية ذلة ... وإني بستر الذلتين جدير
ولي في الهوى شعران: شعر أذيعه ... وآخر في طي الفؤاد ستير (6)
ولولا لجاج الحاسدين لما بدا ... لمكنون سرى في الغرام ضمير (7)

(1) قصرت عليك العمر، أي حبسته على حبك.

(2) الولاء (بفتح الواو): الإخلاص.

(3) انتقضت، أي فسدت، كما تنتقض الإمارات على أمرائها، أي تخرج عليهم وتشق عصا الطاعة.

(4) السرى: السير بالليل. يقول: إنني لوشئت بثثت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم عن مسيرها، ويعطل الأفلاك عن دورانها، فتصغى لبثي، وترثى لوجدي.

(5) العذير: العاذر والنصير أيضا.

(6) ستير، أى مستور، فعيل بمعنى مفعول.

(7) اللجاج: التمادي في العناد والخصومة. يقول: لولا عناد ذوي الحسد والبغضاء لما بدا مما أكتمه من غرامي وشوقي ما يشعر الناس بهما.

ولا شرعت هذا اليراع أناملي لشكوى ولكن اللجاج يثير (1)
على أنني لا أركب اليأس مركبا ولا أكبر البأساء حين تغير (2)
فكم حاد عنى الحين والسيف مصلت وهان على الأمر وهو عسير (3)
وكم لمحة في غفلة الدهر نفست هموما لها بين الضلوع سعير
فقد يشتفي الصب السقيم بزور وينجو بلفظ عاثر وأسير
عسى ذلك العام الجديد يسرني ببشرى وهل للبائسين بشير؟
وينظر لي رب الأريكة نظرة بها ينجلي ليل الأسى وينير (4)
مليك إذا غنى اليراع بمدحه سرت بالمعاني هزة وسرور (5)
أمولاى إن الشرق قد لاح نجمه وآن له بعد الممات نشور (6)
تفاءل خيرا إذ رآك مملكا وفوقك من نور المهيمن نور (7)
مضى زمن والغرب يسطو بحوله عليّ وما لي في الأنام ظهير (8)

(1) يقال: شرع الرمح، إذا سدده وصوبه. شبه القلم بالرمح في ذلك. ويثير: يهيج.

(2) «لا أكبر اليأساء» إلخ، أي لا أستعظم الشدة إذا نزلت بي، بل أستهين بها وأصبر على مضضها.

(3) الحين (بفتح الحاء): الهلاك. والسيف المصلت: المجرد من غمده.

(4) رب الأريكة: هو خديوي مصر. والأريكة: العرش؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين في قبة أو بيت.

(5) الهزة (بكسر الهاء): الأريحية والخفة.

(6) النشور: البعث.

(7) التفاؤل: من الفأل (بكسر الهمز)، وهو ضد التطير، فهو فيما يستحب، أما التطير، فهو فيما يسوء.

(8) هذا البيت الذي بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره. ويسطو: يعدو. والحول: القوة. والظهير: المعين والنصير.

إلى أن أتاح الله للصقر نهضة ... ففلت غرار الخطب وهو طرير (1)
جرت أمة اليابان شوطا إلى العلا ... ومصر على آثارها ستسير
ولا يمنع المصري إدراك شأوها ... وأنت لطلاب العلاء نصير (2)
فقف موقف (الفاروق) وانظر لأمة ... إليك بحبات القلوب تشير (3)
ولا تستشر غير العزيمة في العلا ... فليس سواها ناصح ومشير (4)
فعرشك محروس وربك حارس ... وأنت على ملك القلوب أمير

تهنئة إلى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أهنيك أم أشكو فراقك قائلا ... أيا ليتني كنت السجين المصفدا (5)
فلو كنت في عهد (ابن يعقوب)لم ... لصاحبه: اذكرني ولا تنسني غدا (6)

(1) كني «بالصقر» عن الشرق. وفل السيف: ثلم حده. والغرار: الحد. والطرير: المحدد. يقال: طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا، أي حدده.

(2) الضمير في «شأوها» لأمة اليابان السابق ذكرها. والشأو: الغاية.

(3) الفاروق: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

(4) يقول إذا حاولت أمرا تكون غايته المجد والعلا فافعله، ولا تستشر غير عزمك الوثاب، وهمتك البعيدة الغاية.

(5) المقصد: المقيد.

(6) يريد بهذا البيت: أن السجناء يتمنون بقاءهم في السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته، فلو تولى السجن في عهد يوسف عليه السلام لآثر البقاء بجانبه في السجن ولم يقل لصاحبه الذي نجا: (اذكرني عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة يوسف.

مدح كتب به إلى محمد بك هلال (1)

هجعت يا طير ولم أهجع ... ما أنت إلا عاشق مدعي (2)
لو كنت ممن يعرفون الجوى ... قضيت هذا الليل سهدا معي (3)
يا من تحاميتم سبيل الهوى ... أعيذكم من قلق المضجع (4)
وحسرة في النفس لو قسمت ... على ذوات الطوق لم تسجع (5)
ويا بني الشوق وأهل الأسى ... ومن قضوا في هذه الأربع
عليكم من واجد مغرم ... تحية الموجع للموجع (6)
لله ما أقسى فؤاد الدجى ... على فؤاد العشق المولع
هذا غليظ لم يرضه الهوى ... ما بين جنبي أسود أسفع (7)
وذاك في جنبي فتى مدنف ... على سوى الرقة لم يطبع (8)

(1) هو ابن إبراهيم بك هلال؛ وكان – رحمه الله – شاعرا مجيدا وكاتبا فاضلا، قد اشتغل بالصحافة زمنا غير قصير، وكانت له صحيفة اسمها «النواب»، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث في البلاد في نصف القرن الأخير. وتوفي رحمه الله في ليلة الأحد 11 سبتمبر سنة 1932 م.

(2) الهجوع: النوم بالليل.

(3) الجوى: الحرقة وشدة الوجع من عشق أو حزن.

(4) تحامى الشيء: تجنبه وبعد عنه.

(5) ذوات الطوق: الحمائم؛ والطوق، هو البياض المحيط بأعناقها. وتسجع: تهدر وتردد أصواتها.

(6) الواجد: ذو الوجد.

(7) يشير بقوله «هذا» إلى «فؤاد الدجى» السابق ذكره. وراضه يروضه: ذلله. والأسفع: الشديد السواد؛ يريد الليل.

(8) يشير بقوله: «ذاك» إلى فؤاد العاشق «السابق ذكره». والمدنف: الذي أثقله المرض المشرف على الموت.

وأغيد أسكنته في الحشا ... وقلت: يا نفس به فاقنعي (1)

نفاره أسرع من خاطري وصده أقرب من مدمعي
وخده لا تنطفي ناره كأنما يقبس من أضلعي (2)
تساءلت عني نجوم الدجى لما رأتني دائي المصرع
قالت: نرى في الأرض ذا لوعة قد بات بين البأس والمطمع
يئن كالمفئود أو كالذي أصابه سهم ولم ينزع (3)
إن كان في بدر الدجى هائما أما لهذا البدر من مطلع؟
أو كان في ظبي الحمى مغرما أما لهذا الظبي من مرتع
هيهات يا أنجم أن تعلمي مثير أشجاني أو تطمعي (4)
إني لضنان بذكر اسمه ضنى بود الكاتب الألمعي (5)
الضارب الجزية منذ انتشى على يراع الشاعر المبدع (6)

(1) الأغيد: المائل العنق، اللين الأعطاف، المتثني لينا؛ والأنثى: غيداء.

(2) قبس النار واقتبسها: أخذ منها قبسا (بالتحريك)، أي شعلة.

(3) المفئود: المصاب بفؤاده.

(4) أو تطمعي، أي تطمعي في علم ذلك.

(5) الضنان: الشديد الضن، وهو البخل. والألمعي: الذكي المتوقد ذكاء.

(6) الجزية: ما يفرض من الضرائب على الرءوس. ومعنى البيت أن هذا الممدوح قد فرض منذ نشأته على المبدعين من الشعراء أن يؤدوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء. ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة «انتشى» بمعنى نشأ، كما هو المراد في هذا البيت.

والحامل الأقلام مشروعة ... كأنها بعض القنا الشرع (1)
إذا دعا القول أتى طائعا ... وأن دعاه العي لم يسمع (2)
صحبته دهرا فألقيته ... فتى كريم الأصل والمنزع (3)
مودة كالخمر إن عتقت ... جادت وفضل باسم المشرع (4)
وعزمة لو قسمت في الورى ... باتوا من الشعرى على مسمع (5)

تهنئة (على حيدر بك) بعيد الأضحى وكان مديرا لبنى سويف إذا ذاك

لله عيد كبير ... يزهو بنور جبينك
لم تقتبله البرايا ... إلا للثم يمينك (6)

(1) المشروعة: المسددة نحو الغرض. والقنا: الرماح، والواحدة قناة. والشرع، بمعنى المشروعة.

(2) العى (بالكسر) الحصر والعجز عن البيان.

(3) المنزع: الأصل الذي ينزع إليه أي ينجذب ويميل؛ ويقال: «نزع فلان إلى عرق كريم»، «ونزع إلى أبيه»، أي مال إليه وأشبهه.

(4) الخمر المعتقة (بتشديد التاء): القديمة. والمشرع: المورد الذي يستقي منه.

(5) الشعرى:كوكب نير يطلع بعد الجوزاء. ومعنى البيت: أن عزمته لو وزعت على الناس لسموا إلى منزلة الشعرى. ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود؛ ولم يتسير لنا العثور عليه، فأثبتناها على نقصها.

(6) اقتبل الأمر: استقبله.

تهنئة سليمان أباظة باشا

بإبلاله من مرض ألم به، وبعرس نجله (علي بك) (1)

تراءى لك الإقبال حتى شهدناه ... ودان لك المقدار حتى أمناه (2)
(سليمان) ذكرت الزمان وأهله ... بعز (سليمان) وإقبال دنياه (3)
إذا سرت يوما حذر النمل بعضه ... مخافة جيش من مواليك يغشاه (4)
وإن كنت في روض تغنت طيوره ... وصاحت على الأفنان: يحرسك الله (5)
وكان (ابن داود) له الريح خادم ... وتخدمك الأيام والسعد والجاه
تحل بحيث المجد ألقى رحاله ... (فطاهرة) والبيت والقدس أشباه (6)
لبست الشفا ثوبا جديدا مباركا ... فألبستنا ثوبا من العز نرضاه
وكان عليك الدهر يخفق قلبه ... فلما شفاك الله أهدأت أحشاه
وهنا جديداه الزمان وأصبحت ... تسوق لنا الأيام ما نتمناه (7)

(1) سليمان أباظة باشا، هو ابن حسن أباظة؛ وكان مولده في نحو سنة 1834م ، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية؛ وآخر منصب تولاه نظارة المعارف في عهد المغفور له توفيق باشا الخديوي عقب الثورة العرابية؛ وكانت وفاته في سنة 1897م.

(2) تراءى لك: تصدى لك لتراه. «ودان»: خضع. والمقدار: القدر بالتحريك. بالغ في تصوير الإقبال حتى جعله شيئا يرى.

(3) يريد بسليمان الثاني نبي الله سليمان بن دواد، عليهما السلام.

(4) يشير بهذا البيت إلى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبى الله سليمان مقبلا بجنوده، إذ قال تعالى في سورة النمل: (حتى إذا أتوا على وداي النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون). والموالى: العبيد، الواحد مولى.

(5) الأفنان: الأغصان، الواحد فنن(بالتحريك).

(6) ألقى رحاله: أقام. وطاهرة: بلد بإقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق، وهو بلد الممدوح. ويريد «بالبيت»: الكعبة.

(7) الجديدان: الليل والنهار. ولا يفردان، فلا يقال: الجديد لواحد منهما.

وبات بنوك الغر ما بين رافل بحلة يمن أو شكور لمولاه (1)
(سليمان) دم مادامت الشهب في الدجى وما دام يسري ذلك البدر مسراه
وكن (لعلى) بهجة العرس إنه بعزك في الأفراح تمت مزاياه
ولا تنس من أمسى يقلب طرفه فلم تر إلا أنت في الناس عيناه

فيكتور هوغو

(نشرت سنة 1907م) (2)

أعجم كاد يعلو نجمه في سماء الشعر نجم العربي
صافح العلياء فيها التقى (بالمعرى) فوق هام الشهب (3)
ما ثغور الزهر في أكمامها ضاحكات من بكاء السحب (4)
نظم الوسمي فيها لؤلؤا كثنايا الغيد أو كالحبب (5)

(1) الغر: جمع أغر، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال. ورفل في ثوبه: جر ذيله وتبختر. واليمن: البركة. (2) هو الشاعر الفرنسي المعروف؛ ولد سنة 1802م، وكانت وفاته بباريس سنة 1885م. ومن كتبه: كتاب البؤساء الذي نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك. وفي هذه القصيدة يشير حافظ إلى نفي فكتور بأمر لويس بونابرت في سنة 1851م وإلى خصوبة قريحته في منفاه، وكثرة ما وضع من المؤلفات.

(3) الهام: الرءوس، الواحدة هامة. وقد قارنه بأبي العلاء المعري لأن كليهما شاعر فيلسوف.

(4) الأكمام: جمع كم، وهو غطاء الزهر؛ وكنى بضحك الأزهار عن تفتحها. ويريد «ببكاء السحب»: مطرها.

(5) الوسمى: المطر أول الربيع. والثنايا: الأسنان الواحدة ثنية (بفتح الثاء وتشديد الياء). والغيد: جمع غيداء، وهى المرأة المتثنية لينا.

عند من يقضي بأبهى منظرا   من معانيه التي تلعب بي (1)

بسمت للذهن فاستهوت نهى   مغرم الفضل وصب الأدب

وجلتها حكمة بالغة   أعجزت أطواق أهل المغرب (2)

سائلوا الطير إذا ما هاجكم   شدوها بين الهوى والطرب (3)

هل تغنى أو رنت بسوى   (شعر هوغو) بعد عهد العرب (4)

كان مر النفس أو ترضى العلا   تظمأ الأفلاك إن لم يشرب (5)

عاف في منفاه أن يدنو به   عفو ذاك القاهر المغتصب (6)

بشروه بالتداني ونسوا   أنه ذاك العصامي الأبي (7)

كتب المنفى سطرا للذي   جاءه بالعفو فاقرأ واعجب (8)

أبرىء عنه يعفو مذنب؟   كيف تسدي العفو كف المذنب؟

جاء والأحلام في اصفادها   مالها في سجنها من مذهب (9)

(1) يقضي: يحكم. وأبهى منظرا: خبر «لما» في قوله السابق: «ما ثغور» إلخ.

(2)جلتها: صقلتها. والأطواق: جمع طوق، وهو الطاقة والجهد.

(3) شدوها: تغريدها وترنمها.

(4) أرن: صاح.

(5) مر النفس: شديد المراس.

(6) يشير إلى نفي فكتور سنة 1851 إلى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بونابرت، وقد بقي بعيدا عن وطنه ثماني عشرة سنة، وقد أقسم ألا يعود إلى أرض فرنسا ما دام الإمبراطور على العرش، ولقد بر بقسمه، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الإمبراطور سنة 1870م. ويريد «بالقاهر المغتصب»: لويس بونابرت السابق ذكره.

(7) العصامي: الذي ساد بنفسه، نسبة إلى عصام المذكور في قول الشاعر: نفس عصام سودت عصاما

(8) المنفى: فكتور هوجو.

(9) الأحلام: العقول، الواحد حلم (بالكسر) والأصفاد: القيود، الواحد صفد (بالتحريك).

طبع الظلم على أقفالها بلظاه خاتما من رهب (1)
أمعن التقليد فيها فغدت لا ترى إلا بعين الكتب (2)
أمر التقليد فيها ونهي بجيوش من ظلام الحجب
جاءها (هوجو) بعزم دونه عزة التاج وزهو الموكب (3)
وانبرى يصدع من أغلاها باليراع الحر لابالقضب (4)
هاله ألا يراها حرة تمتطي في البحث متن الكوكب (5)
ساءه ألا يرى في قومه سيرة الإسلام في عهد النبي
قلتعن نفسك قولا صادقا لم تشبه شائبات الكذب: (6)
أنا كالمنجم تبر وثري فاطرحوا تربي وصونوا ذهبي

تهنئة سمو الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى (7)

(1325هـ - 1908م)

سكن الظلام وبات قلبك يخفق وسطا على جنبيك هم مقلق
حار الفراش وحرت فيه فأنتما تحت الظلام معذب ومؤرق (8)

(1) اللظى: النار. (2) أمعن: بالغ. (3) الزهو: الاختيال.

(4) يصدع: يكسر ويحطم. والأغلال: السلاسل، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام). والقضب: السيوف، الواحد قضيب. (5) المتن: الظهر. (6) لم تشبه: لم تخالطه.

(7) في هذه القصيدة يشكر سمو الخديوي على عفوه عن مسجوني دنشواي. وهو يجاري بهذه القصيدة قصيدة إسماعيل صبري باشا التي مطلعها:

لو أن أطلال المنازل تنطق ما ارتد حران الجوانح شيق

(8) المؤرق: المسهد الذي ذهب عنه النوم.

درج الزمان وأنت مفتون المني ... ومضى الشباب وأنت ساه مطرق (1)
عجبا يلذ لك السكوت مع الهوى ... وسواك يبعثه الغرام فينطق
خلق الغرام لا صغريك وطالما ... ظنوا الظنون بأصغريك وأغرقوا (2)
ورموك بالسلوى ولو شهدوا الذي ... تطويه في تلك الضلوع لأشفقوا
أخفيت أسرار الفؤاد وإنما ... سر الفؤاد من النواظر يسرق (3)
نفس بربك عن فؤادك كربه ... وارحم حشاك فإنها تتمزق (4)
واذكر لنا عهد الذين بنايهم ... جمعوا عليك همومهم وتفرقوا
ما للقوافي أنكرتك ولم تكن ... لكسادها في غير سوقك تنفق (5)
ما للبيان بغير بابك واقفا ... يبكي ويعجله البكاء فيشرق (6)
إني كهمك في الصبابة لم أزل ... ألهو وأرتجل القريض وأعشق (7)
نفسي برغم الحادثات فتية ... عودي على رغم الكوارث مورق
إن الذي أغرى السهاد بمقلتي ... متعنت قلبي به متعلق (8)
واثقته ألا أبوح وإنما ... يوم الحساب يحل ذاك الموثق (9)

(1) درج: ذهب ومضى، ومفتون المنى، أي طامع فيما لا ينال.

(2) الأصغران: القلب واللسان. وأغرقوا: بالغوا وأفرطوا.

(3) يقول: إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين.

(4) نفس: فرج وخفف.

(5) تنفق: تروج.

(6) يشرق: يغص.

(7) الهم: العزم والقصد.

(8) أغراه: أولعه به وحضه عليه.

(9) واثقه: عاهده. يريد أن سر حبه سيظل مكتوما إلى يوم القيامة.

وشقيت منه بقربه وبعاده وأخو الشقاء إلى الشقاء موفق
صاحبت أسباب الرضا لركوبه متن الخلاف لما به أتخلق (1)
وصبرت منه على الذي يعيا به حلم الحليم ويتقيه الأحمق (2)
أصبحت كالدهرى أعبد شعره وجبينه وأنا الشريف المعرق (3)
وغدوت أنظم من ثنايا ثغره دررا أقلدها المها وأطوق (4)
(صبري) استثرت دفائنى وهززتني وأريتني الإبداع كيف ينسق (5)
فأبحت لى شكوى الهوى وسبقتني فى مدح (عباس) ومثلك يسبق
قال الرئيس فما لقول بعده باع تطول ولا لمدح رونق (6)
(شوقي) نسبت فما ملكت مدامعي من أن يسيل بها النسيب الشيق (7)

(1) المتن: الظهر. وركو به متن الخلاف: كناية عن المغاضبة والشقاق. يقول: إني وإياه لمختلفان، أنا ملازم فعل ما يرضيه، وهو دائب على أن يخالف ما في طبعي وأخلاقي.

(2) يعيا به: يعجز عنه.

(3) الدهري: الملحد الذي ينكر الإله وينسب الفعل إلى الدهر. وخص الشاعر الشعر والجبين بالذكر لما في الأول من سواد يشبه ظلمة الليل، وما في الثاني من تألق يشبه بياض النهار؛ وليس الدهر إلا الليل والنهار. وهو في البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين: إلحاد في العقيدة، وشرف في النسب. والمعرق (بفتح الراء وكسرها): الذي له أصل في الكرم.

(4) المها: البقر الوحشي، يريد النساء التي تشبهها في جمال العيون، الواحدة مهاة.

(5) استثار: هيج. ويريد «بالدفائن»: ما يضمره القلب من الشجون، الواحدة دفينة. ويشير بذلك إلى قصيدة صبري التي أوردنا مطلعها فيما سبق.

(6) يريد «بالرئيس»: إسماعيل صبرى باشا. وطول الباع: كناية عن اتساع المقدرة وقوة الاستطاعة.

(7) ويريد «بالشيق»: الشائق؛ والذي وجدناه في كتب اللغة أن «الشيق» بمعنى المشتاق؛ وليس مرادا هنا. ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقي في هذا العيد، التي جارى فيها صبري، ومطلعها:

أما العتاب فبالأحبة أخلق | والحب يصلح بالعتاب ويصدق
أعجزت أطواق الأنام بمدحة | سجد البيان لربها والمنطق (1)
لم تتركا لي في المدائح فضلة | يجري بها قلمي الضعيف ويلحق
نفسي على شوق لمدح أميرها | ويراعني بين الأنامل أشوق (2)
ماذا أقول وأنتما في مدحه | بحران بات كلاهما يتدفق
العجز أقعدني وإن عزائمي | لولاكما فوق السماك تحلق (3)
فليهنئ العباس أن بكفه | علمين هزهما الولاء المطلق (4)
وليبق ذخرا للبلاد وأهلها | يعفو ويرحم من يشاء ويعتق
(عباس) والعيد الكبير كلاهما | متألق بإزائه متألق
هذا له تجرى الدماء وذا له | تجرى القرائح بالمديح وتعنق (5)
صدق الذى قد قال فيه وحسبه | أن الزمان لما يقول مصدق:
(لك مصر ماضيها وحاضرها معا | ولك الغد المتحتم المتحقق) (6)

(1) الأطواق: جمع طوق، وهو الوسع والطاقة.

(2) اليراعة: القلم.

(3) السماك: أحد نجمين نيرين يقال لأحدهما: السماك الرامح، وللآخر: السماك الأعزل.

(4) يريد «بالعلمين»: صبري وشوقي السابق ذكرهما.

(5) هذا، أي العيد الكبير. ويشير بقوله «تجري الدماء»: إلى دماء الأضاحي. وذا، أي العباس. وتعنق: تسرع.

(6) هذا البيت من قصيدة صبري في هذا العيد، والتي أشرنا إلى مطلعها فيما سبق.

تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (1)

[نشرت في أول سبتمبر سنة 1908م]

أثنى الحجيج عليك والحرمان ... وأجل عيد جلوسك الثقلان (2)
أرضيت ربك إذ جعلت طريقه ... أمنا وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالدستور حولك أمة ... شتى المذاهب جمة الأضغان
فغدوت تسكن في القلوب وترتعي ... حباتها وتحل في الوجدان (3)
راعيتهم حتى علمت بأنهم ... بلغوا أشدهم على الأزمان
فجعلت أمر الناس شورى بينهم ... وأقمت شرع الواحد الديان
لو أنهم وزنوا الجيوش بمشهد ... رجحت بجيشك كفة الميزان
لو شاء زلزلها على أعدائه ... أو شاء أذهلها عن الدوران (4)
يمشون في حلق الحديد إلى العدا ... وكأنهم سد من الإنسان (5)
وكأن مقدمهم إذا لمع الضحى ... سيل من الهندي والمران (6)
يتواقعون على الردى وصفوفهم ... رغم الوثوب كثابت البنيان (7)

(1) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد في الحاشية رقم 4 ص 15 من هذا الجزء.

(2) الحجيج: جمع حاج. والثقلان: الإنس والجن.

(3) حبات القلوب: سويداواتها. وترتعي حباتها: الارتعاء: الرعي؛ وهو المبالغة في تعلق القلوب به.

(4) زلزلها وأذهلها، أي الأرض. يصف جيشه بالقوة والكثرة، حتى أنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه، أوجعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته.

(5) حلق الحديد: الدروع.

(6) الهندي: السيف. والمران: الرماح القوية اللدنة، الواحدة : مرانة.

(7) الدرى: الهلاك.

فإذا المدافع في النزال تجاوبت ... بزئيرها وتلاحم الجيشان

وإذا القنابل دمدمت وتفجرت ... تحت الغبار تفجر البركان (1)

وإذا البنادق أرسلت نيرانها ... طلقا وأسباب الهلاك دواني (2)

أبصرت جنا في مسالخ فتية ... وشهدت أفئدة من الصوان (3)

مرهم يخوضون الزاخرات وينسفون ... شم الجبال بقوة الإيمان (4)

ثلجت صدورهم وقر قرارهم ... لما حلفت بأوثق الأيمان (5)

تالله ما شكوا بصدقك دونها ... هم يعرفون شمائل السلطان (6)

لكنهم درجوا على سنن به ... لوقاية الدستور خير ضمان (7)

يأيها الشعب الكريم تماسكوا ... وخذوا أموركم بغير تواني

مالي أذكركم وتلك ربوعكم ... مرعى النهى ومنابت الشجعان

أدركتم الدستور غير ملوث ... بدم ولا متلطخا بهوان (8)

(1) استعمال «القنابل» بمعنى قذائف المدافع، استعمال شائع في لغة العصر؛ ولم ترد به لغة العرب. ودمدمت عليهم، أي أرجفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب.

(2) طلقا (بضم الطاء واللام)، أي انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد.

(3) المسالخ والمساليخ: الجلود، الواحد: سلاخ. يقول: إنهم جن في صور إنس.

(4) الزاخرات: البحار. وشم الجبال: أعاليها.

(5) ثلج صدره بالشيء برد واطمأن وسكن قلبه إليه. ويريد «بأوثق الأيمان»: اليمين التي حلفها السلطان على احترام الدستور.

(6) دونها، أي دون اليمين.

(7) درجوا ساروا. والسنن (بالتحريك): الطريق. يقول: إنهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة في جميع الممالك وهي أن يحلف الملك اليمين على احترام الدستور، وإن كان الملك مقطوعا بصدقه عند رعيته، ولكن ليكون ذلك الحلف ضمانا للدستور.

(8) الهوان: الذل.

وفعلتم فعل الرجال وكنتم ... يوم الفخار كأمة اليابان
فتفيئوا ظل الهلال فإنه ... جم المبرة واسع الإحسان (1)
يرعى لموسى والمسيح وأحمد ... حق الولاء وحزمة الأديان
فخذوا المواثق والعهود على هدى ... التوراة والإنجيل والفرقان
وتذوقوا معنى الحياة فإنها ... في مصر ألفاظ بغير معاني
ودعوا التقاطع في المذاهب بينكم ... إن التقاطع آية الخذلان
وتسابقوا للباقيات وأظهروا ... للعالمين دفائن الأذهان (2)
ولى زمان المعتدين كما انطوت ... حيل الشيوخ وإمرة الخصيان (3)
لا الشك يذهب باليقين ولا الرؤى ... تجدى المسيء ولا رقى الشيطان (4)
وضع الكتاب وسيق جمعهم إلى ... يوم الحساب وموقف الإذعان (5)

(1) تفيئوا ظل الهلال، أي التجئوا إليه واستظلوا به؛ يقال: تفيأ الشجرة، إذا دخل في أفيائها، أي ظلها، واستظل بها.

(2) الباقيات: المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها. ويريد «بدفائن الأذهان»: نتائج القرائح وثمرات العقول.

(3) يريد «بإمرة الخصيان»: السلطة التي كانت للإغاوات في القصور.

(4) الرؤى: الأحلام، الواحدة: رؤيا. والرقى: جمع رقية، وهي العوذة التي يرقى بها من به علة. ويشير «بالرؤى والرقي»: إلى أحوال أبي الهدى الصيادي في زمن السلطان عبد الحميد، وما كان يدخل به إلى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرقى والتعاويذ والأحلام وغير ذلك.

(5) يشير بقوله: «وضع الكتاب»: إلى قوله تعالى إخبارا عما يكون في البعث يوم الحساب: (ووضع الكتاب فترى المجرمين) الآية. والمراد بوضع الكتاب هنا: الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور. والكتاب، هو السجل الذي أحصيت فيه أعمالهم. والإذعان: الخضوع والانقياد.

وتوسموهم في القيود فقائل ... هذا فلان قد وشى بفلان (1)

وملبب لغريمه ومطالب ... بدم أريق بمسبح الحيتان (2)

قد جاء يومهم هنا وأمامهم ... بعد النشور هناك يوم ثاني (3)

سبحان من دان القضاء بأمره ... ليد الضعيف من القوي الجاني (4)

يا يوم عاد النازحون لأرضهم ... يتسابقون لرؤية الأوطان (5)

لله كم أطفأت من نارذكت ... دهرا وكم هدأت من أشجان (6)

هذا يطير إلى (فروق) ومن بها ... شوقا وذاك إلى ربى لبنان (7)

خلعوا الشباب على البشير وأخلقوا ... باللثم عهد خليفة الرحمن (8)

وتعانقوا بعد النوى كخمائل ... يحلوا بهن تعانق الأغصان (9)

فترى النساء مع الرجال سوافرا ... لا يتقين عوادى الأجفان

(1) توسموهم، أي تفرسوا في وجوههم وتعرفوا.

(2) يقال: لبب فلان فلانا، إذا أخذ بتلبيبه، أي جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة ثم جره. ومسبح الحيتان: البحر. يشير إلى من كان يأمر السلطان بإغراقهم في مضيق البسفور.

(3) النشور: الإحياء بعد الموت، أي يوم القيامة.

(4) «دان القضاء» إلخ: أي اقتص للضعيف من القوي.

(5) النازحون: البعيدون؛ ويريد رجال السياسة الذين قد نفاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم إياه بالدستور.

(6) ذكت النار: اشتد لهبها.

(7) فروق (بفتح الفاء): اسم القسطنطينية. والربى: جمع ربوة، وهى ما ارتفع من الأرض.

(8) خلعوا الشباب على البشير، أي أنهم كادوا من فرحهم ببشرى العودة إلى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلل شبابهم بدل ثيابهم. اخلقوا باللثم.. إلخ، أي أكثروا من تقبيل عهد الخليفة الخليفة إلى أن صار كالثوب الخلق، أي الرث البالي. ويريد «بعهد الخليفة»: الفرمان المكتوب بعهده إليهم، وتأمين الخائفين منهم.

(9) الخمائل: جمع خميلة، وهى الموضع الكثير الشجر.

عجبا لهن وقد خلقن أوانسا ... يبرزن في فرح وفي أحزان

أهلا بحاسرة اللثام ومن إذا ... سفرت عنا لجمالها القمران (1)

خطرت فعطرت المشارق عندما ... هبت نسائمها من البلقان

يا ليتها خطرت بمصر وأشرقت ... في يوم أسعدها على طهران (2)

أضناهما شوق قد أبيضت له ... كبداهما وتصدع البلقان (3)

عرف الورى ميقاتها فترقبوا ... (تموز) مثل ترقب الظمآن (4)

شهر به بعث الرجاء وأنشرت ... أمم وبدل خوفها بأمان (5)

فله على الدنيا الجديدة نعمة ... يشدو بذكر صنيعها الفتيان (6)

وعلى فرنسيس الحضارة منة ... تتلى أناشيد لها وأغاني

تموز، أنت أبو الشهور جلالة ... تموز، أنت مني الأسير العاني

هلا جعلت لنا نصيبا علنا ... نجري مع الأحياء في ميدان

أيعود منك الآملون بما رجوا ... ونعود نحن الأحياء بذلك الحرمان

(1) حاسرة اللثام: كاشفته. ويريد بها الحرية. وعنا: خضع والقمران: الشمس والقمر.

(2) طهران: مدينة بإيران معروفة، وهي عاصمتها. يتمنى في هذا البيت الدستور والحرية لمصر وإيران مثل تركيا.

(3) أضناه الشوق: أسقمه. وابيضاض الكبد: كناية عن شدة الحزن.

(4) ميقاتها: وقتها. وتموز اسم شهر من السنة المسيحية، يقابل شهر يوليو، وهو الشهر الذي نالت فيه الأمة العثمانية دستورها، كما نالت فيه فرنسا حريتها، واستقلت فيه أمريكا، ولهذا جعله الشاعر ميقات الحريات وإبائها.

(5) أنشرت: من الإنشار، وهو الإحياء بعد الموت.

(6) الدنيا الجديدة: أمريكا. ويشدو: يترنم. والفتيان: الليل والنهار.

تموز، إن بنا اليك لحاجة ... فمتى الأوان وأنت خير أوان

منى على دار السلام تحية ... وعلى الخليفة من بني عثمان (1)

وعلى رجال الجيش من ماش به ... أو راكب أو نازح أو داني (2)

وعلى الألى سكنوا إلى الحسنى سوى ... ذاك الذي يدعوا إلى العصيان (3)

وإلى الحجاز الخارجي وما به ... إلا اقتناص الأصفر الرنان (4)

ما للشريف المنتمي حسبا إلى ... خير البرية من بني عدنان (5)

أمسى يمالئه وينصر عليه ... وضلاله بحثالة العربان (6)

تالله لو جندتما رمل النقا ... ونزلتما بمواطن العقبان (7)

وغرستما أرض الحجاز أسنة ... وأسلتما بحرا من النيران (8)

وأقمتما فيها المعاقل منعة ... من أرض نجد إلى خليج عمان (9)

لدهاكما ورماكما وذراكما ... ماحي الحصون وماسح البلدان (10)

إن تأتيا طوعا وإلا فأتيا ... كرها بلا حول ولا سلطان

(1) دار السلام: الآستانة.

(2) النازح: البعيد.

(3) سكنوا إلى الحسنى: اطمأنوا إليها ولاذوا بها.

(4) الأصفر الرنان: الذهب. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما كان يضمره وإلى الحجاز والشريف من عصيان السلطان والانتفاض عليه إذ ذاك.

(5) الشريف: أمير مكة. والمنتمي: المنتسب.

(6) يمالئه: يشايعه. والحثالة: سفلة الناس.

(7) الضمير في «جندتما» يعود إلى والى الحجاز وشريف مكة. والنقا: القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودبة، شبه بها الجنود في كثرة العدد. ويريد «بمواطن العقبان»: رءوس الجبال، إذ هى التى تسكنها. والعقبان: جمع عقب، وهو من جوارح الطير، وتسميه العرب بالكاسر.

(8) يريد «بالأسنة»: الرماح.

(9) المعاقل: الحصون، الواحد معقل.

(10) يقال: ذرت الريح التراب في الهواء تذروه ذروا وتذريه ذريا، إذا فرقته وأطارته. ويريد «بماحى الحصون» إلخ: السلطان.

وإليك يا فرع الخلائف مدحة عزت شواردها على (حسان) (1)
من شاعر تثب النهى لقريضه وثب النفوس لرنة العيدان (2)
يهدي المديح إلى الملك سبائكا تعنو لهن سبائك العقبان (3)
إن الملوك إذا استوت ألبستها بالمدح تيجانا على تيجان (4)

إلى أحمد شوقي

بك يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة أولى العلمية (5)

إن هنأوك بها فلست مهنئا إني عهدتك قبلها محسودا
قد كان قدرك لا يجد نباهة وسعادة فغدا بها محدودا

تهنئة الخديوي عباس الثاني بقدومه من الحج

مني نلتها يا لابس المجد معلما أدينا ودنيا؟ زادك الله أنعما (6)

(1) الشوادر من الشعر: المعاني التي تشرد عن أذهان الشعراء وتعزب عنها لغرابتها. وحسان هو ابن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف. (2) القريض: الشعر. (3) تعنو: تخضع. والعقبان: الذهب الخالص.

(4) استوت، أي جلست على عروشها وتملكت.

(5) ولد أحمد شوقي بك بالقاهرة حوالى سنة 1868 م وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية التحق بمدرسة الحقوق، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر، ثم سافر إلى أوروبا ليتمم دراسته، ثم عاد إلى المعية ثانية، وبقي بها حتى خلع عباس الثاني، فاستقال. وتوفى رحمه الله في 14 أكتوبر سنة 1932 عن نحو أربعة وستين عاما، وله ديوان شعر مطبوع، جمع فيه أكثر شعره وغير ذلك من الكتب.

(6) الثوب المعلم، هو الذي له علم من طراز وغيره؛ شبه به المجد في وضوحه واشتهاره.

فلله ما أبهاك في مصر حاليا ... ولله ما أتقاك في البيت محرما

أقول وقد شاهدت ركبك مشرقا ... وقد يمم البيت العتيق المحرما:

مشت كعبة الدنيا إلى كعبة الهدى ... يفيض جلال الملك والدين منهما

فياليتني استطعت السبيل وليتني ... بلغت منى الدارين رحبا ومغنما

وفى الركب شمس أنجبت أنجبت الورى ... فتى الشرق مولانا الأمير المعظما

تسير إلى شمس الهدى في حفاوة ... من العز تحدوها الزواهر أينما

فلم أر أفقا قبل ركبك أطلعت ... جوانبه بدرا وشمسا وأنجما

ولو أنني خيرت لاخترت أن أرى ... لعيسك وحدي حاديا مترنما

أسير خلال الركب نحو حظير ... على ربها صلى الإله وسلما

إلى خير خلق الله من جاء ناطقا ... بآياته إنجيل عيسى بن مريما

حللت بأكناف الجزيرة عابرا ... فأنضرت واديها وكنت لها سما

وأشرقت في بطحاء مكة زائرا ... فبات عليك النيل يحسد زمزما

(1) يمم: قصد. والبيت العتيق: الكعبة.

(2) اسطعت: استطعت؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج؛ يشير إلى قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا).

(3) يريد «بالشمس»: أم الخديوي، وكانت قد حجت معه.

(4) يريد «بشمس الهدى»: رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحفاوة: العناية والإكرام. والزواهر: النجوم، والمراد وصيفاتها. وأينما، أي أينما سارت.

(5) العيس: الإبل؛ ويطلق في الأصل على الإبل البيض بياضها شقرة؛ ويقال إنها كرام الإبل، الواحد أعيس، والأنثى عيساء.

(6) أكناف الجزيرة: جوانبها. وأنضرت واديها، أي جعلته ناضرا حسنا بهيجا من الخصب. ويريد بقوله: «وكنت لها سما»: أنه كان لها مطرا؛ وقد هطل المطر في جزيرة العرب أيام حجة.

(7) البطحاء والأبطح: مسيل للماء واسع، فيه دقائق الحصى. وبطحاء مكة: مسيل واديها.

وما ظفرت من بعد (هارون) أرضها   بمثلك ميمون النقيبة منعما

ولا أبصر الحجاج من بعد شخصه   على عرفات مثل شخصك محرما

رميت فسددت الجمار فلم تكن   جمارا على إبليس بل كن أسهما

وإن الذي ترميه وقف على الردى   وإن لاذ بالأفلاك يا خير من رمى

وبين الصفا والمروة ازددت عزة   بسعيك (يا عباس) لله مسلما

تهرول للمولى الكريم معظما   وكم هرول الساعي إليك وعظما

وطفت وكم طافت بسدتك المنى   وكم أمسك الراجى بها وتحرما

ولما استلمت الركن هاجت شجونه   فلو أنه استطاع الكلام تكلما

تذكر (زين العابدين) وجده   وما كان من قول (للفرزدق) فيهما

(1) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف. وميمون النقيبة، أي محمود المختبر (بفتح الباء).

(2) الجمار: الحصى الذي يرمي به الحجاج في منى.

(3) الردى: الهلاك. يقول: إن الذي تميه هالك لامحالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء.

(4) الهرولة: الإسراع في المشي. ويريد «بالساعي»: طالب المعروف.

(5) السدة: الباب. وتحرم بسدته: احتمى بها واستأمن من نوائب الدهر بالوقوف بها كما يستأمن الداخل في الحرم من العدوان عليه.

(6) شجونه، أي أشواقه.

(7) زين العابدين، هو أبو الحسن على بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، أحد الأئمة، وهو من سادات التابعين، ولد في سنة ثمان وثلاثين للهجرة. وتوفي سنة أربع وتسعين وقيل: اثنتين وتسعين. والفرزدق، هو أبو فراس همام بن غلاب التميمي أحد فحول الشعر في العصر الأموي؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة؛ وتوفى بها نحو سنة مائة وعشر هجرية. ويشير الشاعر في هذا البيت إلى قول الفرزدق في قصيدته المشهورة في مدح زين العابدين، ومنها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
فلو يستطيع الركن أمسك راحة مسحت بها يا أكرم الناس منتمى
دعوت لنا حيث الدعاء إجابة وأنت بدعوى الله أطهرنا فما
أمانيك الكبرى وهمك أن ترى بأرجاء وادي النيل شعبا منعما
وأن تبنى المجد الذي مال ركنه وأن ترهف السيف الذي قد تثلما
دعوت لمصر أن تسود وكم دعت لك الله مصر أن تعيش وتسلما
فليت ملوك المسلمين تشبهوا بملك إذا ما أحجم الدهر أقدما
سليل ملوك يشهد الله أنهم أقاموا عمود الدين لما تهدما
لئن بات بالمجد المؤثل مغرما لقد كان (إبراهيم) بالمجد مغرما
وإن تام حب المكرمات فؤاده لقد كان (إسماعيل) فيها متيما
وإن سكنت تقوى المهيمن قلبه فقد كان قلب (توفيق) مفعما
وإن بات نهاضا بمصر إلى الذرا فمن جده الأعلى (علي) تعلما

(**1**)المنتمي: الأصل الذي ينتمي إليه الإنسان، أي ينتسب. ومعنى هذا مأخوذ من قول الفرزدق في زين العابدين:

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

(**2**) أرهف السيف: حدده. وتلثم: تكسر حده، أي تعيد لمصر القوة التي تطرق إليها الضعف.

(**3**)الملك (بسكون اللام): لغة في الملك (بكسرها). وأحجم: تأخر.

(**4**) المجد المؤثل: المؤصل الثابت. وإبراهيم، هو إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير؛ ولد سنة **1789**م ؛ وتولى عرش مصر في حياة أبيه سنة **1848**م وتوفي في نفس السنة التي ولى فيها.

(**5**) تامة الحب والعشق تيما: استعبده. وإسماعيل، هو إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا؛ ولد سنة **1830** م؛ وولى خديوية مصر في **18** يناير سنة **1863** م وعزل عنها سنة **1879** وتوفى في **2** مارس سنة **1895**م.

(**6**) توفيق، هو محمد توفيق باشا ابن اسماعيل باشا ولد في سنة **1852**م وتولى الخديوية سنة **1879** وتوفي سنة **1892**م . والمفعم الممتلئ.

(**7**) على ، أي محمد على باشا جد الأسرة المالكة؛ ولد بمدينة قولة عام **1769**م. وولي مصر عام **1805**م وتوفي في **2** أغسطس سنة **1849**م.

حوى ما حوى من مجدهم ونجارهم ... وزاد فأعيا المادحين وأفحما

دعوا بك واستسقوا فلبى دعاهم ... من الأفق هتان من المزن قد همى

ألح على أوعارهم وسهوا لهم ... وحيا عبوس القفر حتى تبسما

ولما طوى بطحاء مكة هزه ... إلى البيت شوق المستهام فيما

أطاف به ثم أثنى عن فنائه ... ولو عب منه (السامري) لأسلما

طلعت عليهم أسعد الخلق مطلعا ... وعدت إلينا أيمن الخلق مقدما

رجعت وقد دوايت بالجود فقرهم ... وكنت لهم في موسم الحج موسما

وأمنت للبيت الحرام طريقه ... وكان طريق البيت من قبلها دما

ويسرته حتى استطاع ركوبه ... أخو الفقر لا يطويه جوع ولا ظلما

(1) النجار: الأصل. وأفحمه: أعجزه عن الكلام.

(2) استسقوا، أي طلبوا السقيا. والضمير في «دعوا» «واستسقوا» لأهل مكة. والهتان: المنصب. والمزن: السحاب ذو الماء. وهمى: سال لا يثنيه شيء. ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديوي فأخصبت به الأرض وفاضت بالخير.

(3) ألح على أوعارهم: دام عليها. والأوعار: ما صعت من الأرض. وعبوس القفر: ما أجدب منه وقل نباته، فصار كالوجه العابس الذي لا بشر فيه. وتبسم، أي أخصب وكثر نباته، فاستعار «التبسم» لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها.

(4) طوى، أي المزن السابق ذكره. وبطحاء مكة: مسيل واديها. وهزه: حركه. ويمم: قصد.

(5) الفناء: الساحة. ويريد الشاعر بهذا البيت والذي قبله أن السحاب لما روى بطحاء مكة تشوق إلى الكعبة فسار إليها، ثم ارتد عنها إجلالا لها ولم يمطر عليها. وعب منه: شرب. ويريد بالسامري: موسى السامري الوارد ذكره في القرآن في قصة بني إسرائيل، إذ صنع لهم عجلا من الحلي وحضهم على عبادته، وكان ذلك في غيبة نبي الله موسى عليه السلام في ميقات ربه؛ قال تعلى في سورة طه: (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) الآيات.

(6) أيمن الخلق، أي أبركهم.

(7) دما، أي مملوءا بالقتل وسفك الدماء.

(8) لا يطويه، أي لا يرده ولا يصرفه.

وجدت وجادت ربة الطهر والتقى … على العام حتى أخصب العام منكما

فلم تبقيا فوق الجزيرة بائسا … ولم تتركا في ساحة البيت معدما

فأرضيتما الديان والدين كله … لقد رضى الديان والدين عنكما

(تحية محمد سعيد باشا)

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادي عشر من شهر شوال سنة 1330 ه وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

فيك السعيدان اللذان تباريا … يا مصر في الخيرات والبركات

نيل يفيض على سهولك رحمة … وفتى يقيك غوائل العثرات

عاد الرئيس فرحبي بقدومه … وتهللي بمفرج الأزمات

(إلى أمين واصف بك)

قال هذين البيتين ليكتبا في لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية، إذ كان مديرا للقليوبية [نشرا في 9 مايو سنة 1912]

لم نجد ما يفي بقدرك في المجد … فيهدي إلى حماك الكريم

فبعثنا إليك باسمك مكتو … با على صفحة الولاء المقيم

(1) يريد «بربة الطهر»: والدة الخديوي.

(2) محمد سعيد باشا الوزير المعروف ولد في سنة 1863م وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات؛ ورأس الوزارة مرتين الأولى من سنة 1910 إلى سنة 1914م والثانية سنة 1919م وكان وزيرا للمعارف في الوزارة السعدية سنة 1924م ثم اعتزل السياسة إلى أن توفي في 20 يولية سنة 1928م؛ وكان معروفا بالعقل والدهاء في الشئون السياسية.

(3) تباريا: تسابقا.

وقال يودعه:

أنشدها في حفل أقامه كبار موظفي مديرية القليوبية إذا كان مديرا لمديريتهم ونقل

(نشرت في 9 مايو سنة 1912م)

إني دعيت إلى احتفالك فجأة ... فأجبت رغم شواغلي وسقامي

ودعوت شعري يا (أمين) فخانني ... أدبي ولم يرع القريض ذمامي

فأتيت صفر الكف لم أملك سوى ... أملي بصفحك عن قصور كلمي

واخجلتني أيكون هذا موقفي ... في حفلة التوديع والأكرام

وأنا الخليق بأن أرتل للورى ... آيات هذا المصلح المقدام

وأقوم عن نفسي وعن غيري بما ... يقضي الولاء وواجب الإعظام

(بنها)، لقد وفيت قسطك من منى ... وسعادة ورعاية ونظام

فدعى سواك يفز بقرب موفق ... هو في الحكومة نخبة الحكام

لبس التواضع حلة ومشى إلى ... رتب الجلال مسدد الأقدام

وغدا بأبراج العلا متنقلا ... كالبدر يسعده السرى بتمام

(1) الذمام: الحق والحرمة.

(2) بنها: عاصمة مديرية القليوبية.

تهنئة محمود سامي بك (باشا)

قالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتننتال لمناسبة ترقيته إلى منصب كبير في نظارة الأشغال

(نشرت في 12 يوليه سنة 1912م)

رباك والدك الكريم على التقى ... وعلى النزاهة والضمير الطاهر
فنشأت بين رعاية وعناية ... ودرجت بين محامد ومفاخر
وسموت يا (سامي) إلى أوج العلا ... وبرعت قومك بالذكاء النادر
ربى أبوك عقولنا ونفوسنا ... فاهنأ بوالديك (الأمين) وفاخر
واهنأ بما أوتيته من نعمة ... في عهد مولانا الأمير الزاهر
يا مالىء الكرسي منه مهابة ... وكفاية يا ملء عين الناظر
إن التي قلدتها في حاجة ... لعزيمة تمضي ورأى باتر
فأفض ضيائك في النظارة كلها ... واقبض على الأعمال قبض القادر
واخدم بلادك بالذي أوتيته ... من فطنة وأقل عثار العاثر
هنأت مصر ونيلها ورجالها ... لما رأيتك في ثياب الامر
ورأيت في الديوان قدرك عاليا ... والناس تهتف بالثناء العاطر

(1) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المربي المعروف. تولى رحمه الله عدة مناصب عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أمريكا، وتوفى في يوليه سنة 1936.

(2) يشير بهذا البيت إلى أن والد الممدوح من جال التربية بوزارة المعارف، وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن، وتخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء.

(3) العهد الزاهر: المضيء المشرق، ويريد عهد الخديوي عباس الثاني. (4) الباتر: القاطع.

(5) يقال: أقال فلان عثار فلان وعثرته، إذا صفح عن زلته ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه.

ما بين معترف بفضلك معلن أو ضارع لك بالدعاء وشاكر
أمهندس النيل السعيد تحية من مصر تحدوها تحية شاعر
يدعو إلهك أن يكثر بيننا أمثال (سامي) في الزمان الحاضر

إلى الدكتور على إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

(نشرت في 15 سبتمبر سنة 1912م)

هل رأيتم موقفا (كعلي) في الأطباء يستحق الثناء
أودع الله صدره حكمة العلم وأجرى على يديه الشفاء
كم نفوس قد سلها من يد الموت بلطف من وكم سل داء
فأرانا (لقمان) في مصر حيا وحبانا لكل داء دواء
حفظ الله مبضعا في يديه قد آمات الأسى وأحيا الرجاء

تحية خليل مطران بك

أنشدها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان المجيدي

يوم 24 أبريل سنة 1913م

جاز بي عرفها فهاج الغراما ودعاني فزرتها إلماما
جنة تبعث الحياة وتجلو صدأ النفس رونقا ونظاما

(1) سلها: انتزعها وأخرجها. (2) لقمان: حكيم معروف. وحبانا: أعطانا.
(3) المبضع: المشرط. والأسى: الحزن. (4) العرف: الريح الطيبة. وإلماما، أي زيارة قصيرة.

زرتَها موهنا وفي طي نفسي ... ذلة الصب وانكسار اليتامى

وتنقلت في خمائلها الخضر ... يمينا ويسرة وأماما

فإذا روضتان في ذلك الروض ... تميسان تحت ريح الخزامى

جاءتا تخطران والنجم ساه ... وعيون الأزهار تبغي المناما

جازتا موضعي فهب نسيم ... أذكى مني الأسى وهاج الهياما

فترسمت منهما أثر الخطـ ... ـو وخافت في المسير احتشاما

وتسمعت علني أطفئ الشو ... ق وأروي من الفؤاد الأواما

فإذا لهجتان من لهجات الـ ... شرق قد شاقتا فؤادى فهاما

تلك سورية تفيض بيانا ... تلك مصرية تسيل انسجاما

فطنة عند رقة عند ظرف ... عند رأي تخاله إلهاما

مالتا نحو دوحة ترس الأغـ ... ـصان واختارتا لديها مقاما

(1) الموهن: نحو نصف الليل.

(2) الخمائل: المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خميلة.

(3) تميسان: تتبختران. والخزامي: خير البر، وزهره من أطيب الأزهار نفحة.

(4) كنى «بسهو النجم» و«نوم الزهر» عن سكون الليل وركوده ظلامه.

(5) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله «أذكى»؛ وهو خطأ لا تجيزه اللغة، ولعلي في لفظى «أذكى» «وهاج» في هذا الشطر تقديما وتأخيرا؛ والصواب «هاج» في الأول و«أذكى» في الثاني لسلم من ذلك العيب. والأسى: الحزن. والهيام: شدة الشوق.

(6) خافت في المسير، أي خفضت منه وخفقت من وقع الخطو لئلا يسمع.

(7) الأوام: شدة العطش. ويريد الاشتياق إلى حديثهما.

(8) المراد «باللهجة» هنا: طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام.

(9) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة.

ثم ألقت قناعة بنت مصر　　وأماطت بنت الشام اللثاما
فتوهمت أن قد انفلق البد　　ر وقد كنت أنكر الأوهاما
فتواريت ثم علقت أنفا　　سي ما استطعت وارتديت الظلاما
ظنتا ذلك المكان خلاء　　لا رقيبا يخشى ولا نماما
فجرى فيه ما جرى من حديث　　كان بردا على الحشا وسلاما
حين قالت لأختها بنت مصر:　　إنكم أمة أبت أن تضاما
صدق الشاعر الذي قال فيكم　　كلمات نبهن منا النياما:
ركبوا البحر جاوزوا القطب فاتوا　　موقع النيرين خاضعوا الظلاما
يتمطون الخطوب في طلب العيـ　　ـش ويبرون للنضال السهاما
فانبرت ظبية الشام وقالت:　　بعض هذا فقد رفعت الشاما
أنتم الأسبقون في كل مرمى　　قد بلغتم من كل شيء مراما
إنما الشام والكنانة صـنوا　　ن رغم الخطوب عاشا لزاما
أمكم أمنا وقد أرضعتنا　　من هواها ونحن نأبى الفطاما
قد نزلنا جواركم فحمدنا　　منكم الود والندى والذماما

(1) أماطت اللثام: أبعدته ونحته.

(2) علقت أنفاسي، أي حبستها عن التردد في صدري لئلا تسمع فيعرف مكاني.

(3) الشاعر، هو حافظ، والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصده له ستأتي في هذا الديوان.

(4) النيران: الشمس والقمر. يصف عزم الشاميين وكثرة ارتحالهم في طلب الرزق.

(5) بعض هذا، أي قولي بعض هذا إذ لانستحق كله.

(6) الصنو: الأخ الشقيق.

(7) يريد «بالأم»: اللغة العربية.　　(8) الذمام: الحرمة والذمة.

وحللنا في أرضكم فأصبنا منزلا مخصبا وأهلا كراما
وغشينا دياركم حيث شئنا فلقينا طلاقة وابتساما
وشربنا من نيلكم فنسينا ماء لبنان سلسلا والغماما
وقبسنا من نوركم فكتبنا وأجدنا نثارنا والنظاما
وتلونا آيات شوقي وصبري فرأينا ما يبهر الأفهاما
ملأ الشرق حكمة وأقاما في ثنايا النفوس أني أقاما
غنيا المشرقين ما ترك الأفـ ـلاك حيرى وأذهل الأجراما
وأعاد عهد الرشيد لعبا س فكانا يرعاه والحساما
فإشارت فتاة مصر وقالت: قدك، لم تتركي لمصر كلاما
أنتم الناس قدرة ومضاء ونهوضا إلى العلا واعتزاما
أطلعت أرضكم على كل أفق أنجما إثر أنجم تترامى
تركب الهول لا تفادي وتمشي فوق هام الصعاب لاتتحامى
قد سمعنا (خليلكم) فسمعنا شاعرا أقعد النهى وأقاما
وطمعنا في شأوه فقعدنا وكسرنا من عجزنا الأقلاما

(1) السلسل: العذب.

(2) يريد «بالرشيد»: الخليفة العباسي، وكان عصره حافلا بالأدباء والشعراء. ويريد «بعباس»: الخديوي السابق عباس حلمي الثاني.

(3) قدك :حسبك.

(4) يريد «بالأنجم»: رجال سوريا المتفرقين في أنحاء العالم.

(5) لا تفادي، أي لا تتفادَ.

(6) الشأو: الغابة.

نظم الشام والعراق ومصرا سلك آياته فكان الإماما

فمشى النثر خاضعا ومشى الشعر وألقى إلى الخليل الزماما

ورأى فيه رأينا صاحب النيـ ـل فأهدى إليه ذلك الوساما

شارة زانت القريض فكانت شارة النصر زانت الأعلاما

فعقدنا له اللواء علينا واحتفلنا نزيده إكراما

ذاك ما دار من حديث شهي يستفز النهى ويشجى الندامى

قد تسقطته وخالفت فيه من يرى النقل سبة واجتراما

فمن النقل ما يكون حلالا ومن النقل ما يكون حراما

صدق الغادتان يا ليت قومىـ ـنا كما قالتا هو والتئاما

نحن في حاجة إلى كل ما ينـ ـمى قوانا ويربط الأرحاما

فاجعلوا حفلة الخليل صفاء ببين مصر وأختها وسلاما

واسألوا الله أن يديم علينا ملك (عباس) ناضرا بساما

هو آمالنا وحامي حمانا أيد الله ملكه وأداما

(1) صاحب النيل، أي أمير مصر، وكان إذ ذاك عباس الثاني.

(2) تسقط الأخبار: تتبعها وأخذها شيئا بعد شيء.

(3) منع (عباسا) من الصرف لضرورة الوزن.

تهنئة له أيضا للإنعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت في أول إبريل سنة 1913]

وسع الفضل كله صدرك الرحـ — ـب فمن شاء فليهنئ وسامه
لم يزدك الوسام قدرا ولكن — زاد قدر العلا وقدر الكرامه
كم وسام كم حلية كم شعارا — فيك كم شارة وكمين علامة
لإباء وحكمة وإخاء — وصفاء وهمة وشهامه

تحية إلى واصف غالي بك (باشا)

أنشدها في فندق شبرد في 4 يونية سنة 1914 عندما نشر كتابه المعروف «بحديقة الأزهار» الذي ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنشية، وكان يلقي محاضرات وخطب في فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

يا صاحب الروضة الغناء هجت بنا — كرى الأوائل من أهل وجيران
نشرت فضل كرام في مضاجعهم — جر الزمان عليهم ذيل نسيان
إني أحييك عنهم في جزيرتهم — وفي العراق وفي مصر ولبنان
جلوت للغرب حسن الشرق في حلل — لا يستهان بها نساج (هرناني)

(1) الضمير في «وسامه» للصدر.

(2) الروضة الغناء: هي التي تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة نبتها والتفافه.

(3) نساج هرناني. يريد تشبيه واصف غالي بفكتور هوجو الشاعر الفرنسي المعروف مؤلف رواية هرناني، وهي رواية تمثيلية معروفة تعد من عيون الأدب الفرنسي، وقد ترجمت إلى العربية.

ظنوك منهم وقد أنشأت تخطبهم ... بما عنا لك من سحر وتبيان

ما زلت تبهرنا طورا وتبهرهم ... حتى ادعاك وحياك الفريقان

لولا اسمرارك فازوا في اذعائهم ... (بواصف) وخسرنا أي خسران

غرست من زهرات الشرق طائفة ... في أرض (هيجو) فجاءت طرفة الجاني

حديقة لك لم نعهد لها شبها ... بين الحدائق في زهر وأفنان

يحي شذاها نفوس الوافدين وما ... مروا بورد ولا طافوا بريحان

لكنها من أزاهير النهى جمعت ... ما لا تنافحه أزهار بستان

بالأمس كان لها شرق تضوع به ... واليوم صار لها بالغرب شرقان

أسمعتهم من نسيب القوم فانطلقت ... شؤون كل شجي القلب ولهان

وزدتهم من كلام (البحترى) قطعا ... مثل الرياض كستهاكف (نيسان)

سل (ألفريد) و(لامرتين) هل جريا ... مع (الوليد) أو (الطائي) بميدان

(1) ظنوك منهم، أي ظنوك الفرنسيون فرنسا منهم. وعنا: خضع وذل.

(2) يريد بالزهرات: المقطوعات الأدبية التي ترجمها. وهيجو، هو فيكتور هوجو الشاعر المعروف أنظر التعريف به في الحاشية رقم 2 من صفحة 38 من هذا الجزء. والطرفة: الغريب المستحسن المعجب.

(3) الشذا: قوة ذكاء الرائح.

(4) تنافحه، أي تباريه وتبالغه في النفح، أي الرائحة الطيبة.

(5) تضوع: تفوح وتنتشر.

(6) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. ويريد بالقوم شعراء العرب. والشؤون: مجاري الدموع.

(7) نيسان: شهر من شهور السنة المسيحية معروف، وهو يقابل شهر إبريل.

(8) انظر التعريف بألفريد ديموسيه في الحاشية رقم 2 من صفحة126 من هذا الجزء. ولامارتين، هو الفونس دلا مارتين الشاعر الفرنسي؛ ولد سنة 1790 وتوفي في سنة 1869 وهو معروف برقة الغزل حتى قيل له: شاعر الحب والجمال. والوليد، أبو عبادة البحترى. والطائي، هو أبو تمام حبيب بن أوس؛ وكلاهما شاعر معروف.

وهل هما في سماء الشعر قد بلغا شأو (النواسي) في صوغ وإتقان

ودا وقد شهدا بالحق أنهما في بيت (أحمد) لو يرضى نديمان

أمسى كتابك (كالسيما) يعيد لهم مرأى الحوادث مرت منذ أزمان

قد شاهدا فيه تحت النقع عنترة يصارع الموت بين عبس وذبيان

وشاهدوا أسدا يمشي إلى أسد كلاهما غير هياب ولا واني

هذا من العرب لا يلوى به فزع وذاك أروع من آساد خفان

لله در يراع أنت حامله لوكان في أنملي يوما لأغناني

وقفت تدفع عن آدابنا تهما كادت تقوض منها كل بنيان

فكنت أول مصري أقام لهم على نبالة مصر ألف برهان

(1) وهل هما أي ألفريد ولا مارتين. والنواسي، هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المعروف. والشأو: الغاية.

(2) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسن المتنبي الشاعر المعروف.

(3) النقع: الغبار في الحرب. وعنترة، هو ابن شداد العبسي، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس، وهو صاحب المعلقة التي أولها:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعبس وذبيان: قبيلتان منقبائل العرب معروفتان، ويشير إلى أن الممدوح قد ترجم بعض شعر عنترة في كتابه.

(4) «لا يلوى به فزع»، أي لا يصرفه ولا يرده خوف. والأروع: الشهم الشجاع. وخفان: موضع قرب الكوفة تأوي إليه الأسود. ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى قصيدة البديع الهمذاني التي قالها على لسان بشر بن عوانة، وذكر فيها لقاءه للأسد ومواثبته إياه حتى قتله، وهي من القصائد التي ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرنسية في كتابه السابق ذكره، وأولها:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
ما زلت تلقي على أسماعهم حججا ... في كل ناد وتأتيهم بسلطان
حتى انثنيت وما للعرب مجترئ ... على البناء ولا زار على الباني
محوت ما كتبوا عنا بقاطعة ... من البراهين فلت قول (رينان)
أنحى على الأدب الشرقي مفتريا ... عليه ما شاء من زور وبهتان
ظن الحقيقة في الأشعار تنقصنا ... واللفظ والقصد والتصوير في آن
وأننا لم نصل فيها إلى مئة ... عدا وذاك لعي أو لنقصان
ولو أن (ابن جريج) في قصائده ... لقال آمنت في سري وإعلاني
مالي أفاخر بالموت وبين يدي ... من شعر أحيائنا ليس بالفاني
في شعر (شوقي) و(صبري) ما نتيه به ... على نوابغهم دع شعر (مطران)
بوركت يابن الوزير الحر من رجل ... لم يختلف فيه أو في فضله اثنان
بلغ إذا جئت (باريزا) أفاضلها ... عنا التحيات واشفعها بشكران

(1) السلطان: الحجة والبرهان.

(2) الزاري: العائب.

(3) رينان: هو الفيلسوف الفرنسي المعروف الذي رد عليه الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده فيما رمى الإسلام والمسلمين به من تهم؛ وقد غمز الأدب الشرقي بعدة مغامز سيذكرها الشاعر بعد.

(4) يقال: أنحى عليه بالشتم، إذا أقبل عليه به. والمفترى: الكاذب المختلق.

(5) «وأننا» إلخ، أي ظن أن شعراء العرب لم يصلوا في القصيدة إلى مئة بيت، ونسب ذلك إلى العجز في المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريده الشاعر.

(6) يريد بابن جريج أبا الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بني العباس، الشاعر المكثر، صاحب التوليد الغريب والمعاني المبتكرة؛ ولد ببغداد سنة 221 هـ. وتوفي سنة 283هـ وهو مشهور بالمطولات من القصائد.

(7) الوزير، هو بطرس غالي باشا أبو الممدوح.

وخص كاتبهم (زولا) بأطيبها كيما يقابل إحسان بإحسان
واجعل لسفرك ذيلا في شوارعنا وقف لهن هناك الموقف الثان
وانثر على الغرب من تلك الحلى وأشد بكل حسانة فينا وحسان
وعد إلى الشرق عود الفتحين له وخذ مكانك فيه فوق (كيوان)
واشكر رعاية عباس ومنته واشرح ولاءك يا (غالي) (لعثمان)
واضرع إلى الله أن يرعى أريكتنا مرفوعة الشان ما مر الجديدان

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة

[نشرت في أول يناير سنة 1915م]

هنيئا أيها الملك الأجل   لك العرش الجديد وما يظل
تسنم عرش (إسماعيل) رحبا   فأنت لصولجان الملك أهل

(1) هو أميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف؛ ولد في باريس سنة **1840**م، وتوفى سنة **1902**م.

(2) يرغب حافظ إلى الممدوح أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلا لكتابه الأول.

(3) أشاد بذكره، أي رفعه بالثناء عليه. وبكل حسانة وحسان، أي بكل مجيدة محسنة في الشعر ومجيد محسن. ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشبهان حسان بن ثابت.

(4) كيوان: اسم كوكب زحل بالفارسية.

(5) يرغب إلى ممدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للخديوي ليبلغه إياه، وكان عثمان باشا في سراي الخديوي عباس الثاني في منزلة كبير الأمناء الآن.

(6) الأريكة: سرير الملك. والجديدان: الليل والنهار.

(7) ولد السلطان حسين كامل في يوم (**19** صفر سنة **1270**هـ) (**21** نوفمبر سنة **1853**م)، وفي يوم **19** ديسمبر سنة **1914** تولى عرش مصر. وتوفى رحمه الله في **19** أكتوبر سنة **1917**م.

(8) تسنم العرش: علاه. والصولجان: العصا المعوجة من الطرفح وهو لفظ فارسي معرب؛ وكانت الملوك تتخذه شعارا للملك.

وحصنه بإحسان وعدل فحصن الملك إحسان وعدل
وجدد سيرة العمرين فينا فإنك بيننا لله ظل
لقد عز السرير وتاه لما تبأه المليك المستقل
وهش التاج حين علا جبينا عليه مهابة وعليه نبل
تمنى لو يقر على أبي تذل له الخطوب ولا يذل
وقد نال المرام وطاب نفسا فها هو ذا بلابسه يدل
وما كنت الغريب عن المعالي ولا التاج الذي بك بات يعلو
وإنك منذ كنت ولا أغالي حسام للأريكة لا يفل
فكم نهنهت من غرب العوادي وكم لك في ربوع النيل فضل
وما من مجمع للخير إلا ومن كفيك سح عليه وبل
فقد عرف الفقير نداك قدما وقد عرف الكبير علاك قبل
لك العرشان: هذا عرش مصر، وهذا في القلوب له محل
فألف ذات بينهما برأي وعزم لا يكل ولا يمل

(1) العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

(2) تاه: اختال. وتبوأه: جلس عليه.

(3) هش للأمر: ارتاح إليه.

(4) يدل، أي يفرط في التيه والاختيال.

(5) قوله: «ولا التاج الذي بات بك يعلو» أي ليس التاج الذي علا بعلاك غريبا عن المعالي أيضا.

(6) لا أغالي، أي لا أبالغ. ولا يفل، أي لا يثلم حده.

(7) «نهنهت من غرب العوادي»، أي كفكفت من النوائب وصرفتها عن مصر. وغرب السيف ونحوه: حده.

(8) الوبل: المطر الكثير.

فعرش لاتحف به قلوب ... تحف به الخطوب ويضمحل
(أبا الفلاح) كم لك من أياد ... على ما فيك من كرم تدل
وآلاء وإن أطنبت فيها ... وفي أوصافها فأنا المقل
عنيت بحالة الفلاح حتى ... تهيب أن يزور الأرض محل
وكيف يزور أرضا سرت فيها ... وأنت الغيث لم يمسكه بخل
وكم أحييت من أرض موات ... فأضحت تستراد وتستغل
وأخصب أهلها من بعد جدب ... وفاض عليهم رغد ونفل
وكم أسعفت في مصر جريحا ... عليه الموت من كثب يطل
وكنت لكل مسكين وقاء ... وأهلا حين لم تنفعه أهل
وكنت فتى بعهد أبيك ندبا ... له رأى يسدده وفعل
لكل عظيمة تدعى فتبلى ... بلاء مجرب يحدوه عقل
توليت الأمور فتى وكهلا ... فلم يبلغ مداك فتى وكهل

(1) يضمحل: ينحل ويذهب.

(2) كان المغفور له السلطان حسين كامل يعني كل العناية بخبر الفلاح ورخائه؛ وكان رئيسا للجمعية الزراعية مدة من الزمن.

(3) الآلاء: النعم. والمقل: الموجز في الكلام.

(4) المحل: الجدب.

(5) استرداد المكان: طلبه وتخيره للنزول فيه.

(6) النفل: زيادة الخير.

(7) من كثب، أي من قرب.

(8) الوقاء: الحفظ.

(9) الندب، هو من إذا ندب لحاجة أسرع في قضائها، والسريع إلى الفضائل.

(10) يشير بقوله: «توليت الأمور فتى وكهلا»، إلى المناصب التي تولاها في عهد أبيه إسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثاني.

وجربت الحوادث من قديم ... ومثلك من يجربها ويبلو
وكنت لمجلس الشورى حياة ... ونبراسا إذا ما القوم ضلوا
فلم يلمم بساحته جحود ... ولم يجلس به عضو أشل
وما غادرته حتى أفاقوا ... ومن أمراض عيشهم أبلوا
فعش للنيل سلطانا أبيا ... له في ملكه عقد وحل
ووال القوم إنهم كرام ... ميامين النقيبة أين حلوا
لهم ملك على التاميز أضحت ... ذراه على المعالي تستهل
وليس كقومهم في الغرب قوم ... من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
فإن صادقتهم صدقوك ودا ... وليس لهم إذا فتشت مثل
وإن شاورتهم والأمر جد ... ظفرت لهم برأي لا يزل
وإن ناديتهم لباك منهم ... أساطيل وأسياف تسل
فماددهم حبال الود وانهض ... بنا فقيادنا للخير سهل

(1) يبلو: يختبر.

(2) النبراس: المصباح.

(3) ألم بالمكان: زاره زيارة غير طويلة. (4) أبل المريض: شفي. (5) يريد بالقوم: الإنجليز. وميمون النقيبة: محمود المختبر. (6) التاميز: نهر بانجلترا معروف. والذرا: المرتفعات، الواحدة ذروة. وتستهل: تظهر. (7) النهل (بالتحريك): الشرب الأول. والعلل (بالتحريك أيضا): الشرب الثاني. يريد أنه ليس في أمم أوروبا أمة مثل الإنجليز قد ارتوت من منهل الأخلاق. (8) يزل: يخطئ. (9) يقال: تمادا حبال الود، إذا توادا.

وخفف من مصاب الشرق فينا   فنحن على رجال الغرب ثقل

إذا نزلت هناك بهم خطوب   ألم بنا هنا قلق وشغل

حيارى لا يقر لنا قرار   تنازلنا الخطوب ونحن عزل

فأهلا بالدليل إلى المعالي   الا سر يا (حسين) ونحن نتلو

وأسعدنا بعهدك خير عهد   به أيامنا تصفو وتحلو

فأمرك طاعة ورضاك غنم   وسيفك قاطع ونداك جزل

إلى الطبيبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسب طفلة رزقها صديقه محمد بك بدر، وكانت (لونا) هي المولدة.

[نشرت في 15 فبراير سنة 1916]

(للونا) شهرة في الطب تاهت بها مصر وتاه بها مديحي

ومن عجب تدين بدين (موسى) وتأتينا بمعجزة (المسيح)

(1) يريد بالشطر الثاني من هذا البيت أن تأخرنا عن الغربيين جعلنا حملا ثقيلا على كواهلهم. (2) العزل: الذين لا سلاح لهم، الواحد أعزل. الجزل: الكثير. (4) يريد تشبيه هذه الطبيبة في طبها نبي الله عيسى عليه السلام، إذ كانت معجزته إحياء الموتى.

ذكرى شكسبير (1)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بإنجلترا الذى أقيم احتفالا بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته.

[نشرت في مارس سنة 1916م]

يحييك من أرض الكنانة شاعر ... شغوف بقول العبقريين مغرم

ويطربه في يوم ذكراك أن مشت ... إليك ملوك القول عرب وأعجم (2)

نظرت بعين الغيب في كل أمة ... وفى مل عصر ثم أنشأت تحكم

فلم تخطئ المرمى ولا غرو أن دنت ... لك الغاية القصوى فإنك ملهم (3)

أفق ساعة وانظر إلى الخلق نظرة ... تجدهم – وإن راق الطلاء – هم هم (4)

على ظهرها من شر أطماعهم دم ... وفوق عباب البحر من صنعهم دم (5)

تفانوا على دنيا تغر وباطل ... يزول إلى أن ضجت الأرض منهم

فليتك تحيا يا أبا الشعر ساعة ... لتنظر ما يصمى ويدمي ويؤلم (6)

وقائع حرب أجج العلم نارها ... فكاد بها عهد الحضارة يختم (7)

(1) وليم شكسبير، هو الشاعر الإنجليزى المعروف؛ ولد سنة 1564م، وكانت وفاته سنة 1616م.

(2) الأعجم: وصف يطلق على الجمع كما هنا، وعلى المفرد؛ يقال: رجل أعجم، وقوم أعجم.

(3) القصوى: البعيدة.

(4) راقنى طلاؤه: أعجبنى ظاهره.

(5) ظهرها: أى ظهر الأرض.

(6) أصماه السهم: قتله.

(7) أجج العلم نارها: أى أشعلها العلم بمخترعاته المهلكة.

وتعلم أن الطبع لا ولا غالبًا سواء جهول القوم والمتعلم
فما بلغت منه الحضارة مأربًا ولا نال منه العلم ما كان يزعم (1)
أهبت بهذا من قرون ثلاثة وكنت على تلك الطبائع تنقم (2)
وما هدم التجريب رأيًا بنيته ولا زالت الآراء تبني وتهدم
ألا إن ذكرى شكسبير بدت لنا بشير سلام ثغره يتبسم
فلو أنصفوا أبطالهم لتهادنوا قليلًا وحيوا شعره وترنموا (3)
ولم يطلقوا في يوم ذكراه مدفعًا ولم يزهقوا نفسًا ولم يتقحموا (4)
له قلم ماضي الشباة كأنما أقام بشقيه القضاء المحتم (5)
طهور إذا ما دنست كف كاتب وثوب إذا مت قر في الطرس مرقم (6)
ولوع بتصوير الطباع فلم يجز بعاطفة إلا حسبناه يرسم
أراني في (ماكبيث) للحقد صورة تكاد بها أحشاؤه تتضرم (7)
ومثل في (شيلوك) للبخل سحنة عليها غبار الهون والوجه أقتم (8)
وأقعدنى عن وصف (همليت) حسنها وفى مثلها تعيا اليراعة والفم

(1) منه: أى من الطبع. (2) أهبت: دعوت.

(3) تهادنوا قليلًا: أى كفوا عن الحرب. يشير إلى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى.

(4) تقحم الحرب واقتحمها: دخل فيها وخالطها.

(5) شباه القلم: سنه. (6) المرقم: القلم.

(7) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكسبير في خنجر ماكبيث التى ترجمها حافظ ونشرت في هذا الديوان.

(8) الهون: الذل. والأفتم: العابس المتجهم.

دع السحر في (رميو) و(جوليت) إنما ... يحس بما فيها الأديب المتيم
أتاهم بشعر عبقري كأنه ... سطور من الإنجيل تتلى وتكرم
ندى على الأيام يزداد نضرة ... ويزداد فيها جدة وهو يقدم (1)
يؤتى إلى قرائه أن نسجه ... ليوم وأن الحائك اليوم فيهم (2)
كتلك النقوش الزاهيات بمعبد ... لفرعون مازالت على الدهر تسلم
فلم يدن من إحسانه متأخر ... ولم يجر في ميدانه متقدم
أطل عليهم من سماء خياله ... وحلق حيث الوهم لا يتجشم (3)
وجاء ما فوق الطبيعة وقعه ... فأكبر قوم ما أتاه وأعظموا
وقالوا تحدانا بما يعجز النهي ... فلسنا إذن آثاره نترسم (4)
ولم يتحد الناس لكنه امرؤ ... بما كان في مقدوره يتكلم
لقد جهلوه حقبة ثم ردهم ... إليه الهدى فاستغفروا وترحموا (5)
كذاك رجال الشرق لو ينصفونهم ... لقام لهم في الشرق والغرب موسم
أضاء بهم بطن الثرى بعد موتهم ... وأعقابهم عن نور آياتهم عموا
فقل لبنى التاميز والجمع حافل ... به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان في خضم الأساطيل فخركم ... لفخركم بالشاعر الفرد أعظم

(1) يريد بـ«الندى» تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى؛ الذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بتخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها.

(2) يقول: إن شعره لجدة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقرائه أنه قد قيل في هذا العهد الذي قرأوه فيه، وأن قائله لا يزال حيا بينهم.

(3) لا يتجشم: أي لا يتكلف.

(4) تحدانا: بارانا ونازعنا الغلبة. وترسم آثاره: اقتدى بها وسار عليها.

(5) الحقبة: المدة من الدهر.

إلى عظمة السلطان حسين كامل (1)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السرادق الذى أقيم له هناك

[نشرت في 6 مايو سنة 1916م]

في ساحة (البدوى) حلت ساحة عز البلاد بعزها موصول (2)
وأتى (الحسين) يزور قطب زمانه يرعى ويحرس ركبه (جبريل)
زادت مواسمنا (بطنطا) موسمًا لمليكه التقديس والتبجيل
بالساحتين لكل راج موئل ولكل عاف مربع ومقيل (3)
قل للفقير إذا سألت فلا تخف ردا فما في الساحتين بخيل
بركات هذي لا يغيض معينها نفحات تلك كثيرها مأمول (4)
قد أخصب الإقليم حين حللته والغيب لا يبقى عليه محول (5)

(1) انظر التعريف بالمغفور له السلطان حسين كامل في الحاشية رقم 7 ص 67 من هذا الجزء.

(2) يريد «بالبدوي»: السيد أحمد البدوى المعروف ضريحه ومسجده بطنطا. ويريد بالساحة الثانية: ساحة السلطان.

(3) العافي: طالب المعروف. والمربع: المكان يقام فيه وقت الربيع. والمقيل: موضع الراحة نصف النهار.

(4) «هذي»: إشارة إلى ساحة البدوى. ولا يغيض معينها، أي لا يقل ولا ينقص موردها. والمعين في الأصل: الماء الجارى. و«تلك»، إشارة إلى ساحة السلطان.

(5) المحول: الجدب.

وبدا يموج بساكنيه وعطفه قد كاد من طرب اللقاء يميل (1)
ذكروا بمقدمك المبارك موفقا قد قام فيه أبوك (اسماعيل)
في مثل هذا اليوم خلد ذكره أثر له بين العباد جليل
نشر السعود على الوفود وحوله يتجاوب التكبير والتهليل
دامت مآثره ومن يك صنعه كأبيك إسماعيل كيف يزول؟
فاهنأ بملكك يا (حسين) فعهده عهد بتحقيق الرجاء كفيل
وانهض بشعبك في الشعوب فإنما لك بعد ربك أمره موكول
وليهنأ البدوي أن صديقه عن وده المعهود ليس يحول
قد جاءه يسعى إليه وحوله أعلى وأكرم من سقاه النيل (2)

(1) يموج: يضطرب. والعطف: الجانب. (2) يريد «بالأعلى» و«الأكرم»: من كان في ركب السلطان.

عمر بن الخطاب (1)

أنشدها في الحف الذى أقم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز مساء الجمعة 8 فبراير سنة 1918م

حسب القوافى وحسبى حين ألقيها   أنى إلى ساحة (الفاروق) أهديها (2)

لا هم، هب لي بيانا أستعين به   على قضاء حقوق نام قاضيها (3)

قد نازعتني نفسي أن أوفيها   وليس في طوق مثلي أن يوفيها (4)

فمر سرى المعانى أن يواتيني   فيها فإني ضعيف الحال واهيها (5)

(مقتل عمر)

مولى المغيرة، لا جادتك غادية   من رحمة الله ما جادت عواديها (6)

(1) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة 37 قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله، ثم أسلم رضي الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها؛ ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى في حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بدنو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة 32 هـ.

(2) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه فرق بين الحق والباطل.

(3) لاهم، أى اللهم. (4) الطوق: الجهد والطاقة. (5) سرى المعانى: شريفها ورفيعها. ويواتيني: يطيعنى ويمدني.

(6) مولى المغيرة، هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسي الأصل، وكان قد شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه في تخفيفه، فلم يجبه إلى ما طلب، فأسرها في نفسه، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلي. ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقدت أبي لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض. والغادية: السحابة تنشأ غدوة والجمع الغوادى. وجادتك: أمطرتك؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه.

مزقت منه أديما حشوة همم في ذمة الله عاليها وماضيها (1)
طعنت خاصرة (الفاروق) منتقما من الحنفية في أعلى مجاليها (2)
فأصبحت دولة الإسلام حائرة تشكو الوجيعة لما مات آسيها (3)
مضى وخلفها كالطود راسخة وزان بالعدل والتقوى مغانيها (4)
تنبو المعاول عنها وهى قائمة والهادمون كثير في نواحيها (5)
حتى إذا ما تولاها مهدمها صاح الزوال بها فاندك عاليها
واها على دولة بالأمس قد ملأت جوانب الشرق رغدا من أياديها (6)
كم ظللتها وحاطتها بأجنحة عن أعين الدهر قد كانت تواريها (7)
من العناية قد ريشت قوادمها ومن صمم التقى ريشت خوافيها (8)
والله ما غالها قدما وكاد لها واجتث دوحتها إلا مواليها (9)
لو أن لها في صميم العرب قد بقيت لما نعاها على الأيام ناعيها

(1) الأديم: الجلد. وقوله: «عاليها وماضيها» يصف همة عمر بالرقعة والمضاء.

(2) الخاصرة: الخصر. وفي أعلى مجاليها، أي في أوضح مظاهرها.

(3) الآسي: الطبيب. (4) الطود: الجبل العظيم. والمغاني: المنازل، الواحد مغنى.

(5) تنبو: تكل وترتد. (6) الأيادى: النعم.

(7) كم ظللتها، أي أن هذه الدولة ظللت جوانب الشرق.

(8) القوادم: عشر ريشات في مقدم الجناح، وهي كبار الريش الواحدة قادمة. والخوافى: صغار الريش، وهي تحت القوادم. (9) غالها: اغتالها وأهلكها. واجتث استأصل. والدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل، والجمع دوح. ويريد «بالموالي: غير العرب. ويشير بهذا البيت إلى نكبة الدولة الإسلامية على إيديهم، فهم الذين قتلوا عمر، وكانوا سببا في إسقاط الدولة الأموية وإضعاف الدولة العباسة حتى سقطت.

يا ليتهم سمعوا ما قاله (عمر) والروح قد بلغت منه تراقيها (1)
لا تكثروا من مواليكم فإن لهم مطامعا بسمات الضعف تخفيها

(إسلام عمر)

رأيت في الدين آراء موفقه فأنزل الله قرآنا يزكيها (2)
وكنت أول من قرت بصحبته عين الحنيفة واجتازت أمانيها
قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها بنعمة الله حصنا من أعاديها (3)
خرجت تبغي أذاها في (محمدها) وللحنيفة جبار يواليها (4)
فلم تكد تسمع الآيات بالغة حتى انكفأت تناوى من يناويها (5)

(1) يقال بلغت روحه التراقي، إذا شارف الموت. والتراقي: أعالى الصدر حيث يترقى النفس.

(2) يزكيها: يعززها ويؤيدها. ويشير البيت إلى ما كان من عمر – رضي الله تعالى عنه – حين كان يرى الرأي فينزل به القرآن، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية، منها آية، منها آية التحريم في الخمر لما قال: «اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا». ومنها آية الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه، وكان نائما؛ فقال: «اللهم حرم الدخول»؛ فنزلت آية الاستئذان.

(3) يشير الشاعر بهذ البيت إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبي والمسلمين قبل إسلامه، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الإسلام بدخوله فيه.

(4) يواليها: يناصرها، وهو الله تعالى. ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب في إسلام عمر، وذلك أنه كان خرج في يوم من الأيا م ليواصل آذاه للنبي صلى الله عليه وسلم، فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزجها سعيد بن زيد؛ وعيره بذلك، فرجع عمر إليهما غاضبا، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم، وأحسوا هم به، فاختفى خباب، فدخل عمر، فعثر على الصحيفة وقرأما فيها، فأعجب به، وأطراه، ومال قلبه إلى الإسلام، فقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه.

(5) انكفأ: رجع. تناوأ، أي تعادى.

سمعت (سورة طه) من مرتلها فزلزلت نية قد كنت تنويها (1)

وقلت فيها مقالا لا يطاوله قول المحب الذي قد بات يطريها (2)

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت عن كاهل الدين أثقال يعانيها (3)

وصاح فيه (بلال) صيحة خشعت لها القلوب ولبت أمر باريها (4)

فأنت في زمن (المختار) منجدها وأنت في زمن (الصديق) منجيها (5)

كم استراك رسول الله مغتبطا بحكمة لك عند الرأي يلفيها (6)

(عمر وبيعة أبي بكر)

وموقف لك بعد (المصطفى) افترقت فيه الصحابة لما غاب هاديها (7)

بايعت فيه (أبا بكر) فبايعه على الخلافة قاصيها ودانيها

(1) يريد «بالنية»: النية التي كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) لا يطاوله: لا يغالبه. وأطراه يطريه: أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه.

(3) الكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق. (4) بلال، هو ابن رباح، وكان مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، اشتراه ثم أعتقه، وكان له خازنا، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخافونه خوفا من المشركين، وجهر بلال بالأذان. (5) يريد بالصديق: أبا بكر أول الخلفاء الراشدين؛ ويشير بالشطر الثاني من هذا البيت إلى الخلاف الذي سبق مبايعة أبي بكر، وحسمه عمر يوم السقيفة، ومناصرته لأبي بكر مدة خلافته، وسيشير الشاعر إلى ذلك بعد. (6) استراك: أصلها استراءك، أي طلب رأيك. (7) يشير إلى اختلاف المسلمين يوم السقيفة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة في اختيار خليفة لهم، وإلى فضل عمر يومها بلهمه شعثهم وإسراعه إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة.

وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت   بين القبائل واسابت أفاعيها (1)

بات النبي مسجيا في حظيرته   وأنت مستعر الأحشاء داميها (2)

تهيم بين عجيج الناس في دهش   من نبأى قد سرى في الأرض ساريها (3)

تصيح:من قال نفس المصطفى قبضت   علوت هامته بالسيف أبريها (4)

أنساك حبك طه أنه بشر   يجري عليه شؤون الكون مجريها

وأنه وارد لابد مورده   من المنية لا يعفيه ساقيها

نسيت في حق طه آية نزلت   وقد يذكر بالآيات ناسيها

ذهلت يوما فكانت فتنة عمم   وثاب رشدك فانجابت دياجيها (5)

فللسقيفة يوم أنت صاحبه   فيه الخلافة قد شيدت أواسيها (6)

مدت لها (الأوس) كفا كي تناولها   فمدت (الخزرج) الأيدي تباريها (7)

(1) استعرت: اتقدت

(2) سجي الميت: مد عليه ثوبه وغطاه به.

(3) هام يهيم: ذهب على وجهه لا يدري أين يذهب. والعجيج: الصياح ورفع الصوت. والنبأة: الصوت الخفي، ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول: (مات محمد) حتى جاءهم أبو بكر، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقول الله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية؛ فعادوا إلى صوابهم.

(4) الهامة: الرأس.

(5) عمم: عامة. وانجابت: انقشعت وزالت. والدياجي: الظلمات.

(6) الأواسي: جمع آسية، وهي العمود.

(7) الضمير في «لها» و«تناولها» للخلافة. والأوس والخزرج: قبيلتا الأنصار. وتباريها: تنازعها الغلبة على الخلافة.

وظن كل فريق أن صاحبهم　　أولى بها وأتى الشحناء آتيها (1)
حتى انبريت لهم فارتد طامعهم　　عنها وأخي (أبو بكر) أواخيها (2)

(عمر وعلي)

وقولة (لعلي) قالها (عمر)　　أكرم بسامعها أعظم بملقيها! (3)
حرقت دارك لا أبقي عليك بها　　إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير (أبي حفص) يفوه بها　　أمام فارس (عدنان) وحاميها
كلاهما في سبيل الحق عزمته　　لا تنثني أو يكون الحق ثانيها
فاذكرهما وترحم كلما ذكروا　　أعاظما الهوا في الكون تأليها

(عمر وجبلة بن الأيهم)

كم خفت في الله مضعوفا دعاك به　　وكم أخفت قويا ينثني تيها (4)
وفي حديث فتى غسان موعظة　　لكل ذي نعرة يأبى تناسيها (5)

(1) صاحبهم، أي الذي نصبوه للخلافة منهم. (2) أخي أواخيها، أي مكن لها ووثق صلاتها وقواها. والأواخي: العرا، الواحدة آخية. (3) يشير بهذه الأبيات إلى امتناع علي عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة، واهتدى عمر بإحراق بيته إذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة علي فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. (5) فتى غسان، هو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام، كان قد اعتنق الإسلام، وبينما هو يوما يطوف إذ وطئ أعرابي ثوبه، فلطمه

جبلة لطمة هشمت أنفه، فشكاه الأعرابي إلى عمر، فأمر أن يقتص منه، وأبى جبلة ذلك، وهرب، والتجأ إلى القسطنطينية، وتنصر. والنعرة (بتحريك العين)–وسكنت هنا للضرورة –: الخيلاء والكبر.

فما القوي قوي رغم عزته عند الخصومة (والفاروق) قاضيها
وما الضعيف ضعيفا بعد حجته وإن تخاصم واليها وراعيها

(عمر وأبو سفيان)

وما أقلت (أبا سفيان) حين طوى عنك الهدية معتزا بمهديها (1)
لم يغن عنه وقد حاسبته حسب ولا (معاوية) بالشام يجبيها
قيدت منه جليلا شاب مفرقه في عزة ليس من عز يدانيها (2)
قد نوهوا باسمه في جاهليته وزاده سيد الكونين تنويها (3)
في فتح مكة كانت داره حرما قد أمن الله بعد البيت غاشيها (4)

(1) وما أقلت أبا سفيان، أي ما تركته ولا تغاضيت عنه. وبمهديها، أي معاوية. ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية – وهو على الشام – بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر، فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدهم؛ فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر، واحتبس المال لنفسه؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال: فأين المال يا أبا سفيان؟ قال: كان علينا دين ومعونة، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به؛ فقال عمرك اطرحوه في الأدهم (أي القيد) حتى يأتي بالمال، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم، فلما قدم الرسول على معاوية قال: أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم، قال: نعم، وطرح فيه أباك؛ قال: ولم؟ قال: جاءه بالأدهم وحبس المال؛ قال: أي والله، والخطاب لوكان لطرحه فيه.

(2) يريد بقوله (جليلا) وما بعده من الأوصاف: أبا سيفان. والمفرق: وسط الرأس

(3) نوه به. رفع ذكره ومحه وعظمه.

(4) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته آمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين وقوله: «بعد البيت»، أي بعد الكعبة.

وكل ذلك لم يشفع لدى (عمر) في هفوة (لأبي سفيان) يأتيها
تالله لو فعل (الخطاب) فعلته لما ترخص فيها أو يجازيها (1)
فلا الحسابة في حق يجاملها ولا القرابة في بطل يجابيها (2)
وتلك قوة نفس لو أراد بها شم الجبال لما قرت رواسيها (3)

(عمر وخالد بن الوليد) (4)

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت له الفتوح وهل أغنى تواليها (5)
غزى فأبلى وخيل الله قد عقدت باليمن والنصر والبشرى نواصيها (6)

(1) ترخص في الأمر: تساهل. يقول: لو فعل الخطاب، وهو أبو عمر، مثل هذا، ما تساهل في عقابه حتى يجازيه.

(2) الحسابة: الحسب. والبطل: الباطل. (3) الشم: المرتفعة. والواسي الثابتة.

(4) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام، إذا جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبي عبيدة بن الجراح، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما يتم النصر للمسلمين، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق. ويقال: إن سبب عزل خالد أمران: أولها ما كان في نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة، وتزوجه امرأته في حرب الردة؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام، وذلك ليمن طالعه في الحروب وشجاعته. وقد علم عمر بذلك فخشي من افتتان الناس به، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة للمسلمين؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم. ولم يكتم عمر عن خالدما في نفسه من جهته، بل أظهره له، فقال له بعد عزل: «وما عزلتك لريبة فيك، ولكن افتتن الناس بك، فخفت أن تفتتن بالناس». وبقي خالد إلى آخر حياته مطيعا لعمر، وقبل موته أوصى عمر بأولاده؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك. (5) قاهر الفرس والرومان: خالد بن الوليد. (6) النواصي: جمع ناصية، وهي مقدم

الرأس. والمسموع في مثل هذه العبارة إدخال الباء على «النواصي» لا على «اليمن» كما هنا؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود بنواصيها الخير» فدخلوها على اليمن على سبيل القلب، والقلب في اللغة سماعي.

يرمى الأعادي بآراء مسددة ... وبالفوارس قد سالت مذاكيها (1)

ما واقع الروم إلا فر قارحها ... ولا رمى الفرس إلا طاش راميها (2)

ولم يجز بلدة إلا سمعت بها ... الله أكبر تدوي في نواحيها (3)

عشرون موقعة مرت محجلة ... من بعد عشر بنان الفتح تحصيها (4)

و(خالد) في سبيل الله موقدها ... و(خالد) في سبيل الله صاليها (5)

أتاه امر (أبي حفص) فقبله ... كما يقبل آي الله تاليها (6)

واستقبل العزل في إبان سطوته ... ومجده مستريح النفس هاديها

فاعجب لسيد مخزوم وفارسها ... يوم النزال إذا نادى مناديها (7)

يقوده حبشي في عمامته ... ولا تحرك مخزوم عواليها (8)

ألقى القياد إلى الجراح ممتثلا ... وعزة النفس لم تجرح حواشيها (9)

وانضم للجند يمشي تحت رايته ... وبالحياة إذا مالت يفديها

(1) المذاكي: الخيل التى تم سنها وكملت قوتها. وانسيبال المذاكي: كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسيال الماء.
(2) قارحها، أي القوي المكتمل منهم.

(3) المسموع تدوي (بتشديد الواو)، أي يرتفع الصوت بها.

(4) محجلة، أي واضحة مشرقة بالانتصار فيها ومعنى البيت أن خالدا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح

(5) صاليها: أي يقاسي حرها وشدتها. (6) أمر أبي حفص، أي أمر عمر بعزله.

(7) مخزوم قبيلة خالد.

(8) يريد «بالحبشي» بلال بن رباح، وهو الذي نفذ أمر عمر في خالد بأن يجره بعمامته حين استحيا أبو عبيدة من تنفيذه، فهد بلال عمامة خالد ووضعها في رقبته، ثم رجعها إلى رأسه ثانية، وقال: نطيع أمراءنا ونكرم سادتنا. والعوالي: الرماح. وتحريكها كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد.

(9) الضمير في (ألقى): يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد. والجراح، هو أبو عبيدة بن الجراح.

وما عرته شكوك في خليفته ... ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها (1)

(فخالد) كان يدري أن صاحبه ... قد وجه النفس نحو الله توجيها (2)

فما يعالج من قول ولا عمل ... إلا أراد به للناس ترفيها (3)

لذاك أوصى بأولاد له (عمرا) ... لما دعاه إلى الفردوس داعيها

وما نهى (عمر) في يوم مصرعه ... نساء مخزوم أن تبكي بواكيها (4)

وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبنا ... فيه وقد كان اعطى القوس باريها (5)

فقال: خفت افتتان المسلمين به ... وفتنة النفس أعيت من يداويها

هبوه أخطأ في تأويل مقصده ... وأنها سقطة في عين ناعيها (6)

فن تعيب حصيف الرأي زلته ... حتى يعيب سيوف الهند نابيها (7)

تالله لم يتبع في (ابن الوليد) هوى ... ولا شفى غلة في الصدر يطويها

لكنه قد رأى رأيا فأتبعه ... عزيمة منه لم تثلم مواضيها (8)

(1) التمويه: إظهار ما يخالف الباطن.

(2) صاحبه، أي عمر بن الخطاب.

(3) الترفيه: الرغد والنعيم.

(4) يشير إلى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبكين على خالد بن الوليد، فقلا: وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة.

(5) صاحبنا، يريد أبا بكر، «وفيه»، أي في خالد. وأعطى القوس باريها، أي استعان في الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب في تفويض الأمر إلى من يحسنه ويجيده.

(6) هبوه. أي هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس. وفي عين ناعيها، أي في عين من يعدد سقطات عمر وزلاته.

(7) حصيف الرأي: جيده ومحكمه. و«نابيها»، أي ما ينبو منسيوف الهند ويكل ويرتد. يقول من عرف بالحكمة في الرأي لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تنبو مرة.

(8) المواضي: السيروف الماضية. و«لم تثلم»، أي لم تكسر أشفارها.

لم يرع في طاعة الملى خؤولته ... ولا رعى غيرها فيما ينافيها (1)
وما أصاب ابنه والسوط يأخذه ... لديه من رأفة في الحد يبديها (2)
إن الذي برأ (الفاروق) نزهه ... عن النقائص والأغراض تنزيها (3)
فذاك خلق من الفردوس طينته ... الله أودع فيها ما ينقيها
لا الكبر يسكنها، لاالظلم يصحبها، ... لا الحقد يعرفها، لا الحرص يغويها

(عمر وعمر بن العاص) (4)

شاطرت داهية السواس ثروته ... ولم تخفه بمصر وهو واليها (5)
وأنت تعرف (عمرا) في حواضرها ... ولست تجهل (عمرا) في بواديها
لم تنبت الأرض كابن العاص داهية ... يرمي الخطوب برأي ليس يخطيها

(1) خؤولته، أي خؤولة قبيلة خالد لعمر: فأم عمر حنتمة بينت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وفيما ينافيها، أي في معصية المولى.

(2) يقول: إن ابنه لم ينل منه رأفة وهو يحد في شرب الخمر، والسياط تأخذ من جسمه. ويشير بذلك إلى حده ولده عبد الرحمن في الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات.

(3) برأ الفاروق: خلقه.

(4) كان شأن عمر رضي الله عنه مع عماله أن يصادرهم في أنصاف أموالهم؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعون من المال إنما هو حق للمسلمين، فينبغي أن يؤخذ منهم ويرد لبيت المال، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها. وقد كتب إلى عمرو بن العاص: إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر. فكتب إليه عمرو: إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا. فكتب إليه: إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إليّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظنا؛ وقد وجهت إليك محمد بن

مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه عليه وأخرج إليه ما يطالبك به، وأعفه من الغلظة عليك. فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به، ومقاسمة ابن مسلمة ماله. وإلى هذه القصة يشير الشاعر. (5) داهية السواس: عمرو بن العاص.

لم يرغ حيلة فيما أمرت به ... وقام (عمرو) إلى الأجمال يزجيها (1)
ولم تقل عاملا منها وقد كثرت ... أمواله وفشا في الأرض فاشيها (2)

(عمر وولده عبد الله) (3)

وما وقى ابنك (عبد الله) أيقنه ... لما اطلعت عليها في مراعيها (4)
رأيتها في حماه وهي سارحة ... مثل القصور قد اهتزت أعاليها
فقلت: ما كان (عبد الله) يشبعها ... لو لم يكن ولدي أو كان يرويها
قد استعان بجاهي في تجارته ... وبات باسم (أبي حفص) ينميها (5)
ردوا النياق لبيت الما إن له ... حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهذه خطة لله واضعها ... ردت حقوقا فأغنت مستميحيها (6)
ما الاشتراكية المنشود جانبها ... بين الروى غير مبنى من مبانيها (7)
فإن كن نحن أهليها ومنبتها ... فإنهم عرفوها قبل أهليها (8)

(1) أراغ يريغ: طلب. ويزجيها: يسوقها.

(2) ولم تقل عاملا منها، أي لم تعف أحدا من عمالك من مشاطرة ماله. وفشا، أي انتشر وكثر.

(3) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروي من أن عمر مر يوما بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها فقيل له: عبد الله، فساقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفي لها، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطعامها. (4) الأينق: النياق.

(5) ينميها: يزيدها. (6) أغنت مستميحيها، أي أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال. (7) المنشود: المطلوب. يريد أن المذهب الاشتراكي المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التي سار عليها عمر. (8) فإن نكن نحن، أي العرب، أهل هذه الخطة وفينا نبتت، فإن الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها.

(عمر ونصر بن حجاج) (1)

جنى الجمال على (نصر) فغربه   عن المدينة تبكيه ويبكيها
وكم رمت قسمات الحسن صاحبها   وأتعبت قصبات السبق حاويها (2)
وزهرة الروض لولا حسن رونقها   لما استطالت عليها كف جانيها
كانت له لمة فينانة عجب   على جبين خليق أن يحليها (3)
وكان أنى مشى مالت عقائلها   شوقا إليه وكاد الحسن يسببها (4)
هتفن تحت الليالي باسمه شغفا   وللحسان تمن في لياليها
جززت لمته لما أتيت به   ففاق عاطلها في الحسن حاليها (5)
هل من سبيل إلى خمر فأشربها   أو من سبيل إلى نصر بن حجاج

(1) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما روي من أن عمر – رضي الله عنه – مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول:

فقالت لها امرأة معها: من نصر؟ قالت: رجل أود لوكان معي طول ليلة ليس معنا أحد. فدعا بها عمر، فخفقها بالدرة، ودعا بنصر فحلق لمته، فعاد أحسن مما كان؛ فقال: لا تساكني في بلدة يتمناك النساء بها، وأخرجه إلى البصرة. وحاول نصر أن يعود إلى المدينة، فأبى عليه عمر وقال: أما ولي سلطان فلا. وكان نصر من أجمل الناس.

(2) قسمات الحسن: مجاليه. وقصبة السبق: ما ينصب في ميدان السباق، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق.
(3) اللمة (بالكسر): الشعر المجاور شحمة الأذن، والجمع لمم. وفينانة: طويلة حسنة

(4) عقائلها، أي عقائل المدينة. وعقائل النساء: كرائمهن، الواحدة عقيلة. ويسيبها: يأسرها.

(5) عاطل اللمة: المجرد منها. وحاليها: المتزين بها.

فصحت فيه تحول عن مدينتهم فإنها فتنة أخشى تماديها
وفتنة الحسن إن هبت نوافحها كفتنة الحرب إن هبت سوافيها (**1**)

(عمر ورسول كسرى) (2)

وراع صاحب (كسرى) أن رأى عمرا بين الرعية عطلا وهو راعيها (**3**)
وعهده بملوك الفرس أن لها سورا من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقا في نومه فرأى فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ببردة كاد طول العهد يبليها (**4**)
فهان في عينيه ما كان يكبره من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها:
أمنت لما أقمت العدل بينهم فنمت قرير العين هانيها

(**1**) نوافحها: أي روائحها الطيبة، جمع نافحة. وسوافي الحرب، أي عواصفها. والأصل في السوافي: الريح تحمل الغبار. ويقول: إن الحسن يفعل في النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها. ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ «لوافحها» باللام مكان «نوافحها» بالنون، واللوافح: الرياح الحارة المحرقة، جمع لافحة؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر.

(**2**) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدي إلى قصره، فعلم أنه لا يسكن قصرا، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب، وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت، جاعلا منه وسادة أسند إليه رأسه، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الدنيا ما يميزه من أصغر فرد في رعيته؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة: عدلت يا عمر وأمنت فنمت.

(**3**) عطلا (بالضم)، أي متجردا من مظاهر الأبهة.

(**4**) الدوح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة المتسعة الظل. واشتمل الرجل بثوبه: تلفف به وأداره على جسده.

(عمر والشورى) (1)

يا رافعا راية الشورى وحارسها — جزاك ربك خيرا عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها — وللمنية آلام تعانيها (2)
لم أنس أمرك للمقداد يحمله — إلى الجماعة إنذارا وتنبيها
إن ظل بعد ثلاث رأيها شعبا — فجرد السيف واضرب في هواديها (3)
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها — طعم المنية مرا عن مراميها
درى عميد بنى الشورى بموضعها — فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأي في حكومته — إن الحكومة تغري مستبديها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به — رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

(1) كان عمر ممن يأخذون بالشورى في أمورهم، وكان يقول: لا خير في أمر أبرم من غير شورى. وهو أول من قرر قاعدة الشورى في انتخاب الخليفة، فقد سئل عند ما طعن عمن يوصي به بعده، فقال للمقداد بن الأسود: إذاوضعتموني في حفرتي فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإت اجتمع الخمسة ورضوا رجلا فاضرب رأسه بالسيف؛ وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما، فإن رضي ثلاثة رجلا وثلاثة منهم، فخكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس. وإلى هذه القصة يشير الشاعر. (2) دولتها، أي دولة الشورى. (3) بعد ثلاث، أي بعد ثلاث ليال. والهوادي: الأعناق.

(مثال من زهده)

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها فلم يغرك من دنياك مغريها (1)
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه خيل مطهمة تحلو مرائيها (2)
مشى فهلمج مختالا براكبه وفي البراذين ما تزهى بعاليها (3)
فصحت:يا قوم، كاد الزهو يقتلني وداخلتني حال لست أدريها
وكاد يصبو إة دنياك (عمر) ويرتضي بيع باقيه بفانيها (4)
ردوا ركابي فلا أبغي بد بدلا ردوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

(مثال من رحمته) (5)

ومن رآه أمام القدر منبطحا والنار تأخذ منه وهو يذكيها (6)
وقد تخلل في أثناء لحيته منها الدخان وفوه غاب في فيها (7)

(1) صدف: أعرض وصد. (2) البرذون: ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر.ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى، فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه، فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: قبح الله من عملك، هذا من الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما فركبه؛ ثم سار إلى بيت المقدس، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا. (3) الهملجة: حسن السير في تبختر. وأزهي، بالبناء للمجهول: اختال. وعاليها: راكبها. (4) يصبو: يميل. (5) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روي من أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام؛ ول ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا. (6) انبطح: نام على وجهه ممتدا على الأرض. وأذكى النار: أوقدها. (7) فوه غاب في فيها، أي غاب في فم النار وهو ينفخها.

ورأى هناك أمير المؤمنين علي   حال الورع – لعمر الله – رائيها
يستقبل النار خوف النار في غده   والعين من خشية سالت مآقيها (1)

(مثال من تقشفه وورعه) (2)

إن جاع في شدة قوم شركتهم   في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها (3)
جوع الخليفة – والدنيا بقضته –   في الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يباري (أبا حفص) وسيرته   أو من يحاول (للفاروق) تشبيها
يوم اشتهت زوجة الحلوى فقال لها: من أين لي ثمن الحلوى فأشريها
لا تمتطي شهوات النفس جامحة   فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها (4)
وهل يفي بيت مال المسلمين بما   توحي إليك إذا طاوعت موحيها
قالت: لك الله إني لست أرزؤه   مالا لحاجة نفس كنت أبغيها (5)
لكن أجنب شيئا من وظيفتنا   في كل يوم على حال أسويها (6)

(1) المآقي: جمع مأق ومؤق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع.

(2) يشير الشاعر بهذا الأبيات الآتية إلى حادثتين من تقشف عمر: الأولى، ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم إلى أن تنتهي المجاعة، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون. والثانية، ما حكي عنه من امرأته اشتهت الحواء، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها، فلما نمى هذا إلى عمر رد ما ادخرت إلى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادخرت.

(3) «أو تنجلي» إلخ، أي حتى تنكشف عنهم غواشيها، أي ما يغشاهم ويشملهم من الشدة والقحط، الواحدة غاشية.

(4) تجزيها، أي تغني عنها. (6) وظيفتنا، أي ما يجري علينا من بيت المال.

حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها شريتها ثم إني لا أثنيها (1)

فقال: اذهبي واعلمي إن كنت جاهلة أن القناعة تغني نفس كاسيها (2)

ويلي على عمر يرضى بموفية على الكفاف وينهى مستزيديها (3)

مازاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومي لبيت المال رديها

كذاك أخلاقه كانت وما عهدت بعد النبوة أخلاق تحاكيها

(مثال من هيبته)

في الجاهلية والإسلام هيبته تثني الخطوب فلا تعدو عواديها

في طي شدته أسرار مرحمة للعالمين ولكن ليس بفشيها

وبين جنبيه في أوفى صرامته فؤاد والدة ترعى ذراريها (4)

أغنت عن الصارم المصقول درته فكم أخافت غوى النفس عاتيها (5)

كانت له كعصا (موسى) لصاحبها لا ينزل البطل مجتازا بواديها (6)

(1) لا أثنيها، أي لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية. كاسيها، أي المتجمل بها. (2) بومفية على الكفاف، أي بما يزيد على الحاجة من الرزق. (4) أوفى صرامته، أي في أقصى شدته. (5) الصارم المصقول: السيف المجلو. والدرة: العصا يضرب بها، ودرة عمر معروفة. والغوى: الضال. (6) البطل (بالضم): الباطل. ويريد بالشطر الثاني أنه لا يضرب بها إلا في الحق.

أخاف حتى الذراري في ملاعبها وراع حتى الغواني في ملاهيها (1)

أريت تلك التي لله قد نذرت أنشودة لرسول الله تهديها (2)

قالت: نذرت لئن عاد النبي لنا من غزوة لعلى دفى أغنيها

ويممت حضرة الهادي وقد ملأت أنوار طلعته أرجاء ناديها

واستأذنت ومشت بالدف واندفعت ... تشجي بألحانها ما شاء مشجيها (3)

(والمصطفى) (وأبو بكر) بجانبه ... لا ينكران عليها من أغانيها

حتى إذا لاح من بعد لها (عمر) ... خارت قواها وكاد الخوف يرديها (4)

وخبأت دفها في ثوبها فرقا ... منه وودت لو أن الأرض تطويها (5)

قد كان حلم الرسول يؤنسها ... فجاء بطش (أبي حفص) يخشيها

فقال مهبط وحي الله مبتسما ... وفى ابتسامته معنى يواسيها

قد فر شيطانها، لما رأى عمرا ... إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

(1) الغواني: النساء غنين بحسنهن وجمالهن عن الزينة، الواحدة غانية.

(2) أريت، أي أرأيت: ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده إلى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف، وتغني بين يديه؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتفي بنذرها، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك، فلما طلع عليها عمر أسقط في يدها واضطربت فروح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال متبسما: «لقد فر شيطانها» حين رأى عمر.

(3) تشجي: تطرب.

(4) خارت قواها: ضعفت. وأرداه: أهلكه.

(5) الفرق: الخوف. يخشيها: يخوفها.

(مثال على رجوعه إلى الحق) (1)

وفتية ولعوا بالرح فانتبذوا لهم مكانا وجدوا في تعاطيها (2)
ظهرت حائطهم لما علمت بهم والليل معتكر الأرجاء ساجيها (3)
حتى تبينتهم والخمر قد أخذت تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها (4)
سفهت آراءهم فيها فلما لبثوا أن أوسعوك على ما جئت تسفيها (5)
ورمت تفقيههم في دينهم فإذا بالشرب قد برعوا (الفاروق) تفقيها (6)
قالوا: مكانك قد جئنا بواحدة وجئتنا بثلاث لا تباليها
فأت البيوت من الأبواب (يا عمر) فقد يزن من الحيطان آتيها (7)
واستأذن الناس أن تغشى بيوتهم ولا تسلم بدار أو تحييها (8)

(1) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسوّر الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها: وهي دخوله عليهم من غير الباب، وعدم استئذانه، وتجسسه عليهم، وكل هذه نهى عنها الله، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم.

(2) الراح: الخمر.

(3) ظهر الحائط: علاه. واعتكر الليل: اختلط ظلامه. والليل الساجي: الساكن الراكد الظلمة.

(4) يريد بالذؤابة أعلى الرأس. والذؤابة في الأصل: الضفيرة من الشعر. وحاسيها: شاربها.

(5) فيها، أى في الخمر. (6) الشرب: الشاربون. برعوا: فاقوا.

(7) نون «عمر» هنا لضرورة الوزن. وفى كتب النحو أن المنادي المبني على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان: الضم والنصب؛ فمن الأول: * سلام الله يا مطر عليها* ومن الثانى: * يا عديا لقد وقتك الأواقى* ويزن: يتهم.

(8) أي لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها.

ولا تجسس فهذى إلا قد نزلت بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم لما رأيت كتاب الله يمليها
وما أنفت وإن كانوا على حرج من أن يحجك بالآيات عاصيها (1)

(عمر وشجرة الرضوان) (2)

وسرحة في سماء السرح قد رفعت ببيعة المصطفى من رأسها تيها (3)
أزلتها حين غالوا في الطواف بها وكان تطوافهم للدين تشويها (4)

(الخاتمة)

هذي مناقبه في عهد دولته للشاهدين وللأعقاب أحكيها
في كل واحدة منهن نابلة من الطبائع تغذو نفس واعيها (5)
لعل في أمة الإسلام نابتة تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر) حتى ينبه منها عين غافيها (7)

(1) الحرج: الإثم. وحجه يحجه: غلبه بالحجة.

(2) شجرة الرضوان: هذه الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى مهى من معانى الوثنية، فأمر بقطعها، فقطعت؛ وإلى هذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية.

(3) السرحة: الشجرة الطويلة؛ أو هى من الشجر ما لا شوك فيه. يقول: إن هذه الشجرة قد تعالت تيها وافتخارا على مثيلاتها من أعالي الأشجار بهذه البيعة. (4) غالوا: بالغوا وأكثروا. (5) نابلة، أي سجية شريفة من سجايا النبل. (6) النابتة: الناشئون. (7) الغافي: النائم.

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها في الحفل الذى أقيم لتكريمه في فندق شبرد في 7 يولية سنة 1919م حين استقال من الحكومة أول مرة، وهي على لسان تجار الغلال:

لقد عاشرتنا فلبثت فينا مثالا للنزاهة والكمال
بحلم كان محمود المزايا وعدل كان ممدود الظلال
فإن كنت اعتزلت إباء ضيم فمثلك بالوظائف لا يبالي
فحبات القلوب تسوق شكرا إليك بقدر حبات الغلال (1)

تحية أحمد شوقى بك

وكان حافظ قد أعدها ليستقبله بها عند قدومه من منفاه بالأندلس، ولكنه عجل بنشرها قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم، كما قال في رسالته إلى الأهرام:

[نشرت في 14 أغسطس سنة 1919م]

ورد الكنانة عبقرى زمانه فتنظرى يا مصر سحر بيانه (2)
وأتى الحسان فهنئوا ملك النهى بقيام دولته وعود حسانه (3)
النيل قد ألقى إليه بسمعه والماء أمسك فيه عن جريانه
والزهر مصيغ والخمائل خشع والطير مستمع على أفنانه (4)

(1) حبات القلوب: سويداواتها.

(2) تنظري: انتظري.

(3) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك): كلاهما بمعنى واحد.

(4) الخمائل: المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة خميلة.

والقطر في شوق الأندلسية شوقية تشفيه من أشجانه (1)
يصغى لأحمد إن شدا مترنما إصغاء أمة أحمد لأذانه (2)
فاصدح وغن النيل واهزز عطفه يكفيه ما عاناه من أحزانه (3)
واذكر لنا الحمراء كيف رأيتها والقصر ماذا كان من بنيانه (4)
ماذا تحطم من ذراه وما الذى أبقت صروف الدهر من أركانه (5)
واها عليه وأهله وبناته أيام كان للنجم من سكانه
إذ ملك أندلس عريض جاهه وشبابه المبكي في ريعانه (6)
الفتح والعمران آية عهده وكتائب الأقدار من أعوانه
لبست به الدنيا لباس حضارة قد كان يخلعه على جيرانه (7)
زالت بشاشته وزال وأقفرت من أنسه الدنيا ومن إنسانه (8)
وطوى الثرى سر الزوال فيا ترى هل ضاق صدر الأرض عن كتمانه (9)

(1) أندلسية شوقية، أي قصيدة من شعر شوقي في وصف الأندلس.

(2) يريد بـ«أحمد» الثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(3) صدح: رفع صوته بالغناء. والعطف: الجانب.

(4) الحمراء، هو ذلك البناء الذي لا يزال على طول عهده في غرناطة أجمل ما يرى في البلاد الأسبانية، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطاني، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بني الأحمر.

(5) تحكم: تهدم. وذراه: أعاليه. وصروف الزمان: حوادثه وتغيراته.

(6) ريعان كل شيء: أوّله.

(7) جيرانه، أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس.

(8) إنسانه، أى أهله.

(9) سر الزوال، أي السبب في زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر في هذا البيت والذى بعده: هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السر فباح به لشوقي لما وقف على أطلال الحمراء؟

فتكلمت تلك الطلول وأفصحت ... لما وقفت مسائلا عن شأنه
ولعل نكبته هناك تفرق ... وتعدد قد كان في تيجانه
عبر رأيناها على أيامنا ... قد هونت ما نابه في آنه
وحوادث في الكون إثر حوادث ... جاءت مشمرة لهد كيانه
سبحان جبار السموات العلا ... ومقلب الأكوان في أكوانه
أهلا بشمس المشرقين ومرحبا ... بالأبلج المرجو من إخوانه (1)
أشكو إليك من الزمان وزمرة ... جرحت فؤاد الشعر في أعيانه (2)
كم خارج عن أفقه حصب الورى ... بقريضة والعجب ملء جنانه (3)
يختال بين الناس متئد الخطا ... ريح الغرور تهب من أردانه (4)
كم صك مسمعنا بجندل لفظه ... أطال محنتنا بطول لسانه (5)
ما زال يعلن بيننا عن نفسه ... حتى استغاث الصم من إعلانه
نصح الهداة لهم فزاد غرورهم ... واشتد ذاك السيل في طغيانه
أو لم تر الفرقان وهو مفصل ... لم يلفت البوذى عن أوثانه

(1) الأبلج: الطلق الوجه.

(2) أعيانه، أي رجال الشعر المبرزين فيه. «ويريد بالزمرة» ضعاف الشعراء، وكان منهم في رأى حافظ عبد الحليم المصري الشاعر، وهو المقصود بقوله بعد: «كم خارج» إلخ وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما إليه حين قدم.

(3) أصل الحصب: الرمى بالحصا ثم استعمل في كل رمى.

(4) متئد: متمهل. وأردانه، أي أثوابه. والأردان: جمع ردن بضم الراء، وهو أصل الكم.

(5) الجندل: الصخر.

قل للذي قد قام يشأو أحمدا ... خل القريض فلست من فرسانه (1)

الشعر في أوزانه لو قسته ... لظلمته بالدر في ميزانه (2)

هذا امرؤ قد جاء قبل أوانه ... إن لم يكن قد جاء بعد أوانه (3)

إن قال شعرا أو تسنم منبرا ... فتعوذ بالله من شيطانه (4)

تخذ الخيال له براقا فاعتلى ... فوق السهى يستن في طيرانه (5)

ما كان يأمن عثرة لو لم يكن ... روح الحقيقة ممسكا بعنانه (6)

فأتى بما لم يأته متقدم ... أو تطمع الأذهان في إتيانه

هل للخيال وللحقيقة منهل ... لم يبغه الرواد في ديوانه (7)

إنا لنلهو إذ نجد وإنه ... ليجد إذ يلهو بنظم جمانه (8)

أقلامه لو شاء شك قصيرها ... هام الثريا والسها بسنانه (9)

يملى عليها عقله وجنانه ... ما ليس ينكره هوى وجدانه

(1) يشأو أحمدا، أي يبلغ غاية شوقي.

(2) في أوزانه، أي في الأوزان التى ينظم منها شوقي. و«بالدر»: متعلق بقوله: «قسته».

(3) يريد أن شوقيا قد جاء في غير زمانه، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين، أو ممن سيجود بهم الزمن بعد اكتمال الفن.

(4) تسنم الشيء: علاه.

(5) البراق، هي الدابة التى يروي أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج. والسها: كوكب خفى من بنات نعش الصغرى. ويستن: يسرع. (6) العنان: سير اللجام الذى تمسك به الدابة. يقول إن الذى حمى شعره من الزلل والخطل، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرمى إليه في قصائده، ولولا ذلك لم يأمن الزلل. (7) المنهل: المورود ينهل منه الظامئون. والروّاد: الطالبون. (8) الجمان: اللؤلؤ. (9) الهام: الرءوس الواحدة هامة.

بسل على شعرائنا أن ينطقوا   قبل المثول لديه واستئذانه (1)
عاف القديم وقد كسته يد البلى   خلق الأديم فهان في خلقانه (2)
وأبى الجديد وقد تأنق أهله   فى الرقش حتى غر في ألوانه (3)
فجديده بعث القديم من البلى   وأعاد سؤدده إلى إبانه (4)
ورمى جديدهم فخر بناؤه   برواء زخرفه وبرق دهانه (5)
شعراء نفح الطيب أنشر ذكرهم   في أرض أندلس أديب زمانه (6)
ود (ابن هانئ) (وابن عمار) بها   لو يظفران معا بلثم بنانه (7)
ولو استطاعا فوق ذاك لأقبلا   رغم البلى والقبر يستبقانه (8)
يا كرمة (المطرية) ابتهجي به   واستقبلي الظمآن من أخدانه (9)
مدى الظلال على الوفود وجددي   عهدا طواه الدهر في بستانه

(1) بسل: حرام. (2) عاف القديم: تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التى رثت وبليت. (3) الرقش: النقش والتزيين. (4) السؤدد: السيادة والرفعة. وإبان الشيء: زمانه. (5) الرواء: حسن المنظر. (6) نفح الطيب، هو كتاب نفح الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقري المغربي، نزيل فاس، ثم مصر، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة 1041 هـ. وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم. ومعنى البيت أن شوقيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب. (7) بها، أى بالأندلس، وابن هانئ هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأسدى الأندلسي الشاعر المعروف. ومنع «هانئا» من الصرف لضرورة الوزن. وابن عمار، هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسى الشاعر المشهور، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. (8) يستبقانه، أى يمشيان أمامه تجلة واحتراما. (9) المطرية: ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة، وفيها كان بيت المرحوم شوقى بك المعروف بكرمة ابن هانئ.

كم مجلس للهو فيه شهدته ... فسكرت من ديوانه ودنانه (1)
غنى مغنيه فهاج غناؤه ... شجو الحمام على ذوائب بانه (2)
فترنحت أشجاره وتمايلت ... أعوادها طربا على عيدانه (3)
فكأن مجلسنا هناك قصيدة ... من نظمه طلعت على عبدانه (4)
فالحمد لله الذى قد رده ... من بعد غربته إلى أوطانه
فتنظروا آياته وتسمعوا ... قد قام بلبلكم على أغصانه

فى حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقى بك بدار التمثيل العربى لتحية جريدة عكاظ يوم 3 ديسمبر 1920 ، وقد سمي صاحب الجريدة هذا الحفل «سوق عكاظ». وهي تتضمن مدحا لشوقى بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتهانهم لجثث ملوكهم الأقدمين.

أتيت سوق عكاظ ... أسعى بأمر الرئيس
أزجي إليه قواف ... منكسات الرءوس (5)
ليست بذات رواء ... تزهى به في الطروس (6)
ولا بذات جمال ... يسرى بها في النفوس

(1) الدنان: جمع دن (بالفتح)، وهو إناء كبير للخمر. (2) شجو الحمام: بكاؤه. والبان: شجر سبط القوام لين، ورقه كورق الصفصاف، الواحدة بانة. وذوائبه: أعاليه. (3) يريد عيدان الغناء. (4) الضمير في «نظمه» لشوقى. وعبدانه (بضم العين وكسرها)، أي عبيده من بقية الشعراء. (5) أزجي: أسوق. (6) الرواء: حسن المنظر. والطروس: الصحف يكتب فيها، الواحد طرس.

لم يحبها فضل شوقي بقية من نسيس (1)
فهن فقر خوال من كل معنى نفيس
وهن جهد مقل حليف هم وبوس
قال الرئيس ومن ذا يقول بعد الرئيس
سقى الحضور شرابا ينسي شراب القسوس (2)
معتقا قبل عاد في مظلمات الحبوس
تذكي الديارات منه نار كنار المجوس (3)
يريك والليل داج شموسه في الكؤوس
بنات أفكار شوقي في جلوة كالعروس
تزهي بمعنى سرى أتى بمعنى شموس (4)
وليلة من (عكاظ) ضمت حماة الوطيس (5)
أحيا بها ذكر عهد آثاره في الطروس (6)
عهد سما الشعر فيه إلى مجالي الشموس

(1) النسيس: بقية الروح. (2) يريد «بشراب القسوس»: الخمر، وذلك لما اشتهر به القساوسة والرهبان من ادخار الخمر وتعتيقها في الأديار. (3) تذكي: تشعل. ونار المجوس: النار التي يعبدونها؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتعال ودوامه. وقد شبه بها الخمر في الحمرة حتى كأنها تلتهب. (4) السرى: الرفيع. والشموس: النفور الصعب المنال. (5) الوطيس: الحرب. ويريد «بحماة الوطيس»: حملة الأقلام. (6) يريد عهد سوق عكاظ الأول في الجاهلية، أيام كان يحضرها فحول الشعراء يتناشدون الأشعار.

وورده كان أصفى   من مورد القاموس (1)

فجئتها بحديث   أسوقه للجلوس

قد زرت متحف مصر   في ظهر يوم الخميس

في زمرة من رفاق   غر الشمائل شوس (2)

فضقت ذرعا بأمر   على النفوس بئيس (3)

وكدت أصرع غما   لحظها المعكوس (4)

وصرعة الغم أدهى   من صرعة الخندريس (5)

رأيت جثة (خوفو)   بقرب (سيزوستريس) (6)

فقلت يا قوم هذا   صنع العقوق الخسيس

أجساد أملاك مصر   وشائدي منفيس (7)

من بعد خمسين قرنا   لم تسترح في الرموس (8)

أرى فراعين مصر   في ذلة ونحوس

معروضة للبرايا   أجسادهم بالفلوس

(1) القاموس: البحر أو لجته. (2) شوس، أي من علية القوم وعظائمهم، الواحد أشوس وهو في الأصل: الذي ينظر بمؤخر العين تكبرا وتيها. (3) بئيس: شديد. (4) حظها، أي حظ مصر. (5) الخندريس: الخمر المعتقة. خوفو وسيزوستريس: ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين. (7) منفيس: مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير في تاريخ مصر القديم؛ وموضعها الآن البدرشين وميتة رهينة. (8) الرموس: القبور، الواحد رمس.

عنهم نبشنا زمانا ... في ظلمات الدروس (1)

فديس ظلما حماهم ... وكان غير مدوس

لعلهم حصنوهم ... من هادمات الفؤوس (2)

علما بأن سوف يمنى ... بيوم شر عبوس (3)

لو أن أمثال (مينا) ... في الغرب أو (رمسيس) (4)

بنوا عليهم وخطوا ... حظائر التقديس

مدحة للمغفور له (فؤاد الأول) (5)

أنشدها بين يدي جلالته حين زيارته لمدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران (6) في ديسمبر سنة 1922م.

أقصر الزعفران لأنت قصر ... خليق أن يتيه على النجوم

كلا عهديك للأجيال فخر ... وزهو للحديث وللقديم (7)

(1) الدروس: العفاء والبلى. ويريد «بظلمات الدروس»: طبقات الأرض التي دفنوا فيها. (2) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها. (3) الضمير في «يمنى» يعود على «حمى» المتقدم ذكره. ويمنى: يبتلى ويصاب. (4) مينا ورمسيس: ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين. (5) ولد المغفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة في 2 ذي الحجة سنة 1284هـ وارتقى عرش المملكة المصرية في 22 ذي الحجة سنة 1335هـ. وتوفى بعد ظهر يوم الثلاثاء 7 صفر سنة 13355هـ. (6) قصر الزعفران بالعباسية، من القصور التي بناها المغفور له إسماعيل باشا الخديوي، وسمي قصر الزعفران لأن الأرض التي بني فيها كان يزرع بها الزعفران قديما، وكانت هناك ترعة يقال لها: ترعة الزعفرانت، وردمت هذه الترعة قريبا. وهذا الموضع الذي بني فيه القصر يتبع الوايلي الصغرى، وقد استبدل به المغفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض في مركز طلخا، مديرية الغربية من أملاك الحكومة. (7) يريد «بالعهدين» عهد هذا القصر أيام إسماعيل، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية.

ثوى بالأمس فيك علا ومجد وأنت اليوم مثوى للعلوم (1)
فمن نبل، إلى مجد أثيل إلى علم، إلى نفع عميم
أضفت إلى صورح العلم صرحا بزورة ذلك الملك الحكيم
فيالك منزلا رحبا سريا بنته أنامل الذوق السليم
وحاطته ببستان أنيق يريك جماله وجه النعيم (2)
(أبا فاروق) أنت وهبت هذا لمصر وهكذا منح الكريم
ولا عجب فمصر على ولاء ومالكها على خلق عظيم
يطالعها ببر كل يوم ويرعاها بعين أب رحيم
ويرهف من عزائم آل مصر إذا خارت لدى الخطب الجسيم (3)
كسوت الأزهر المعمور ثوبا من الإجلال والعز المقيم
قضيت به الصلاة فكاد يزهي بزائره على ركن الحطيم (4)
رأى فيك (المعز) زمان أعلى قواعده على ظهر الأديم (5)
فهش وهزه طرب وشوق كما هش الحميم إلى الحميم (6)
وهلل من كان فيه ودوت به أصوات شعبك كالهزيم (7)

(1) ثوى: أقام. والمثوى: المكان يقام فيه. (2) الأنيق: الذي يعجبك بحسنه. (3) أرهف السيف والسكين ونحوهما: شحذه وحدده. وخارت: ضعفت. (4) الحطيم: حجر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم). (5) يرى المعز لدين الله الفطمي الذي اختطت في أيامه القاهرة، وبنى الأزهر. وظهر الأديم: وجه الأرض. (6) الحميم: الصديق. (7) دوى: علا صوته فسمع. والهزيم: صوت الرعد.

كذا فليحمل التاجين ملك ... يعز بشعائر الدين القويم (1)
ويخشى ربه ويطيع مولى ... هداه إلى الصراط المستقيم
ايأذن لي المليك البر أني ... أهنئ مصر بالأمر الكريم
فيا مصر اسجدي لله شكرا ... وتيهي واقعدي طربا وقومي
فقد تم البناء وعن قريب ... تزف لك البشائر من (نسيم) (2)
فدار (البرلمان) أعز دار ... تشاد لطالب المجد العميم
بها يتجمل العرش المفدي ... وتحيا مصر في عيش رخيم
فشرفها بربك واختتمها ... وأسعدها بدستور تميم (3)
بآي (محمد) وبآي (عيسى) ... فعوذه وآيات (الكليم) (4)
(أبا فاروق) خذ بيد الأماني ... وحققها على رغم الخصيم
أفقنا بعد نوم فوق نوم ... على نوم كأصحاب الرقيم (5)
وأصبحنا بيمنك في نهوض ... يكافئ نهضة النبت الجميم (6)
فحطنا بالرعاية كل يوم ... نحفك بالولاء المستديم

(1) يريد «بالتاجين» تاج الملك، وتاج الدين. (2) يريد بالبناء: دار البرلمان. ويريد «بنسيم»: محمد توفيق نسيم باشا، وكان رئيسا للوزراء إذ ذاك. (3) التميم: التام. (4) الضمير في «عوذه» للدستور. والكليم: موسى عليه السلام. (5) يريد «بأصحاب الرقيم» أهل الكهف؛ ويضرب المثل بطول نومهم. قال تعالى: (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) الآية. والرقيم: لوح كتبت فيه أسماؤهم، أو هو كهفهم الذي لجأوا إليه. (6) اليمن: البركة. ويكافىء: يماثل. والجميم من النبت: الناهض المنتشر.

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة (1)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الإسكندرية (2)

[نشرت في 13 يوليو سنة 1924م]

أحمد الله إذ سلمت لمصر قد رماها في قلبها من رماكا
أحمد الله إذ سلمت لمصر ليس فيها ليوم جد سواكا
أحمد الله إذ سلمت لمصر ووقاها بلطفك من وقاكا
قد شغلنا يا (سعد) عن كل شيء وشغلنا بأن يتم شفاكا
في سبيل الجهاد والوطن المحـ ـبوب ما سال أحرا من دماكا
قل لذاك الأثيم والفاتك المفـ ـتون: لا كنت، كيف ترمي السماكا؟ (3)
انما قد رميت في شخص (سعد) أمة حرة فشلت يداكا

(1) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بابيانا من أعمال مركز فوة سنة 1860م وبعد أن قضى في الأزهر حينا من الزمن تولى بعض أعمال التحرير في الوقائع المصرية، وكتب فيها بعض المقالات في الاستبداد والشورى والأخلاق، ثم التحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة، وفصل لاتهامه بالاشتراك في الثورة العرابية، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اختير للقضاء بمحكمة الاستئناف الأهلية سنة 1892م وهو أول محام ولى مناصب القضاء في مصر، ثم ولى منصب وزارة المعارف، وهو أول من قرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية، ثم تولى وزارة الحقانية، ثم كان عضوا بالجمعية التشريعية، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورآسة الوفد المصري، وظل زعيما لتلك النهضة من سنة 1919م إلى أن توفى في أغسطس سنة 1927 رحمه الله. (2) في يوم 12 يوليو سنة 1924 بينما كان سعد زغلول باشا والوزراء في محطة القاهرة يريدون السفر إلى الإسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعيد الأضحى (سنة 1342هـ) (1924م)، ومن ثم يسافرون إلى انجلترا للمفاوضات، تقدم من سعد باشا عبد الخالق الدلبشاني وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فيما يلي الإبط، ومست الثدي الأيمن، وكان الجرح غير شديد، فشفي منه بعد أيام. (3) يريد بالأثيم الفاتك عبد الخالق الدلبشاني، وهو الذي اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا.

وقال فيه أيضا:

أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس 24 يولية سنة 1924 بكازينو سا استيفانو بالإسكندرية، تكريما لسعد وابتهاجا بنجاته من حادث الاعتداء عليه

الشعب يدعو الله يا زغلول — أن يستقل على يديك النيل
إن الذي اندس الأثيم لقتله — قد كان يحرسه لنا جبريل
ايموت (سعد) قبل أن نحيا به؟ — خطب على أبناء مصر جليل
يا (سعد) إنك أنت أعظم عدة — ذخرت لنا نسطو بها ونصول
ولأنت أمضى نبلة نرمي بها — فآنفذ وأقصد فالنبال قليل (1)
النسر يطمع أن يصيد بأرضنا — سنريه كيف يصيده زغلول (2)
انا رميناهم بندب حول — عن قصد وادي النيل ليس يحول (3)
بأشدنا بأسا وأقدمنا على — خوض الشدائد والخطوب مثول (4)
بفتى جميع القلب غير مشتت — إن مالت الأهرام ليس يميل (5)
فاوض ولا تخفض جناحك مذلة — إن العدو سلاحه مفلول (6)
فاوض وأنت على المجرة جالس — لمقامك الإعظام والتبجيل (7)
فاوض فخلفك أمة قد أقسمت — ألا تنام وفي البلاد دخيل

(1) أقصد السهام: أصاب المقتل. (2) يريد بالنسر: الإنجليز؛ واستعمله هنا لإثارة العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر. (3) الضمير في «رميناهم» للإنجليز. والندب: الماضي في الحاجة، النافذ في قضائها. والحول: الشديد الاحتيال. (4) مثول، أي مائلات حاضرة. (5) جميع القلب: لا يتفرق من الخوف. (6) مغلول:مثلوم مكسر الحد لا يصلح للضرب والطعان. (7) يريد علو مكانته وارتفاع منزلته.

عزل ولكن في الجهاد ضراغم   لا الجيش يفزعها ولا الأسطول (1)

اسطولنا الحق الصراح وجيشنا الـ   ـحجج الفصاح وحربنا التدليل

ما الحرب تذكيها قنا وصوارم   كالحرب تذكيها نهى وعقول

خضها هنالك باليقين مدرعا   والله بالنصر المبين كفيل

أزعيمهم شاكي السلاح مدجج   وزعيمنا في كفه منديل؟ (3)

وكذلك المنديل أبلغ ضربة   من صارم في حده التضليل

لك وقفة في الشرق تعرفها العلا   ويحفها التكبير والتهليل

زلزل بها في الغرب كل مكابر   ليرى ويعلم ما حواه الغيل (4)

لا تقرب (التاميز) واحذر ورده   مهما بدا لك أنه معسول (5)

الكيد ممزوج بأصفى مائه   والختل فيه مذوب مصقول (6)

كم وارد يا (سعد) قبلك ماءه   قد عاد عنه والفؤاد غليل (7)

القوم قد ملكوا عنا زمانهم   ولهم روايات به وفصول (8)

(1) العزل: الذين لا سلاح معهم، الواحد أعزل. والضراغم: الأسود. (2) أذكى الحرب: أشعل نارها. والقنا: الرماح، الواحدة قناة. والصوارم: السيوف القواطع. (3) شاكي السلاح، أي ذو شوكة وحدة في سلاحه. والمدجج: اللابس السلاح. (4) الغيل: الأجمة وموضع الآساد. (5) معنى النهي عن قرب التاميز: التحذيرمن خداع أهله. (6) الختل: الخداع والمكر. (7) الغليل: شدة العطش. (8) القوم: الإنجليز. والعنان: سير اللجام الذي يمسك به الفرس.

ولهم أحابيل إذا ألقوا بها   قنصوا النهى فأسيرهم مخبول (1)

فاحذر سياستهم وكن في يقظة   سعدية إن السياسة غول

إن مثلوا فدع الخيال فإنما   عند الحقيقة يسقط التمثيل

الشبر في عرف السياسةفرسخ   واليوم في فلك السياسة جيل

ولكل لفظ في المعاجم عندهم   معنى يقال بأنه معقول

نصلت سياستهم وحال صباغها   ولكل كاذبة الخضاب نصول

جمعوا عقاقير الدهاء وركبوا   ما ركبوه وعندك التحليل

يا (سعد) أنت زعيمنا ووكيلنا   وعليك عند مليكنا التعويل

فادفع وناضل عن مطالب أمة   يا (سعد) أنت أمامها مسئول

النيل منبعه لنا ومصبه   ما إن له عن أرضها تحويل

وثقت بك الثقة التي لم ينفرج   للريب فيها والشكوك سبيل

جعلت مكانك في القلوب محبة   أو بعد ذاك على الولاء دليل

كادت تجن وقد جرحت وخانها   صبر على حمل الخطوب جميل

لم يبق فيها ناطق إلا دعا   لك ربه ودعاؤه مقبول

يا سعد كاد العيد يصبح مأتما   الدمع فيهأسى عليك يسيل (3)

(1) الأحابيل: أي المصايد. (2) نصلت: انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الصادق. وحال: تحول. (3) العيد، أي عيد الأضحى من سنة 1342هـ وقد عطلت فيه التهاني بسبب الاعتداء على سعد باشا.

لولا دفاع الله لانطوت المنى ... عند انطوائك وانقضى التأميل
شلت أنامل من رمى، فلكفه ... حز المدى ولكفك التقبيل (1)
هذا وسامك فوق صدرك ماله ... من بين أوسمة الفخار مثيل (2)
حليته بدم زكي طاهر ... في حب مصر مصونة مبذول
في كل عصر للجناة جريرة ... ليست على مر الزمان تزول (3)
جاروا على (الفاروق) أعدل من قضى ... فينا وزكى رأيه التنزيل (4)
وعلى (علي) وهو أطهرنا فما ... ويدا وسيف نبينا المسلول
قف يا خطيب الشرق جدد عهدنا ... قبل الرحيل ليقطع التأويل
فآوض فإن أوجست شرا فاعتزم ... واقطع فحبلك بالهدى موصول
وارجع إلينا بالكرامة كاسيا ... وعليك من زهراتها إكليل
إنا سنعمل للخلاص ولأننى ... والله يقضي بيننا ويديل (6)
كم دولة شهج الصباح جلالها ... وأتى عليها الليل وهي فلول (7)
وقصور قوم زاهرات في الدجى ... طلعت عليها الشمس وهي طلول(8)

(1) المدى: جمع مدية، وهى السكين.(2) يريد «بالوسام» ما أصاب صدره من الدم. (3) الجريرة: الجناية. (4) الفاروق، هو عمر بن الخطاب. يشير إلى قتل أبي لؤلؤة إياه غيلة. وزكى: عزز. يريد ما كان ينزل من الآيات تعزيزا وموافقة لما كان يراه عمر. (5) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله تعالى عنه غيلة أيضا. (6) ونى ينى: قصر ويديل: يجعل الدولة لنا عليهم. (7) وهي فلول، أى متفرقة مهزومة. (8) الطلول: جمع طلل، وهو الشاخص من آثار الديار.

يا أيها النشء الكرام تحية ... كالروض قد خطرت عليه قبول (1)
يا زهر مصر وزينتها وحماتها ... مدحى لكم بعد الرئيس فضول
جدتم لها بالنفس في ورد الصبا ... والورد لم ينظر إليه ذبول (2)
كم من سجين دونها ومجاهد ... دمه على عرصاتها مطلول (3)
سيروا على سنن الرئيس وحققوا ... أمل البلاد فكلكم مأمول
أنتم رجال غد أو فى غد ... فاستقبلوه وحجلوه وطولوا (4)

إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد بك (باشا)

وجهها إليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة 1924م

يا كاسى الأخلاق في ... بلد عن الأخلاق عاري
لم يبق فينا من يجا ... دل في مقامك أو يماري (5)
بالأمس قد علمتنا ... أدب الكتابة والحوار (6)
واليوم قد ألطفتنا ... بالطيبات من الثمار (7)

(1) القبول: ريح الصبا.

(2) في ورد الصبا، أى في زهرة الشباب.

(3) العرصات: جمع عرصة، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميادينها. ومطلول: لم يثأر به. (4) أوفى: أتى. وحجلوه، أى اجعلوه يوما أبيض. وطولوا: افخروا واعتزوا.

(5) يمارى: ينازع.

(6) يشير بهذا البيت إلى عهد الممدوح في رئاسة تحرير «الجريدة» وما كان يكتبه فيها من مقالات. (7) ألطفه بكذا: أتحفه به.

بكتاب رسطاليس تا ... ج نوادر الفلك المدار (1)
جاهدت في تفصيله ... ووصلت ليلك بالنهار
تزن الكلام كأنه ... ماس بميزان التجار
وتصون معنى ربه ... صون اللآلئ في المحار (2)
وتضن دهقان الكلا ... م كضن دهقان النضار (3)
حتى حسبتك في الأنا ... ة والاختبار والاختيار
صنعا يصور في الفصو ... ص لدى الفراعنة الكبار (4)
إني قرأت كتابه ... بين الخشوع والاعتبار
فإذا المترجم ماثل ... جنب المؤلف في إطار
وعليهما نور يفيـ ... ـض من المهابة والوقار
قالوا: لقد هجر السيا ... سة وانزوى في عقر دار
ترك المجال لغيره ... ورأى النجاة مع الفرار
لا تظلموا رب النهى ... وحذار من خطل حذار (5)
هجر السياسة للسيا ... سة لا لنوم أو قرار

(1) تاج نوادر الفلك، أي أثمن نوادر الزمن وأنفسها.

(2) ربه، أي مؤلفه أرسطوطاليس. (3) دهقان الكلام (بالنصب)، على النداء. والدهقان (بكسر الدال وتضم): التاجر. والنضار: الذهب. (4) الصنع (بالتحريك): الحاذق بالصنعة؛ وشبهه بالمصور في الفصوص لما في ذلك من مراعاة الدقة. (5) الخطل: الخطأ والزلل.

لو أنهم علموا الذي	يبني لهم حلف الستار
لسعوا إلى حامي الفضيـ	ـلة والحقيقة والذمار (**1**)
وافاهم بدعائم الـ	ـأخلاق والحكم السواري (**2**)
أس السياسة والنجـا	ح وحصن سيدة البحار (**3**)
كلفت بها وتمسكـت	قبل الفيالق والجواري (**4**)
يا عاشق الخلق الصريـ	ـح وشانئ الخلق المواري (**5**)
إني أختبرتك في الكهـو	لة والصبا حق اختبار
لم يجر في ناديك هجـ	ـر القول أو خلع العذار (**6**)
حلو التواضع والتـوا	ضع آية القوم الخيار
مر التكبر حين يـد	عوك التواضع للصغار (**7**)
سر في طريقك وادعـا	فلأنت مأمون العثار
واجعل على لقم الطريـ	ـق صوى تلوح لكل ساري (**8**)

(**1**) الذمار: كل ما يلزمك حفظه وحمايته. (**2**) الدعائم: العمد، الواحدة دعامة. والسواري: جمع سارية، أي التي تسير في الناس. (**3**) يريد «بسيدة البحار»: إنجلترا.

(**4**) الفيالق: الجيوش العظيمة، الواحد فيلق. والجواري: السفن، الواحدة جارية.

(**5**) الشانئ: المبغض.

(**6**) هجر القول: القبيح منه. وخلع العذار: كناية عن التهتك وعدم المبالاة. (**7**) الصغار الذل. (**8**) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها): وسطه. والصوى: العلامات التي تجعل على الطريق ليهتدي بها؛ الواحدة صوة (بضم الصاد وتشديد الواو).

إنا إلى (كتب السيا   سة) يا حكيم على أوار (1)
عجل بها قبل (الفسا   د) وقبل عادية البوار (2)
إنا نناضل أمة   أقطابها أسد ضواري (3)
عركوا الزمان وأهله   وتحصنوا من كل طاري (4)
أمست سياستهم   كطلسم يحير كل قاري
إن ينكروا بعض الغمو   ض على أديب ذي اقتدار
فلأنهم لم يذكروا   أن المترجم في إسار (5)
لم يعي أحمد أن يجي   بآي قيس أو نزار (6)
وهو المجلي في أسا   ليب الفصاحة والمباري (7)
لغة العلوم حقائق   هى عن زخارفنا عوراي (8)
تأبى الغلو وتحسب الـ   ـإغراق كالثوب المعار (9)
والنقل إن عدم الأما   نة كان عنوان الخسار

(1) يريد بكتب السياسة: كتاب أرسطو فيها. والأوار: شدة العطش.

(2) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذي كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفي السيد وقتئذ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو في السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد.

(3) يريد الأمة الانجليزية. الضواري: المتعودة الصيد والافتراس.

(4) عركوا الزمان: خبروه. والطاري، أي الطارئ، أي ما يطرأ على الدول ممن أحداث. (5) «أن المترجم» الخ: أي أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها. (6) يريد بقوله: (بآي قيس أو نزار): بيان العرب الأقدمين. وقيس ونزار: قبيلتان من العرب معروفتان (7) المجلى: السابق الذي يجيء أولا (9) الغلو والإغراق في الشيء: المبالغة فيه.

إلى حنفي بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية البرلمان عن بندر الجيزة

[نشرت 11 مايو سنة 1926م]

يا كاسي الخلق الرضى وصاحب ال ـأدب السري ويا فتى الفتيان (1)
إن رشحوك فأنت من بيت رمى بسهامه عن حوزة الأوطان (2)
زكاك إقدام ورأي شاهد ونقى إيمان وحسن بيان
لو كنت بين الناخبين لأدركوا ما فيك يا (حنفي) من رضوان (3)

إلى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

[نشرت في 7 نوفمبر سنة 1926م]

ما بال (دندرة) تميس تهاديا ميس العروس مشت على إستبرق (4)
والنيل يجري تحتها متهللا والموج بين مهلل ومصفق
ألعها والتيه يثني عطفها حملت ركاب زعيم قلب المشرق (5)

(1) السرى: الرفيع.

(2) حوزة الأوطان، أي ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها.

(3) يشير بهذا البيت إلى أن الممدوح من بلد آخر غير البلد الذي رشح للنيابة عنه، ولو كان منه لأدرك أهله ما فيه من رضى وخير. (4) تميس: تتمايل وتتبختر، والاستبرق: الديباج الغليظ، وهو لفظ معرب. (5) العطف: الجانب. ويريد «بقلب المشرق»: مصر، لأنها منه بمنزلة القلب من الجسد.

إني أرى نورا يفيض وطلعة　　قد زانها وضح الجبين المشرق

هذا زعيم النيل حل عرينه　　بعد الغياب فيا وفود تدفقي (**1**)

وتيمني بقدومه وترفقي　　عند الزحام فسلمي وتفرقي (**2**)

وتنظري إن الخلاص محتم　　فالله أسلم أمرنا لموفق (**3**)

كم أزمة مرت بنا فاجتاحها　　(سعد) بسيل بيانه المتدفق (**4**)

يأيها السباق في طلب العلا　　ها قد أتيت مجليا لم تسبق (**5**)

سبق البشير ركاب سعد جاريا　　وركاب سعد وانيا لم يلحق (**6**)

تهنئة أحمد شوقي بك (7)

أنشدها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في إبريل سنة 1927م وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بلابل وادي النيل بالمشرق اسجعى　　بشعر أمير الدولتين ورجعى (**8**)

أعيدي على الأسماع ما غردت به　　يراعة شوقي في ابتداء ومقطع (**9**)

(**1**) العرين: مأوى الأسد. (**2**) يروى أن الرئيس ابتسم عندما أنشد هذا البيت، وقال (إلا أنت يا حافظ). (**3**) تنظرى: انتظري. (**4**) اجتاحها: استأصلها ، وأودى بها. ويقال: إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال: (ألم يحصل)، فضحك سعد وقال: «أنا لا أعرف». (**5**) المجلى: السابق الذي يجيء أولا. (**6**) يقول: إن سعدا قد أفاض من صفته – وهي السبق في سبل العلا – على الباخرة، فسبقت البشير وهو يجري، ولو كانت وانية لسبقته أيضا، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها. (7) انظر التعريف بالمرحوم (أحمد شوقي بك) في الحاشية رقم **5** من ص **50**. (**8**) يريد «بالدولتين»: النظم والنثر. والترجيع: ترديد الصوت بالغناء. (**9**) في ابتداء ومقطع، أي في أول القصيدة وآخرها.

براها له الباري فم ينب سنها　　إذا ما نبا العسال في كف أروع (1)

مواقعها في الشرق والشرق مجدب　　مواقع صيب الغيث في كل بلقع (2)

لديها وفود اللفظ تنساق خلفها　　وفود المعانى خشعا عند خشع (3)

إذا رضيت جاءت بأنفاس روضة　　وإن غضبت جاءت بنكباء زعزع (4)

أحن على المكدود من ظل دوحة　　وأحني على المولود من ثدي مرضع (5)

على سنها رفق يسيل ورحمة　　وروح لمن يأسى وذكري لمن يعي (6)

تسابق فوق الطرس أفكار ربما　　سباق جياد في مجال مربع (7)

تطير بروق الفكر خلف بروقها　　تناشدها بالله لا تتسرعي (8)

تحاول فوت الفكر لو لم تكفها　　أنامله كف الجموح المروع (9)

(1) نبا، ينبو: كل وارتد. والعسال: الرمح يهتز لينا. والأروع: الشجاع الشهم. (2) صيب (بتسكين الياء) أصلها صيب (بتشديدها)، وهو المطر المنهمر المنصب. والبلقع: الأرض القفر لا نبات بها. يقول: إن آثار قلمه تفعل في نفوس الشرقيين الظامئة ما تفعل السحب في الأرض المجدبة. (3) يقول: إن يراعة هـ1ا الشاعر قد ملكت ناصيتي الألفاظ والمعاني لا يستعصي عليها منهما شيء. (4) النكباء: الريح تنحرف عن مهب الرياح، وتقع بين ريحين. والزعزع: الشديدة العصف. (5) المكدود: من أضناه الكد والمشقة. والدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل. (6) الروح: الراحة والرحمة. ويأسى: يحزن. ويعي: يحفظ. (7) تسابق، أى تتسابق. والطرس: الصحيفة يكتب فيها. والمجال: حيث تجول الجياد، أي تجرى. (8) بروق الفكر، أي بروق فكر الشاعر. والضمير في «بروقها» يعود على «اليراعة» المتقدمة. شبه فكر الشاعر ويراعته في سرعتيهما بالبروق، وجعل برق يراعنه أسرع من برق فكره. (9) الجموح: الفرس الذى يركب رأسه لا يثنيه شيء. والمروع: المفزع. قول: إن براعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله تردها وتكبحها.

ألم تعلموا أنا بذخري نباغة ... نفاخر أهل الشرق في أي مجمع (1)
نفاخر من (شوقينا) بيراعة ... ونزداد فخرا من (على) بمبضع (2)
فذاك شفاء الجسم تدمي جراحه ... وتلك شفاء الواله المتوجع (3)
نمتك ظلال وارفات وأنعم ... ولين عيش في مصيف ومربع (4)
ومن كان في بيت الملوك ثواؤه ... ينشأ على النعمى ويمرح ويرتع (5)
لئن عجبوا أن شاب (شوقي) ولم يزل ... فتى الهوى والقلب جم التمتع (6)
لقد شاب من هول القوافي ووقعها ... وإتيانه بالمعجز المتمنع
كما شيبت هود ذؤابة أحمد ... وشبت الهيجاء رأس المدرع (7)
يعيبون (شوقي) أن يرى غير منشد ... وما ذاك عن عى به أو ترفع (8)
وما كان عابا أن يحيا بمنشد ... لآياته أو أن يجيء بمسمع (9)

(1) بذخرى: متعلق، بقوله: «نفاخر». والنباغة: النبوغ، فعلها من باب كرم. (2) يريد «بعلي»: علي إبراهيم باشا الجراح المعروف. والمضبع: المشرط. (3) ذاك، أي المبضع. وتلك، أي اليراعة. (4) نمتك: أي تعهدتك بالتربية والنماء. والوارفات: المتسعة الممتدة. والمربع: المكان يقام به في فصل الربيع. (5) الثواء: الإقامة. (6) فتى الهوى: جديده. يريد أن عواطف قلبه لم يطفئها المشيب. (7) يشير بالشطر الأول إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «شيبتى هود وإخوتها» أى سورة هود، لما فيها من آيات الوعيد. والذؤابة من الشعر: الضفيرة. والهيجاء: الحرب. ويشير بالشطر الثاني إلى قول الشاعر:

وما شاب رأسي من سنين تتابعت ... على ولكن شيبتني الوقائع

(8) العي: عدم القدرة على الكلام. والترفع: الكبر. ويشير إلى أن شوقيا كان في الحفلات لا ينشد قصائده بنفسه كما يفعل غيره من الشعراء، بل كان ينيب عنه في كل مجتمع من ينشد قصائده. (9) العاب والعيب، كلاهما بمعنى واحد.

فهذا (كليم الله) قد جاء قبله (بهارون) ما يأمره بالوحى يصدع (1)

بلغت بوصف النيل من وصفك المدى وأيام (فرعون) ومعبوده (رع) (2)

وما سقت من عاد البلاد وأهلها وما قلت في أهرام (خوفو) و(خفرع) (3)

فأطلعتها شوقية لو تنسقت مع النيرات الزهر خصت بمطلع (4)

أ(من أى عهد في القرى) قد تفجرت ينابيع هذا الفكر أم (أخت يوشع) (5)

وفي (توت) ما أعيا ابتكار موفق وفي (ماشئ في الورد) إلهام مبدع (6)

(1) كليم الله: نبيه موسى عليه السلام. وصدع بالأمر: جاهر به مصرحا. ويشير إلى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام: (واجعل لى وزيرا من أهلي هارون أخى اشدد به أزرى) الآيات. (2) المدى: الغاية. ويشير بهذا البيت إلى قصيدة لشوقى في النيل وتاريخ من ملكه من الفراعنة بعث بها إلى مرجليوث المستشرق المعروف في سنة 1914م، وأولها:

من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في البرية تغدق

و«رع»: اسم للشمس عند قدماء المصريين، وهو من معبوداتهم. (3) العاد: جمع عادة؛ يريد عادات قدماء المصريين. وخوفو وخفرع: ملكان معروفان من ملوك مصر الفراعنة. (4) تنسقت: انتظمت. والنيرات الزهر: النجوم. (5) «من أي عهد في القرى»: مطلع القصيدة السابق ذكرها في الحاشية رقم 2 من هذه الصفحة . وأخت يوشع: الشمس، وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع. ويشير إلى قصيدة لشوقى في توت عنخ آمون، أولها:

قفي يا أخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا

(6) يشير بقوله: «وفى توت» إلى قصيدة لشوقى في توت عنخ أمون أولها:

درجت على الكنز القرون وأتت على الدن السنون

وقوله: «ناشئ في الورود» إلى قصيدة له في المنتحرين لريوبهم في الامتحانات، أولها:

ناشئ في الورد من أيامه حسبه الله ابالورد عثر

أسألت (سلا قلبى) شئونى تذكرا كما نثرت (ريم على القاع) أدمعى (**1**)
و(سل يلدزا) إني رأيت جمالها على الدهر قد أنسى جمال (المقنع) (**2**)
اطلت علينا (أخت أندلس) بما أطلت فكانت للنهى خير مشرع (**3**)
وفي نسح (صداح) أتيت بآية من السهل لا تنقاد (لابن المقفع) (**4**)

(**1**) يشير بقوله: «سلا قلبى» إلى قصيدة لشوقى قالها في استقباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس، أولها:

سلا قلبى غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

وبقوله: «ريم على القاع» إلى قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها: نهج البردة، وأولها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى في الأشهر الحرم

والشئون: الدموع. (**2**) يشير إلى قصيدة للممدوح في خلع السلطان عبد الحميد سماها: (عبرة الدهر) أولها:

سل يلدزا ذات القصور هل جاءنا نبأ البدور

ويريد بالمقنع: المقنع الكندي، وهو لقب غلب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكملهم خلقة، فيرون أنه كان إذا سفر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت، فكان لا يمشي إلا مقنعا؛ واسمه محمج ين ظفر بن عمير، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه. (**3**) أطلت علينا، أي ظهرت لنا من أعلى. ويشر إلى قصيدة لشوقي في رثاء مدينة أدرنة، وهي من أمهات مدن الدولة العثمانية، وكانت قد سقطت في يد البلغار في الحرب البلقانية، وأول القصيدة:

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام

والمشرع: المورد الذى يستقي منه. (**4**) يشير إلى قصيدة لشوقي في تفضيل حجاب المرأة على سفورها، يخاطب بها المرحومة باحثة البادية، أولها:

صداح يا ملك الكنا ر ويا أمير البلبل

وابن المقفع، هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف.

روائع وصف في (أبي الهول) سقته كبستان نور قبل رعيك ما رعى (1)
خرجت به عن طوق كل مصور يجيد دقيق الفن في جوف مصنع (2)
وفي (انظر إلى الأقمار) زفرة واجد وأنهم مقروح الفؤاد موزع (3)
بكيت على سر السماء وطهرها وما ابتذلوا من خدرها المترفع
شياطين إنس تسرق السمع خلسة ولا تحذر المخبوء للمتسمع (4)
وسينية (للبحتري) نسختها بسينية قد أخرست كل مدعي (5)
أتى لك فيها طائعا كل عصي على كل جبار القريحة ألمعي (6)

(1) الرائع: ما أعجب الناس بحسنه. ويشير إلى قصيدة لشوقي في وصف أبي الهول، أولها:

أبا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض أقصى العمر

(2) الطوق: الجهد والطاقة. (3) يشير إلى قصيدة لشوقي في رثاء فتحي ونوري الطيارين العثمانيين، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى، وأولها:

انظر إلى الأقمار كيف تزول وإلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد: ذو الوجد. والفؤاد الموزع: المفرق مما اختلف عليه من الشجون.

(4) يريد بشياطين الإنس: الطيارين. ويريد «بالمخبوء للمتسمع»: الشهب التي يرجم بها من الشياطين من يسترق السمع من السماء.

(5) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبي عبادة البحتري على قافية السين في وصف إيوان كسرى، أولها:

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

وقصيدة لشوقي يعارضه بها، يذكر فيها بعده عن بلاده في منفاه، ويرثي فيها الأندلس، وأولها:

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسى

(6) الألمعي (بتشديد الياء وخففت للشعر): الذكي المتوقد.

شجا(البحتري) إيوان (كسرى) وهاجه وهاجت بك (الحمراء) أشجان موجع (1)
وقفت بها تبكي الربوع كما بكى فيا لكما من واقفين بأربع
فنسجك كالديباج حلاه وشيه في النسج ما يأتي بثوب مرقع (2)
وشعرك ماء النهر يجري مجددا وشعر سواد الناس ما بمنقع (3)
أ(أفضى إلى ختم الزمان ففضه) من الوحي والإلهام أم قول لوذعي (4)
و(قلبي ادكرت اليوم غير موفق) رقى السحر أم أنات أسوان مولع (5)
تملكت من ملك القريض فسيحه فلم تبق يا (شوقي) لنا قيد إصبع
فبالله دع للناثرين وسيلة تفيء عليهم واتق الله واقنع (6)
عملت على نيل الخلود فنلته فقل في مقام الشكر يا رب أو زع (7)
جلا شعره للناس مرآة عصره ومرآة عهد الشعر من عهد (تبع) (8)

(1) البحترى، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائي، الشاعر المعروف. والحمراء: قصر بغرناطة بالأندلس، بني في عهد دولة بنى الأحمر، ولا تزال آثاره مائلة حتى اليوم.

(2) الوشي: النقش. وشبه في الشطر الثاني الشعر الذي لا تستوي أجزاؤه في الحسن وضده بالثوب المرقع.

(3) سواد الناس: عامتهم. والمنقع: الموضع يستنقع فيه الماء.

(4) يشير إلى قول شوقي في رثاء اللورد كارنارفون الذي كشف عن قبر توت عن آمون:

أفضى إلى ختم الزمان ففضه وحبا إلى التاريخ في محرابه

واللوذعي: الذكي الذهن.

(5) الأسوان: الحزين. والرقي: جمع رقية، وهي العوذة يتعوذ بها من العلل والآفات. (6) تفيء عليهم، أي تعود عليهم بالخير والرزق. (7) أوزعه الله الشكر: ألهمه إياه. ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام في سورة النمل: (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) الآية.

(8) تبع: لقب لملوك حمير. ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صور القديم والجديد.

يجيء لنا (بأحمد) ماثلا وآونة (بالحتري) المرصع (1)

ويشأو رقى (هوجو) ويأتي نسيبه لنا من ليالي (ألفريد) بأربع (2)

وإن خطرت ذكرى الفحول بفارس وما خلفوا في القول من كل مشبع (3)

أتانا بروض مزهر من رياضهم و(حافظهم) فيه يغني ويرتعي(4)

فقل للذي يبغي مداه منافسا طمعت لعمر الله في غير مطمع (5)

فذلك سيف سله الله قاطع فأيان يضرب يفر درعا ويقطع (6)

وهل تدفع الدرع المنيعة صارما به يضرب المقدار فيكف سلفع (7)

(1) يريد «بأحمد» أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي الكندي الشاعر المعروف.

(2) يشأو: يسبق. وفي رقي هوجو، أي أشعاره التي تشبه رقي السحر. وفكتور هوجو، هو شاعر فرنسا المعروف. انظر التعريف به في الحاشية رقم 2 من صفحة 38 والنسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. وألفريد: هو الفريد ديموسيه من كبار شعراء فرنسا، ولد بباريس سنة 1810م وتوفي بها سنة 1857م وكان ممتازا في شعره بالرقة ولطف الصياغة، وهو صاحب الليالي الأربع المشار إليها في هذا البيت في الحب والشك والسلوان، وهي ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أول)، وليلة من (آب) وليلة من (تشرين أول). وفي كل ليلة من هذه الليالي الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب؛ وهذه الليالي هي التي رفعته إلى الطبقة الأولى من شعراء فرنسا.

(3) بفارس، يريد أمة الفرس، وقد عرف شعراؤها بالإبداع في المعاني، وفي هذا يقول حافظ من قصيدة له في مدح البارودي:

ومر كل معنى فارسي بطاعتي وكل نفور منه أن يتوددا

(4) يريد «بحافظ»: شمس الدين محمد الشيرازي الشاعر الغنائي المعروف، ولد بشيراز في مستهل القرن الثامن الهجري، وتوفي سنة 793هـ. يقول في هذا البيت والذي قبله: إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما أبدعوا فيه من المعاني وأجادوا، نمق شوقي من رياض أشعاره ما يحكي رياض أشعارهم حتى أن شاعرهم الكبير حافظ الشيرازي ليتغنى ويرتعي في رياض ذلك الشاعر العربي (شوقي).

(5) المدى: الغاية.

(6) يفري: يشق.

(7) المقدار: القدر. والسلقع: الجريء الشجاع.

نفيت فلم تجزع ولم تك ضارعا   ومن ترمه الأيام يجزع ويضرع (1)
وأخصبت في المنفى وما كنت مجدبا   وفي النفي خصب العبقري السميذع (2)
لقد زاد (هوجو) فيه خصب قريحة   وآب إلى أوطانه جد ممرع (3)
وأدرك (سامي) بالجزيرة غاية   إليها ملوك القول لم تتطلع (4)
تذكرت عذب النيل والنفس صبة   إلى نهلة من كوب ماء مشعشع (5)
وأرسلت تستسقى بنى مصر شربة   فقطعت أحشائي وأضرمت أضلعي (6)
أنروى ولا تروى وأنت أحقنا   بري فيا قلب النبوغ تقطع
وإن شئت عنا يا سماء فاقلعي   ويا ماءها فاكفف ويا أرض فابلعي (7)
حرام علينا أن نلذ بنهلة   وأنت تنادينا ونحن بمسمع
أبى الله إلا أن يردك سالما   ومن يرعه يسلم ويغنم ويرجع

(1) يضرع: يذل.(2) يريد بقوله: «اخصبت في المنفى»: أن شعره جاد وحسن في المنفى، وما كان مجدبا من قبل. والسميذع: السيد الكريم.(3) «فيه» أي في المنفى. والممرع: المخصب. شبه شوقيا (بهوجو) كلاهما زاده النفى خصبا في قريحته ونضوجا في شاعريته.

(4) ملوك القول: فحول الشعراء. ويشير إلى نفي المرحوم محمود باشا سامي البارودي إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العرابية، وما قاله في أثناء النفي من الشعر..

(5) النهلة: السقي. والمشعشع: الممزوج. يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التي بعث بها شوقي وهو في منفاه إلى حافظ، وهي:

يا ساكني مصر إنا لا نزال على   عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

الأبيات. انظر صفحة 186 من هذا الجزء. وانظر رد حافظ عليها في ص 187. (6) أضرمت: ألهبت.

(7) أقلعت السماء: كفت عن المطر. ويشير إلى قوله تعالى في سورة هود: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي).

وعدت فقرت عين مصر وأصبحت   رياض القوافي في ربيع موشع (1)
وأدركت ما تبغي وشيدت آية   على الشاطئ الغربي في خير موقع (2)
يحف بها روض يحي بدورها   بكورا بريا عرفه المتوضع (3)
حمى يتهادى النيل تحت ظلاله   تهادى خود في رداء مجزع (4)
لقد كنت ترجو منه بالأمس قطرة   فدونكه فابرد غليلك وانقع (5)
أمير القوافي قد أتيت مبايعا   وهذي وفود الشرق قد بايعت معي
فغن ربوع النيل واعطف بنظرة   على ساكني النهرين واصدح وأبدع (6)
ولا تنس (نجدا) غنها منبت الهوى   ومرعى المها من سارحات ورتع (7)
وحى ذرا (لبنان) واجعل (لتونس)   نصيبا من السلوى وقسم ووزع
ففي الشعر حث الطامحي إلى العلا   وفي الشعر زهد الناسك المتورع
وفي الشعر ما يغني عن السيف وقعه   كما روع الأعداء بيت (الأشجع) (8)

(1) الربيع الموشع: الموشي بألوان الزهر والنبات.

(2) يشير إلى قصر شوقي الذي بناه على الشاطئ الغربي للنيل بالجيزة.

(3) الريا والعرف: الرائحة الطيبة. وبكورا، أي في بكرة الصباح. والمتضوع: المنتشر الرائحة.

(4) يتهادى: يمشي في لين وخفة. والخود: الشابة الحسنة. والمجزع: المختلف الألوان.

(5) نقع ظمأه بالماء: أرواه.

(6) يريد بساكني النهرين: أهل العراق. والنهران: دجلة والفرات. واصدح، أي غن بالشعر.

(7) المها: بقر الوحش، الواحدة مهاة؛ يريد النساء اللاتي تشبهها في وسعة العيون وجمالها. ويطلب إلى الشاعر أن يغني نجدا بشعره، كما يغني أهل مصر.

(8) يسير إلى بيت لأشجع بن عمرو السلمي الشاعر العباسي المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد:

وعلى عدوك يا بن عم محمد   رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وغذا غفا   سلت عليه سيوفك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثاني:

وفي الشعر إحياء النفوس وربما   وأنت لرى النفس أعذب منبع
فنبه عقولا طال عهد رقادها   وأفئدة شدت إليها بأنسع (1)
فقد غمرتها حنةقفوق محنة   وأنت لها يا شاعر الشرق فادفع
وأنت بحمد الله ما زلت قادرا   على النفع فاستنهض بيانك وانفع
وخذ بزمام القوم وانزع بأهله   إلى المجد والعلياء أكرم منزع (2)
وقفنا على النهج القويم فإننا   سلكنا طريقا للهدى غير مهيع (3)
ملأنا طباق الأرض وجدا ولوعة   بهند ودعد والرباب وبوزع
وملت بنات الشعر من مواقفا   يسقط اللوى (والرقمتين) (ولعلع)(4)
وأقوامنا في الشرق قد طال نومهم   وما كان نوم الشعر بالمتوقع
تغيرت الدنيا وقد كان أهلها   يرون متون العيس ألين مضجع
وكان يريد العلم عيرا وأينقا   متى يعيها الإيجاف في البيد تظلع(6)
فأصبح لا يرضى البخار مطية   ولا السلك في تياره المتدفع

(1) الأنسع: جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال. يريد وصف الأفئدة بالتقيد والأسر في أغلال العادات القديمة.(2) وانزع بأهله، أي قد أهل الشرق وسر بهم.(3) قفنا على النهج القويم، أي أرشدنا إلى الطريق المستقيم في أعراض الشعر. والمهيع: الطريق الواضح البين. (4) بنات الشعر، أي معانيه وأغراضه. و«سقط الهوى» إلخ: أسماء مواضع في بلاد العرب وردت في شعر القدماء. (5) منون العيس: ظهور الإبل. (6) العير: القافلة. والإيجاف: الإسراع. والبيد: جمع بيداء. وتظلع: تعرج مشيتها. يقول: كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التي لا تسعف راكبها.

وقد كان كل الأمر تصويب نبلة فأصبح بعض الأمر تصويب مدفع
ونحن كما غنى الأوائل لم نزل نغني بأرماح وبيض وأدرع (1)
عرفنا مدى الشيء القديم فهل مدى لشيء جديد حاضر النفع ممتع (2)
لدى كل شعب في الحوادث عدة وعدتنا ندب التراث المضيع (3)
فيا ضيعة الأقلام إن لم نقم بها دعامة ركن المشرق المترعزع (4)
أتمشى به شم الأنوف عداته ورب الحمى يمشي بأنف مجدع (5)
عزيز عليه يا بنى الشرق أن ترى كواكبه في أفقه غير طلع
وأعلامه من فوقه غير خفق وأقلامه من تحتها غير شرع (6)
وكيف يوقي الشر أو يبلغ المنى على ما ترى من شمله المتصدع
فإن كنت قوالا كريما مقاله فقل في سبيل النيل والشرق أودع

(1) يريد بالبيض: السيوف.

(2) المدى: الغاية.

(3) ندب التراث المضيع، أي البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاخر.

(4) الدعامة: عماد البيت. والمترعزع: المضطرب.

(5) شم الأنوف: وصف يقال للسادة الأعزاء. والمجدع: المقطوع، ويقال ذلك للذليل. يقول: إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا، وأهله ذلوا به واستكانوا. ويشير إلى ما جنته الامتيازات على الشرق.

(6) الشرع: المسددة المصوبة إلى الغرض.

إلى المحتفلين بتكريم حافظ

بيتان قالهما في المأدبة التي أقامها بعض أدباء الغرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوقي) (ومطران)

[نشرت في 31 يناير 1928م]

قد قرأناكم فهشت نهانا فاقتبسنا نورا يضيء السبيلا (1)
فاقرأونا ومن لنا أن تصيبوا بين أفكارنا شعاعا ضئيلا

تحية إلى جمعية المرأة الجديدة

[نشرت في 12 أبريل سنة 1928م]

إليكن يهدي النيل ألف تحية معطرة في أسطر عطرات
ويثني على أعمالكن موكلي بإطراء أهل البر والحسنات (2)
أقمتن بالأمس الأساس مباركا وجئتن يوم الفتح مغتبطات
صنعتن ما يعي الرجال صنيعه فزدتن في الخيرات والبركات
يقولون: نصف الناس في الشرق عاطل ساء قضين العمر في الحجرات
وهذي بنات النيل يعملن للنهى ويغرسن غرسا داني الثمرات

(1) قرأناكم، أي قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر.

(2) موكلي، أي أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

وفي السنة السوداء كنتن قدوة | لنا حين سال الموت بالمهجات (1)
وقفتن في وجه الخميس مدججا | وكنتن بالإيمان معتصمات (2)
وما هالكن الرمح والسيف مصلتا | ولا المدفع الرشاش في الطرقات (3)
تعلم منكن الرجال فأصبحوا | على غمرات الموت أهل ثبات
(صفية) قادتكن للمجد والعلا | كما كان (سعد) قائد السروات (4)
عرفنا لها في مجد (سعد) نصيبها | من الحزم والإقدام في الأزمات
تهون للشيخ الجليل هجومه | على الهول بالتشجيع والبسمات
وتدفعه للموت والثغر باسم | وفي صدرها نوء من الزفرات (5)
كذا فليكن صنيع الكريم وصبره | على دهره والدهر غير مواتي (6)
لتحي الغواني في ظلال مليكة | سمت في معاليها على الملكات
وظل (فؤاد) مفخر الشرق كله | كثير الأيادي صادق العزمات

(1) يريد بالسنة السوداء: سنة 1919م التي احتدمت فيها نار الثورة الوطنية، وقد أخذ السيدات المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر.

(2) الخميس: الجيش. والمدجج: لابس السلاح. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى مظاهرة السيدات التي تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية، وثبت السيدات لهم ولم يتفرقن؛ وقال حافظ في هذه الحادثة قصيدته المعروفة التي أولها:

خرجن الغواني يحتججـ — ـن ورحت أرقب جمعهنه

(3) المصلت: المجرد من غمده.

(4) سروات الناس: أشرافهم.

(5) نوء من الزفرات، أي ثقل ما تنوء باحتماله.

(6) المواتي: الموافق.

إلى محمد حسين هيكل بك وخليل مطران بك

قالها في مناظرة كانت بين هيكل ومطران في مدرج كلية الآداب، موضوعها:

(هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكفي وحده لتكوين الأديب؟)

[نشرت في 18 أبريل سنة 1928م]

سما الخطيبان في المعالي وجاز شأوهما السماكا (1)

جالا فلم يتركا مجالا واعتراكا بالنهى عراكا (2)

فلست أدري على اختباري من منهما جل أن يحاكي

فوحى عقلي يقول: هذا ووحي قلبي يقول: ذاكا

وددت لو كل ذي غرور أمسى لنعليهما شراكا (3)

تحية الشأم

أنشدها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بالجامعة الأمريكية ببيروت

[نشرت في 2 يونيو سنة 1929م]

حيا بكور الحيا أرباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حياني (4)

أهل الشام لقد طوقتم عنقي بمنة خرجت عن طوق تبياني (5)

(1) الشأو: الغاية. والسماك: أحد كوكبين نيرين يقال لأحدهما: السماك الرامح، وللآخر: السماك الأعزل.

(2) النهى: العقول، الواحدة نهية (3) شراك النعل: سيره الذي يكون على ظهر القدم، وهو مثل في القلة.

(4) بكور الحيا: المطر المبكر. والأرباع: المنازل الواحد ربع. وطالعه: طلع عليه. واليمن: البركة والخير.

(5) الطوق: الطاقة والجهد.

قل للكريم الذي أسدى إلى بدا   أني نزحت فأنت النازح الداني (1)

ما إن تقاضيت نفسي ذكر عارفة   هل يحدث الذكر إلا بعد نسيان (2)

ولا تعبت على خل يضن بها   ما دام يزهد في شكري وعرفاني (3)

أقر عيني أني قمت أنشدكم   في معهد بحلى العرفان مزدان

وشاع في سرور لا يعادله   رد الشباب إلى شعري وجثماني

لي موطن في ربوع النيل أعظمه   ولي هنا في حماكم موطن ثاني

اني رأيت على أهرامها حللا   من الجلال أراها فوق (لبنان)

لم يمح منها ولا من حسن جدتها   على التعاقب ما يمحو الجديدان (4)

حسبت نفسي يزيلا بينكم فإذا   أهلي وصحبي وأحبابي وجيراني

من كل أبلج سامي الطرف مضطلع   بالخطب مبتهج بالضيف جذلان (5)

يمشي إلى المجد مختالا ومبتسما   كأنه حين يبدو عود مران (6)

(1) أسدى: بذل وأعطى. واليد: المعروف والجميل. ونزح: بعد، أي أنت إذا بعدت عنا بجسمك، قريب بتذكرنا لأياديك علينا.

(2)تقاضى: طلب. والعارفة: المعروف. يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن تتذكر جميلا أسدى إليها، فهي دائما تذكره ولا تنساه، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه.

(3) يضن بها، أي بالعارفة. وعرفاني، أي معرفتي.

(4) الجدة: ضد القدم. والجديدان: الليل والنهار، ولا يفردان، فلا يقال للواحد منهما: الجديد.

(5) الأبلج: الطلق الوجه. وسامي الطرف: مرتفعه، أي طموح إلى المعالي. واضطلع بالأمر: نهض به. والجذلان: الفرح.

(6) المران: الرماح اللدنة، الواحدة مرانة. شبه بالرمح في استقامة القامة.

سكنتم جنة فيحاء ليس بها ... عيب سوى أنها في العالم الفاني (1)
إذا تأملت في صنع الإله بها ... لم تلق وشيه صنع لإنسان (2)
في سهلها وأعاليها وسلسلها ... برء العليل وسلوى العاشق العاني (3)
وفي تضويع انفاس الرياض بها ... روح لكل حزين القلب أسوان (4)
إني تخيرت من (لبنان) منزلة ... في كل منزلة روض وعينان (5)
يا ليتني كنت من دنياي في دعة ... قلبي جميع وأمري طوع وجداني (6)
أقضي المصيف بلبنان على شرف ... ولا أحول عن المشتى (بحلوان) (7)
يا وقفة في جبال الأرز أنشدها ... بين الصنوبر والشربين والبان (8)
تستهبط الوحي نفسي من سماوتها ... وينثنى ملكا في الشعر شيطاني (9)
على أجاودكم في القول مقتديا ... بشاعر الأرز في صنع وإتقان (10)

(1) الفيحاء: الواسعة.
(2) الوشي: نمنمة الثوب ونقشه وتحسينه، شبه به اختلاف الألوان في الزهر والنبات.
(3) السلسل: الماء العذب السلس السهل. والعاني: المعذب.
(4) التضوع: انتشار الرائحة. والروح: الراحة والرحمة. والأسوان: الحزين.
(5) «في كل» جواب «أني» الشرطية.
(6) الدعة: السكون والراحة. وجميع، أي غير متفرق ولا مشتت الشؤون.
(7) الشرف: المرتفع من الأرض.
(8) جبال الأرز: مرتفعات لبنان. والأرز شجر معروف بها، وكذلك الصنوبر. والشربين: شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى رائحة وأعرض ورقا وأصغر ثمرا. والبان: شجر سبط القوم لين ورقه كورق الصفصاف، الواحدة بانة، وبه تشبه القدود.
(9) من سماوتها، أي من أعلى هذه الجبال.
(10) جاوده في القول، أي باراه في جودته. ويريد «بشاعر الأرز»: خليل مطران بك.

لا بدع إن أخصبت فيها قرائحكم فأعجزت وأعادت عهد (حسان) (**1**)
طيب الهواء وطيب الروض قد صقلا لوح الخيال فأغراكم وأغراني
من رام أن يشهد الفردوس ماثلة فليغش أحياءكم في شهر نيسان (**2**)
تاهت بقر (صلاح الدين) تربتها وتاه أحياؤها تيها (بمطران) (**3**)
يبني ويهدم في الشعر القديم وفي الشعر الحديث فنعم الهادم الباني
إذا لمحتم بشعري ومض بارقة فبعض إحسانه في القول إحساني (**4**)
رعيا لشاعركم، رعيا لكاتبكم جزاهما الله عني ما يقولان
أرى رجالا من الدنيا الجديدة في الدنيا القديمة تبني خير بنيان (**5**)
قد شيدوا آية بالشام خالدة شتى المناهل تروي كل ظمآن
لئن هدوكم لقد كانت أوائلكم تهدي أوائلهم أزمان أزمان (**6**)
لأغروا إن عمروا في الأرض وابتكروا فيها افانين إصلاح وعمران (**7**)

(**1**) يريد بحسان: حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف.

(**2**) نيسان (بالفتح) شهر من شهور السنة المسيحية، وهو يقابل أبريل.

(**3**) يريد بصلاح الدين: الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر، ورجل الحروب الصليبية المعروف، وكانت وفاته بدمشق سنة **589**هـ. ويريد بمطران: خليل مطران بك الشاعر المعاصر المعروف.

(**4**) الومض: اللمعان.

(**5**) يريد «بالدنيا الجديدة»: أمريكا. و«البنيان»: الجامعة الأمريكية ببيروت التي أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه.

(**6**) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم. ويريد بقوله: «أزمان أزمان»: الإمعان في القدم.

(**7**) لا غرو: لا عجب. والأفانين: الضروب الواحد أفنون (بالضم).

فتلك دنياهم في الجو قد نزعت ... أعنة الريح من دنيا سليمان (1)

أبت أمية أن تفنى محامدها ... على المدى وأبى أبناء غسان (2)

فمن غطارف في (جلق) نجب ... ومن غطارفة في أرض (حوارن) (3)

عافوا المذلة في الدنيا فعندهم ... عز الحياة وعز الموت سيان (4)

لا يصبرون على ضيم يحاوله ... با غ من الإنس أو طاغ من الجان

شققت أسواق (بيروت) فما أخذت ... عيناي في ساحها حانوت يوناني

فقلت في غبطة: لله درهم ... ليس الفلاح لوان غير يقظان

تيمموا أرض كومب فما شعرت ... منهم بوطء مضطلع غريب الدار حيران (5)

سادوا وشادوا وأبلوا في مناكبها ... بلاء مضطلع بالأمر معوان (6)

إن ضاق ميدان سبق من عزائمهم ... صاحت بهم فأروها الف ميدان (7)

(1) الأعنة: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة. وسليمان، هو سليمان بن داود عليهما السلام. ويشير بهذا إلى تفوق الأمريكيين في الطيران.

(2) الغساسون: أمراء تخوم الشام قديما من العرب، وكانت لهم فيها حضارة، ثم كان الشأم ملك بني أمية، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر.

(3) الغطارفة: الأشراف والسادة، الواحد غطريف (بالكسر). وجلق (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة الغوطة كلها؛ أو هي دمشق نفسها. وحوران (بالفتح): كورة والسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع.

(4) عافوا: أبوا وكرهوا.

(5) تيمموا: قصدوا. وأرض كولمب: أمريكا، نسبة إلى كاشفها كريستوف كولمب. يشير إلى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها.

(6) أبلوا في مناكبها: جدوا واجتهدوا في نواحيها: ومضطلع بالأمر: ناهض به قوي عليه. والمعوان (بالكسر): الحسن المعونة الكثيرة.

(7) الضمير في «صاحت» يعود على عزائمهم.

لا يستشيرون إن هموا سوى همم ... تأبى المقام على ذل وإذعان

ولا يبالون إن كانت قبورهم ... ذرا الشوامخ أو أجواف حيتان (1)

في الكون مورقهم في الشام مغرسهم ... والغرس يزكو نقالا بين بلدان (2)

إن لم يفوزوا بسلطان يقرهم ... ففي المهجر قد عزوا بسلطان (3)

أو ضاقت الشام عن برهان قدرتهم ... ففي المهجر قد جاءوا ببرهان

إنا رأينا كراما من رجالهم ... كانوا عليهم لدينا خير عنوان

أنى التقينا التقى في كل مجتمع ... أهل بأهل وإخوان بإخوان

كم في نواحي ربوع النيل من طرف ... (لليازجي) و(صروف) و(زيدان)

وكم لأحيائهم في الصحف من أثر ... له (المقطم) و(الأهرام) ركنان (4)

متى أرى الشرق أدناه وأبعده ... عن مطمع الغرب فيه غير وسنان (5)

تجري المودة في أعراقه طلقا ... كجرية الماء في أثناء أفنان (6)

(1) ذرا الشوامخ: أعالي الجبال.

(2) مورقهم، أي حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة؛ وهو من ورق الشجر يرق (وزان وعد يعد)، أي ظهر ورقه. يقول: إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموفقة في مختلف نواحي العالم، وموطنهم الذي نشأوا فيه بلاد الشام. يزكو: ينمو. شبههم بالغرس الذي يستفيد من تغيير بيئته وتربته قوة ونماء.

(3) المهاجر (بالضم وفتح الجيم): اسم المكان من هاجر.

(4) المقطم والأهرام: صحيفتان مصريتان معروفتا أصحابهما من إخواننا اللبنانيين.

(5) الوسنان: النائم.

(6) طلقا: منطلقة. والأفنان: الأغصان، الواحد فتن بالتحريك، والذي في نسخة الديوان أفناه أفنان؛ ولم نجد لقوله «أفناء» معنى يناسب سياق البيت. وقد أثبتناها بالتاء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه.

لا فرق بين بوذي يعيش به ... ومسلم ويهودي ونصراني

ما بال دنياه لما فاء وارفها ... عليه قد أدبرت من غير إيذان (1)

عهد (الرشيد) (ببغداد) عفا ومضى ... وفي (دمشق) انطوى عهد (ابن مروان) (2)

ولا تسل بعده عن عهد (قرطبة) ... كيف امحى بين أسياف ونيران (3)

فعلموا كل حي عند مولده: ... عليك لله والأوطان دينان

(النيل) وهو إلى (الأردن) في شغف ... يهدي إلى (بردي) أشواق ولهان (5)

وفي (العراق) به وجد (بدجلته) ... و(بالفرات) وتحنان (لسيحان) (6)

إن دام ما نحن فيه من مدابرة ... وفتنة بين أجناس وأديان (7)

رأيت رأى (المعري) حين أرهقته ... ما حل بالناس من بغي وعدوان (8)

(1) فاء وارفها: أقبل خيرها ونعيمها. والوارف: الظل المنتشر المتسع. والإيذان: الإعلام.

(2) يشير إلى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من (سنة 170 هـ) (سنة 786م) إلى (سنة 193هـ) (سنة 809م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بني أمية؛ وقد بقيت فيه الخلافة 90 عاما من (سنة41هـ) (سنة 661م) إلى (سنة 132هـ) (سنة 750 م).

(3) قرطبة: بلد معروفة بالأندلس. ويريد بعهدها: دولة العرب بها.

(5) الأردن: نهر معروف بالشام، يصب في البحر الميت. وبردى (بالتحريك): نهر بدمشق.

(6) دجلة والفرات: نهران معروفان في العراق يصبان في الخليج الفارسي. ويريد «بسيحان»: نهر سيحون في آسيا الوسطى الروسية الذي يصب في بحر آرال.

(7) المدابرة: المقاطعة.

(8) أرهقه: آذاه. والمعرى، هو أبو العلاء المعري الشاعر المعروف.

لا تطهر الأرض من رجس ولا درن ... حتى يعاودها (نوح) بطوفان (1)
ولى الشباب وجازتني فتوته ... وهدم السقم بعد السقم أركاني (2)
وقد وقفت على الستين أسألها ... أسوفت أم أعدت حر أكفاني (3)
شاهدت مصرع أترابي فبشرني ... بضجعة عندها روحي وريحاني (4)
كم من قريب نأى عني فأوجعني ... وكم من عزيز مضى قبلي فأبكاني
من كان يسأل عن قومي فإنهم ... ولوا سراعا وخلوا ذلك الواني (5)
إني مللت وقوفي كل آونة ... أبكي وأنظم أحزانا بأحزان
إذ تصفحت ديواني لتقرأني ... وجدت شعر المراثي نصف ديواني
أتيت مستشفيا والشوق يدفع بي ... إلى رباكم وعودي غير فينان (6)
فأنزلوني مكانا أستجم به ... وينجلي عن فؤادي برح أحزاني (7)
حسبي وحسب النهى ما نلت من كرم ... قد كدت أنسى به أهلي وخلاني

(1) الرجس: النجس. والدرن: الدنس. ونوح، هو نوح النبي عليه السلام؛ وقصة الطوفان في عهده معروفة، ورد ذكرها في القرآن. ويشير بهذا البيت إلى قول أبي العلاء:

والأرض للطوفان مشتاقة ... لعلها من درن تغسل

(2) جازتني: خلفتني وتركتني.

(3) حر كل شيء: خالصه.

(4) الروح: الراحة.

(5) الواني، أي المتأخر عنهم.

(6) غير فينان، يريد أن عوده ذابل ذاو. والفينان من النبات: ما طال منه وحسن.

(7) استجم: استريح. والبرح: الأذى والسقم.

(8) يريد «بالأفاويه»: التوابل.

تهنئة محمد محمود باشا

بلقب دكتور الشرف في الحقوق الذي منحته إياه جامعة أكسفورد، وكان رئيسا للوزراء إذ ذاك

[نشرت في 26 مايو سنة 1929م]

شرف الرأسة يا محمـ ـد زانه شرف النهى
بردان من نسج الجلا ل إليهما الفخر انتهى
جعلا مقرك يا محمـ ـد فوق أكناف السهى (1)
زانتك ألقاب الرجا ل العاملين وزنتها
أمنية قد نالها أمل الخلود ونلتها
فاسلك سبيلك في الجها د موفقا ومنزها
واحفظ لمصر حقوق مصـ ـر فأنت في الجلى لها(2).

(1) السهى: كوكب خفي من نبنات نعش الصغرى.

(2) الجلي: ما جل من الشدائد.

إلى الدكتور علي أبراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل الدكتور عملية لصاحب الدولة محمد محمد باشا

(نشرت في 25 يوليو سنة 1930م)

أيا يدا قد خصها ربها ... بآية الإعجاز في الخلق
ومشرطا جمع من رحمة ... وصيغ من يمن ومن رفق
نجيتما من مرض قاتل ... مطلع آمال بني الشرق
لولاكما لاندك صرح العلا ... وانحدر البدر عن الأفق
وباتت الأخلاق في حسرة ... على نبيل النفس والخلق
صانكما الله لبرء الورى ... وصانه للعرف والحق(1)

وقال فيه أيضا:

(ارتجلهما في حفل أقيم لتكريمه سنة 1930م)

قل للطبيب الذي تعنو الجراح له ... ماذا اعتددت لجرح العاشق العاني (2)
قد كان مبضعه والجرح يرمقه ... يمنى الحبيب تواسي صدر ولهان (3)

(1) العرف: الخير والجود.

(2) تعنو: تخضع وتذل. واعتددت، أي أعددت. والعاني: الأسير.

(3) المبضع: المشرط.

إلى المستشار محمود غالب بك

والأستاذ أحمد لطفي السيد بك مدير الجامعة المصرية (1)

[نشرت في 31 مارس سنة 1932م]

قد راع دار العدل طغـ ـيان وراع الجامعة
فحميتما حرميهما رغم الخطوب الفاجعة
وقهرتما الباغي على رد الحقوق الناصعة (2)
لله در المستشا ر ودر ذاك الباقعة (3)
فهما اللذان تكلفا عنا بصد القارعة
نظر الحياد بعينه في الناس هول الواقعة (4)
أمنى المحايد أن يرى مصر العزيزة ضارعة (5)
كذب الحياد فلن تكو ن جهود مصر ضائعة
فالحق لا تلوى به تلك السيوف اللامعة (6)
أصبحت أسأل خاطري والنفس مني جازعة
أنعيش تحت الليل أم تحت الشموس الساطعة

(1) يشير الشاعر بهذه القصيدة إلى حادثتين: إحداهما، أن محمود بك غالب (محمود باشا الآن) المستشار بمحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر محكمة الجنايات، وقد عرضت على الدائرة التي يرأسها قضية القنابل المعروفة، اتهم فيها جماعة بإلقاء القنابل بيوت بعض الكبراء، واستمر غالب بك ينظر هذه القضية ثلاث جلسات، فلما كانت الجلسة الرابعة يوم 23 مارس سنة 1932 تنحى عن النظر فيها، وقال إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر الأسباب التي حملته على هذا التنحي. وإنه لم يخضع في هذا إلا لسلطان ضميره. والثانية، أن الأستاذ أحمد لطفي السيد بك (لطفي السيد باشا الآن) مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه في 9 مارس سنة 1932م لنقل الدكتور (طه حسين) عميد كلية الآداب إلى وزارة المعارف بدون رضاه، ودون رضا الجامعة.

(2) الناصعة، أي الظاهرة التي لا يسع أحدا نكرانها (3) الباقع: الذكي العارف، الذي لا يفوته شيء ولا يدهى.

(4) كنى «بالحياد» عن الإنجليز، لأنهم كانوا في العهد يدعون أنهم على الحياد في الشؤون الداخلية في مصر، وأن المسئولية كلها على الوزراء المصريين.

(5) ضارعة: ذليلة. (6) ألوى بالشيء: ذهب إليه.

إلى الدكتور طه حسين

أنشدها في حفل أقيم للدكتور بفندق مينا هاوس من طلبة الجامعة بعد فصله

[نشرا في 7 إبريل سنة 1932م]

قد أجدبت دار الحجا والنهى بعدك من آرائك النافعة (1)
وأخصبت أرجاء مصر بمن صير مصرا كلها جامعة

(1) يريد «بدار الحجا والنهى»: الجامعة المصرية.

تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

أرأيت رب التاج في عيد الجلوس وقد تبدى (1)
وشهدت جبريلا يمـ ـد عليه ظل الله مدا
ونظرت تطواف القلو ب بساحة العرش المفدى
وسمعت تسبيح الوفو د بحمده وفدا فوفدا
هذا ابن إسماعيل رب النيل من أغنى وأسدى (2)
النيل يجري تحته فيخذ وجه الأرض خدا (3)
يهب النضار كأنه من فيض جدواه استمدا (4)
وكأنما هو عالم بالكيمياء أصاب جدا (5)
يدع الثرى تبرا فهل شهد الورى للنيل ندا

الناس يوم جلوسه يستقبلون العيش رغدا
أنى سلكت سمعت أد عية له وسمعت حمدا
عش يا (أبا الفاروق) والـ ـبس من نسيج الحمد بردا
ها صولجان الملك من شجر الجنان إليك يهدى (6)
حدت علا صيد الملو ك ولا أرى لعلاك حدا (7)
فابن الرجال بناية يشقى العدو بها ويردى (8)
واضرب بسوط البأس أعـ ـطاف الزمان إذا استبدا (9)
أي الملوك أجل منـ ـك مكانة وأعز جندا؟
من منهم كفاه يو م البذل من كفيك أندى؟ (10)
من منهم نامت رعـ ـته وقام الليل سهدا؟
من منهم ساماك أو سامى جلالك أو تحدى؟ (11)
من منهم أوفى حجا وحصافة وأبر عدا؟ (12)
في الشرق فانظر هل ترى حبا (كإسماعيل) عدا؟

(1) تبدى : بدا وظهر.
(2) أسدى: أعطى.
(3) يخد: يشق.
(4) النضار: الذهب. والجدوى: العطية والمعروف.
(5) الجد: الحظ.
(6) الصولجان: العصا المنعطفة الرأس؛ والجمع صواجلة؛ وهو لفظ فارسي معرب؛ ويقال صولجان الملك، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك.
(7) الصيد: جمع أصيد، وهو المتكبر المزهو.
(8) يردي: يهلك.
(9) الأعطاف: الجوانب. الواحد عطف (بالكسر).
(10) أندى: أسخى.
(11) ساماك، أي غالبك في السمو. وتحداك: نازعك الغلبة.
(12) الحجا: العقل. والحصافة: جودة الرأي.

هذي (الجزيرة) و (العر	ق) (وفارس) يهددن هدا (1)
وإليك (مكة) هل ترى	أحدا بها وإليك (نجدا)
وإليك (تونس) و (الجزا	ئر) قد لبسن العيش نكدا
لم يرتفع في الشرق تا	ج فوق تاج النيل (مجدا)
جددت عهد (الراشديـ	ـن) تقى وإحسانا وزهدا
ونرى عليك مخايل الـ	ـخلفاء إنصافا ورشدا
جلت صفاتك، كم محو	ت أسى وكم أوريت زندا (2)
أعطيت لا متربحا	أو مخفيا في الجود قصدا (3)
رويت أفئدة الرعيـ	ـة من هواك فكيف تصدى (4)
وملكتهن كما ملكـ	ـت زمام (مصر) أبا وجدا (5)
فإذا نهيت فطاعة	واذا أمرت فلا مردا
أعطوك طاعة مخلص	ومنحتهم عطفا وودا
أوضحت للمصري نهـ	ـج صلاحه فسعى وجدا (6)
أعددته وكلفته	ورعيته حتى استعدا
ودعوته أن يسترد	فخار مصر فاستردا
ورد الحياة عزيزة	فنجا وكان الموت وردا
وحمى الكنانة بعد ما	حفرت لها الأطماع لحدا
فتحت أعيننا فأبـ	ـصرن الضياء وكن رمدا (7)

وأقمت جامعة بمصـ ـر تشد أزر العلم شدا (8)
كم سيد بالعلم كا ن برغمه للجهل عبدا (9)
ورفعت في ثغر الثغو ر لمنشآت البحر بندا (10)
أسست مدرسة تعيـ ـد لنا بملك البحر عهدا
فمتى أرى أسطول مصـ ـر يثير فوق البحر رعدا
ومتى أرى جيش البلا د يسد عين الشمس سدا
ونظرت في الطيران نظـ ـرة مصلح لم يأل جهدا (11)
أعددت عدته ولم تر منه للأوطان بدا
أعظم بأسطول الهوا ء إذ انبرى فسطا وشدا
من راءه يوم النزا ل رأى النسور تصيد أسدا (12)
وتراه عند السلم سر با من طواويس تبدى (13)
وطوائف العمال كم أوليتها رفدا فرفدا (14)
من ذا يطيق لبعض ما أصلحت أو أسديت عدا
دم يا (فؤاد) مؤيدا بالمال والأرواح تفدى
وأعد لنا عهد المعـ ـز الفاطمي فأنت أهدى (15)

(1) يهددان هدا، أي أن أركان العمران تتداعى فيها.
(2) الأسى: الحزن. وإيراء الزند: كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل. والأصل في إيراء الزند، استخراج ناره.
(3) لا مترحبا، أي غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك نفعا لك. (4) تصدى: تظمأ.
(5) الزمام (بالكسر): ما تقاد به الدابة. (6) النهج: الطريق. وجد: اجتهد.
(7) الرمد: المصابة بالرمد، الواحد رمداء. وكنى بذلك عن الجهل. و«بالضياء» عن العلوم والمعارف.
(8) تشد أزر العلم، أي تقويه وتنهضه.
(9) يقول: كم من رجل سوده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبدا لجهله.

(**10**) يريد «بثغر الثغور» الاسكندرية. والمنشآت: السفن. والبند: العلم الكبير، فارسي. يشير إلى مدرسة البحرية التي أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول.

(**11**) لم يأل: لم يقصر. وفي عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر للطيران، وأنشأت أول أسطول جوي.

(**12**) راءه: رآه. والنزال: الحرب.

(**13**) السرب: جماعة الطير. والمعنى أن هذه الطائرات في أيام السلم تشبه الطواوييس في الإعجاب بجمالها والاختيال بحسنها.

(**14**) الرفد: العطاء والصلة. يشير إلى ما نالته نقابات العمال في عهد جلالته منتأييد ومساعدات.

(**15**) كان «المعز» رابع خلفاء الدولة الفاطمية، ولي الخلافة سنة **341**هـ. وفي أيامه دخل الفاطميون مصر، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها.

تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلا عندما تولى وكالة المعارف للتعلم الفني والفنون الجميلة سنة 1929م

أضحى (نجيب) وكيلا لنا ونعم الوكيل

فلينعم الشعر بالا فالشعر فن جميل

التقريظات

تقريظ كتاب (فحول البلاغة) لمؤلفه السيد توفيق البكري (1)

[نشر هذان البيتان في سنة 1313ه]

هذا كتاب مذ بدا سره للناس قالوا: معجز ثاني

أثابك الله على جمعه ثواب (عثمان بن عفان) (**2**)

تقريظ (جريدة مصباح الشرق)

لصاحبها إبراهيم المويلحي بك (3)

أهل الصحافة لا تضلوا بعده فسماؤكم قد زانها (المصباح)

الحق فيه زيته، وفتيله صدق الحديث، ونوره الإصلاح (4)

(1) ولد السيد توفيق البكري في سنة 1870م، وقد كان نقيبا للأشراف ومشيخة الطرق الصوفية، كما كان عضوا بمجلس شورى القوانين. وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته للعربية التي عد فيها من أئمة الأدب والبيان. وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد، وسمو الخديوي السابق بكثير من الأوسمة. وله غير هذا الكتاب، صهاريج اللؤلؤ، وأراجيز العرب، والمستقبل للإسلام؛ وتوفى رحمه الله يوم السبت 13 أغسطس سنة 1932م.

(2) خص «عثمان بن عفان» بالذكر لأنه هو الذينال ثواب جمع القرآن.

(3) مصباح الشرق: صحيفة سياسية أدبية، وكانت تصدر في كل أسبوع في مصر، أنشئت في (سنة 1315هـ) (سنة 1898م) واحتجبت في (سنة 1321هـ) (سنة 1903م).

(4) الفتيل: جمع فتيلة، وهي ذبالة المصباح.

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي

(سنة 1321هـ - سنة 1904م)

أراك - وأنت نبت اليوم - تمشي   بشعرك فوق هام الأولينا (1)

وأوتيت النبوة في المعاني   وما دنيت حد الأربعينا (2)

فزن تاج الرئاسة بعد (سامى)   كما زانت فرائده الجبينا (3)

وهذا الصولجان فكن حريصا   على ملك القريض وكن أمينا (4)

فحسبك أن مطريك (ابن هانى)   وأنك قد غدوت له قرينا (5)

(1) الهام: الرءوس، الواحدة هامة.

(2) يشير بهذا إلى ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله: بعثت على رأس الأربعين.

(3) يريد «بسامى»: المرحوم محمود سامي البارودى باشا. انظر التعريف به في الحاشية رقم 1 من صفحة 7. وفرائد اللؤلؤ: يتائمه التى لا توائم لها.

(4) الصولجان (فى أصل معناه): العصا المعوجة من طرفها؛ وهو لفظ فارسى معرّب، ويقال: صولجان الملك، لأن الملوك كانوا في القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك.

(5) مطريك: مادحك. ويريد «بابن هانئ»: المرحوم أحمد شوقى بك، وكان يلقب بابن هانئ، وسمى داره بالمطرية: كرمة ابن هانئ تشبها (بالحسن بن هانئ) المعروف بأبي نواس.

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت في أكتوبر سنة 1906م]

أحييت ميت رجاءنا بصحيفة   أثنى عليها الشرق والإسلام (1)
أضحت مصلى للبلاغة عندما   سجدت برحب فنائها الأقلام (2)
فعلى مؤيدك الجديد تحية   وعلى مؤيدك القديم سلام

تقريظ «حديث عيسى بن هشام» لصاحبه محمد المويلحى (3) بك

[نشر في أول مارس سنة 1907م]

قلم إذا ركب الأنامل أو جرى   سجدت له الأقلام وهي جوارى
يختال ما بين السطور كضغيم   يختال بين عوامل وشفار (4)
تأوى الظباء إليه وهى أوانس   وتحيد عنه الأسد وهي ضوارى (5)

(1) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ على يوسف. (2) الفناء (بكسر الفاء): الساحة أمام البيت. (3) هو محمد بك ابن إبراهيم بك المويلحي؛ ولد بالقاهرة سنة 1858م، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدّة مناصب في الحكومة المصرية، واشترك في تحرير عدّة صحف، وكان هو وأبوه إبراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين في مصر إذ ذاك، وهما صاحبا صحيفة مصباح الشرق. ومحمد بك المويلحي، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام؛ وتوفي يوم السبت أوّل مارس سنة 1930م.

(4) الضغيم: الأسد؛ ويريد به هنا: الشجاع. والعوامل: صدور الرياح، الواحد عامل. والشفار: جمع شفرة، وهي حدّ السيف.

(5) الضواري: المدربة على الصيد والافتراس. يريد أنه هذا القلم إذا رق ولطف أنست إليه الظباء؛ وإذا قسا خافته الآساد.

ما حال خلق الماء بين سطوره إلا إلى خلق الزناد الوارى (1)

فإذا رضيت فأحرف من رحمة وإذا غضبت فأحرف من نار

يا بن الذى غنى اليراع بكفه فصبت إليه مسامع الأقدار (2)

لك في دمي حق أردت وفاءه يوم الوفاء فقصرت أشعاري (3)

لم ينسى مر الزمان ولم يزل حفظ الوداد سجيتى وشعاري

هذا كتابك قد حكت آياته آيات موسى التسع في الإكبار (4)

نسج الحرير أبوك نسج نجاره ونسجت أنت حرائر الأفكار (5)

فإذا نثرت على الصحيفة خلتها غرسا ألح عليه صوب قطار (6)

(1) ما حال، أي ما تحول. ويريد «بخلق الماء»: الرقة والعذوبة. و«بخلق الزناد»: ما فيه من التوقد والالتهاب. والزناد الواري: الذى خرجت ناره.

(2) صبت: مالت.

(3) كان الممدوح كثير الإغداق على حافظ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت. (4) أيات موسى التسع، أي معجزاته، وهي مذكورة كلها في القرآن، قال الله تعالى في سورة الإسراء: (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية.

(5) النجار: الأصل والمحتد. ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا الممدوح وهو إبراهيم بك المويلحي كان من كبار تجار الحرير بمصر، وكان شريكا في هذه التجارة لأخيه عبد السلام المويلحى باشا عم الممدوح وقد أخطأهما التوفيق في تجارتهما، فمد إليهما يد المساعدة المغفور له إسماعيل باشا الخديوي، واختصهما بجعلهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديوي من أنواع الحرير؛ واقتدى به في ذلك سراة مصر ووجهاؤها، فصلحت حالهما بعد ذلك.

(6) ألح السحاب على النبات: دام مطره عليه. والقطار: الأمطار، الواحد قطر (بفتح فسكون). يريد تشبيه ما يكتب في صحفه بأنواع الزهر الغض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار. وفي الديوان المطبوع: «نثار» مكان «قطار».

يا صاحب المصباح ما ذنب النهى   حتى حجبت مطالع الأنوار (1)
قد كنت تهديها السبيل بضوئه   فتركتها في ظلمة وعثار (2)
باتت ترجى منك عودة غائب   نور البصائر فيه والأبصار
وشمائل الفكر التي أرسلتها   حكما فأغنتها عن الأسفار
فاشرع يراعك يا (محمد) إنه   نار اللئام وجنة الأحرار
وابعث لنا (عيسى) فهذا وقته   فالناس بين مخادع ومواري (5)
ومطاول في الكاتبين ومدع   فى العالمين ومولع بفخار (6)
أمنوا يراعك حين يطال سكونه   فتطلعوا لمراتب الأقمار (7)
إني لأنظم ما نثرت وإن يكن   نثر النظيم مطية النثار (8)

(1) قد سبق التعريف بصحيفة «مصباح الشرق» في الحاشية رقم 1 من صفحة 149 من هذا الجزء.

(2) تهديها أي تهدي النهى.

(3) الأسفار: يكتب، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء).

(4) اشرع يراعك، أى سدّد قلبك وصوّبه نحو الأغراض السامية.

(5) يريد كتاب عيسى ابن هشام. ويشير إلى ما ورد من أن نبى الله عيسى عليه السلام سيعود في آخر الزمان لهداية الناس. والمواري: المداري الذى يبطن خلاف ما يظهر.

(6) المطاول: المفاخر. والعالمين: جمع عالم (بكسر اللام) فيهما. يقول: إن هؤلاء المدعين قد أمنوا بطش قلمك بهم حين احتجبت صحيفتك فتطلعوا إلى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلعوا إليها لو أنك دائب على الكتابة.

(8) يقول: إن شعرى في الحقيقة ليس إلا نظما لما تنثر، فهو مقتبس من وحي قلمك، وإن تكن عادة الكتاب نثر ما ينظم الشعراء.

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة 1335هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(عثمان) إنك قد أتيت موفقا   شروى سميك جامع التنزيل (1)
جمعت أشتات القريض وزدته   حسنا بهذا الشرح والتذييل
وجلوت (مرآة العروض) صقيلة   للنيل فاستوجبت شكر النيل

تقريظ صحيفة كوكب الشرق لصاحبها محمد عوض بك

(نشر هذين البيتين في أول عدد صدر منها في سبتمبر سنة 1924م)

يا كوكب الشرق أشرق   فالحادثات تجد
لا تخش طالع سوء   فكوكب الشرق سعد

(1) شروى سميك، أي مثل سميك عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه جامع القرآن.

تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني

[نشرت في أول يونيو سنة 1926م] (1)

شيخان قد خبرا الوجود وأدركا   ما فيه من علل ومن أسباب (2)
واستنبطا الأشياء حتى طالعا   وجه الحقيقة من وراء حجاب (3)
خمسون عاما في الجهاد كلاهما   شاكى اليراعة طاهر الجلباب (4)
لا تعجبوا أن خضبا قلميهما   وبياض شيبهما بغير خضاب
فلكل حسن حلية يزهي بها   وأرى اليراعة حلية الكتاب
إنى نظرت إلى اليراعة في يدي   فحسبتها في القدر عود ثقاب
ونظرتها تنقص من كفيهما   فوق الطروس فخلتها كشهاب
يزهي مدججنا برمح واحد   وأراهما لا يزهيان بغاب (5)
متواضعان ولا أرى متكبرا   غير الجهول مدنسا بالعاب (6)

(1) أنشئت هذه المجلة في سنة 1876م وكان مقرها أولا سورية، ثم انتقلت إدارتها إلى مصر في سنة 1885م.

(2) يريد «بالشيخين»: الدكتور فارس نمر، والدكتور يعقوب صروف، أما الأول منهما فهو العالم المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكى في مصر، ومنشئ مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصحيفتين. أما الثانى وهو الدكتور يعقوب صروف، فولد بلبنان في سنة 1852م وكان الدكتور منقطعا إلى تحرير المقتطف، وانقطع الدكتور نمر إلى تحرير المقطم، وكانت وفاة الدكتور صروف في سنة 1927م.

(3) استنبطا الأشياء: اختبرا بواطنها.

(4) شاكي اليراعة، أى ذو شوكة وحدّة في قلمه.

(5) المدجج: لابس السلاح. والغاب: جمع غابة، وهي الشجر الكثير. ويطلق أيضا على القصب القارسى تتخذ منه الأقلام. والشاعر يومئ إلى المعنيين.

(6) العاب والعيب، كلاهما بمعنى واحد.

يتجاذب القطران من فضليهما ذيل الفخار وليس ذا بعجاب (1)
فهما هنا علمان من أعلامنا وهما هنالك نخبة الأنجاب
جازا مدى السبعين لم يتوانيا عن وصل حمد واجتناب سباب (2)
نسباهما قلماهما فليسحبا ذيلا على الأحباب والأنساب (3)
قلمان مشروعان، في شقيهما وحي يفيض على أولى الألباب (4)
متساندان إذا الخطوب تألبت متعاقنان تعانق الأحباب (5)
نفحات (آذار) إذا لم يظلما فإذا هما ظلما فلفحة (آب) (6)
ما سودا بيضاء إلا بيضا بالكاتبين صحيفة الإعجاب (7)
للمقصد الأسمى لدى حرم النهى رفعا قبابا حوجزت بقباب (8)
خطا بمقتطف العلوم بدائعا وروائعا بقيت على الأحقاب (9)
جاءا لنا من كل علم نافع أو كل فن ممتع بلباب
في كل لفظ حكمة مجلوة وبكل سطر مهبط لصواب

(1) القطران: مصر وسورية.

(2) جازا: جاوزا. والمدى: الغاية.

(3) يقال: سحب الذيل على كذا، أي أنه لم يحفل به ولم يأبه له. (4) مشروعان، أي مصوّبان مسدّدان.

(5) تألبت: تجمعت وتضافرت.

(6) آذار وآب: شهران من شهور السنة المسيحية معروفان، وتكثر الأزهار في الأول، ويشتد الحر في الثاني: واللفحة من قولهم: لفحته النار والسموم (بفتح السين) أي أحرقته بحرّها.

(7) بالكاتبين: متعلق بقوله بعد: «الإعجاب». أي لم يكتبا بالمداد الأسود صحيفة بيضاء، إلا كتبا عند قرّائهما صحيفة أخرى مملوءة بالإعجاب بهما.

(8) قبابا حوجزت بقباب، أي متصلة بعضها ببعض.

(9) الروائع من الأشياء ما أعجبتك بحسنها. والأحقاب: الدهور.

فاللفظ فيه مقوم بصحيفة والسطر فيه مقوم بكتاب

داني القطوف كريمة أفياؤه عذب الورود مفتح الأبواب (1)

ذلل مسالكه فأنى جئته ألفيت نفسك في فسيح رحاب (2)

تتسابق الأقلام فيه ولا ترى من عاثر فيها ولا من نابي (3)

كم من يراعة كاتب جالت به ولعابها في الطرس حلو رضاب (4)

كم من سؤال فيه كان جوابه الهام نابغة وفصل خطاب

كم فيه من نهر جرى بطريقة ترد النهى منه ألذ شراب (5)

وقفت سقاة الفضل في جنباته تروى النفوس بمترع الأكواب (6)

ماذا أعد وهذه آياته في العد تعجز أمهر الحساب

قد نسقت وتآلفت فكأنها في الحسن مثل تألف الأحزاب (7)

وترى تهافتنا عليه وحرصنا فتخال فيه مقاعد النواب

يا ثروة القراء من علم ومن فضل ومن حكم ومن آداب

الشرق أثبت يوم عيدك أنه ما زال في ري وخصب جناب

(1) الأفياء: الظلال. ويريد بقوله «دانى القطوف» قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوله.

(2) ذلل مسالكه: سهلة ممهدة.

(3) نبا ينبو: كل وارتد عن المقصد.

(4) اللعاب: الريق. ويريد به هنا: المداد. والرضاب: لعاب العسل.

(5) النهر: مجرى الماء المعروف. ويومئ به إلى العمود من الصحيفة، وهو استعمال صحفي معروف في هذا العصر.

(6) المترع: المملوء.

(7) نسقت: نظمت. ويشير الشاعر بالتشبيه الذى في هذا البيت إلى ما كان في هذا العهد الذي أنشدت فيه هذه القصيدة من تآلف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الافتراق، وتكوين وزارة وبرلمان ائتلافيين.

عادت السماء الفضل فيه فأطلعت زهرا من الأعلام والأقطاب (1)

العلم شرقى تغافل أهله عنه فعاقبهم بطول غياب

وتنبهوا لمصابهم فتضرعوا فعفا وعاودهم بغير عتاب

فتذوقوا طعم الحياة وأدركوا ما في الجهالة من أذى وتباب (2)

العلم في البأساء مزنة رحمة والجهل في النعماء سوط عذاب (3)

ولعل ورد العلم ما لم يرعه ساق من الأخلاق ورد سراب

إني قرأت في الكهولة والصبا وملأت من ثمر العقول وطابى (4)

وأتيت أقضى بعض ما أوليتني وأقول فيك الحق غير محابى

لو كنت في عهد الفتوة لم أزل لوهبت للشيخين برد شبابى

لكنني أبليته وطويته وتخذت من نسج المشيب ثيابي

وأرى ركابي حين شابت لمتى يحتثها سفر بغير إياب (5)

(يعقوب) إنك قد كبرت ولم تزل فى العلم لا تزداد غير تصابى

لاحت برأسك هزة ولعلها من وقع فكرك لا من الأعصاب

فكر سريع كره متدفع كتدفع الأمواج فوق عباب (6)

لا يستقر ولا يحدث نفسه أن ينثني عن جيئة وذهاب

(1) الزهر: النجوم. (2) التباب: النقص والخسران.

(3) المزنة: السحابة الممتلئة بالماء.

(4) الوطاب: جمع وطب، وهو في الأصل سقاء اللبن؛ والمراد هنا: أنه ملأ فكره ونفسه.

(5) اللمة: الشعر المجاور شحمة الأذن. ويحتثها: يسرع بها. ويريد «بالسفر»: الموت.

(6) العباب: معظم السيل.

أو أنها طرب بنفسك كلما وقفت في بحث وكشف نقاب (1)
أو أنها استنكار ما شاهدته في الناس من لهو وسوء مآب
لم يلهك الإثراء عن طلب العلا باجد لا بتصيد الألقاب (2)
لك في سبيل العلم أجر مجاهد والصبر أجر ملازم المحراب
وإليك من جهد المقل قصيدة يغنيك موجزها عن الإسهاب (3)
لولا السقام وما أكابد من أسى للحقت في هذا المجال صحابي (4)

تقريظ كتاب (في ظلال الدموع)

لصاحبه محمد شوكت التوني

(نشر في 7 نوفمبر سنة 1929م)

قد قرأنا ظلالكم فاشتفينا بارك الله في (ظلال الدموع)
علمتنا لدى الأسى كيف تشفى مرسلات الدموع داء الضلوع
وأرتنا من الجديد بيانا لم يكن قبلها كثير الشيوع (5)
في طراز كأنما نسقته من مجاني الربا بنان الربيع (6)
فعلى كاتب الظلال سلام من حزين وبائس وصريع

(1) أو أنها، أي هزة رأسه. والنقاب: اللثام. (2) الإثراء: كثرة الأموال. والجد: الاجتهاد.
(3) المقل: الفقير. والإسهاب: الإطالة.
(4) صحابي، أي الذين تكلموا في هذا الحقل وأثنوا عليكما، وأجادوا القول فيكما.
(5) الجديد ، أي الأدب الجديد.
(6) نسقته: نظمته؛ شبه بيانه بأزهار الربا في الربيع.

الأهاجي

قال في هجاء الجرائد

[نشرا في أول ديسمبر سنة 1917م]

جرائد ما خط حرف بها   لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لأربابها   كأنها أول أبريل (1)

في عيّاب كثير العيوب

يا ساكن البيت الزجا   ج هبلت، لا ترم الحصونا (2)
أرأيت قبلك عاريا   يبغي نزال الدارعينا (3)

في ملك ضعيف الرأي

لا تعجبوا فمليككم لعبت به   أيدي البطانة وهو في تضليل
إني أراه كأنه في رقعة الشـ   ـطرنج أو في قاعة التمثيل

(1) أوّل إبريل: يوم يلمح فيه بالكذب عند بعض الإفرنج؛ وكذبة إبريل معروفة.

(2) كني ببيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجوّ، وأنه من اليسير على الناس فضيحته والحط من شأنه، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك. و«وهبلت» بالبناء للفاعل، كما قاله بعض اللغويين. وقال ثعلب: القياس «هبلت» بالبناء للمجهول، أي ثكلتك أمك.

(3) الدارعون: لابسو الدروع.

في رجل عظيم البطن ضخم البدن

عطلت فن الكهرباء فلم نجد　　　شيئا يعوق مسيرها إلاكا (1)
تسري على وجه البسيطة لحظة　　　فتجوبها وتحار في أحشاكا (2)

وقال على لسان بعض المتصوفة (3)

[في محبوب نافر]

أخرق الدف لو رأيت شكيا　　　وأفض الأذكار حتى يغيبا (4)
هو ذكري وقبلتي وإمامي　　　وطبيبي إذا دعوت الطبيبا
لو تراني وقد تعمدت قتلي　　　بالتنائي رأيت شيخا حريبا (5)
كان لا ينحني لغيرك إجلا　　　لا ولا يشتهي سواك حبيبا
لا تعبن يا شكيب دبيبي　　　(إنما الشيخ من يدب دبيبا) (6)
كم شربت المدام في حضرة الشيـ　　　ـخ جهارا وكم سقيت الحليبا

(1) الكهربا: مقصور؛ وقد مدّه الشاعر هنا للضرورة.

(2) تسري، أي الكهربا والبسيطة: الأرض. وتجوبها: تقطعها. يقول: إن أحشاءه أوسع من الأرض مسالك.

(3) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في باب الهجاء لما تفيده من وصف هذا الصوفي بصفة قبيحة؛ وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة في الغزل.

(4) شكيب: غلام تركي زعموا أنه كان يعشقه هذا المتصوف. والدف (بالضم) أو (بالفتح): والأوّل أفصح، نوع من الطبل معروف، يضربون عليه في اللهو وبعض حلقات الذكر.

(5) تعمدت: قصدت. والتنائي: التباعد. والحريب: المسلوب.

(6) الدبيب: المشي على هينة كمشي الشيوخ؛ ويستعمل في الزحف انسلالا. والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم، وصدره:

زعمتني شيخا ولست بشيخ　　　إنما الشيخ... البيت

فسلوا سبحتي فهل كان تسبيـ ـحي فيها إلا (شكيبا شكيبا)

وإذا أدنف الشيوخ غرام كنت في حلبة الشيوخ نقيبا (1)

عد إلينا فقد أطلت التجافي واركب البرق إن أطقت الركوبا

وإذا خفت مايخاف من اليم فرشنا لأخصميك القلوبا (2)

ودعونا بساط صاحب بلقيـ ـس فلبى دعاءنا مستجيبا (3)

وأمرنا الرياح تجري بأمر منك حتى نراك منا قريبا (4)

في بائع كتب صفيق الوجه

أديم وجهك يا زنديق لو جعلت منه الوقاية والتجليد للكتب (5)

لم يعلها عنكبوت أينما تركت ولا تخف عليها سطوة اللهب

فيمن كثرت مخازيه

هنا يستغيث الطرس والنقس والذي يخط ومن يتلو ومن يتسمع (6)

مخاز وما أدرى إذا ما ذكرتها إلى الحمد ادعى أو إلى اللوم أدفع

(1) أدنفه المرض: أثقله وأضناه.

(2) اليم: البحر. والأخمص: مالا يمس من الأرض من باطن القدم؛ ويراد به القدم كلها هنا.

(3) بلقيس، هي ملكة سبأ، وصاحبها هو نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام، وقصتها مع ذلك النبي الكريم مشهورة؛ ود ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة النمل.

(4) يريد بهذا البيت والذي قبله أننا نمهد لك وسائل الإسراع الإسراع في العودة.

(5) أديم الوجه: جلده؛ يصف في هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاقة.

(6) الطرس (بالكسر): الصحيفة يكتب فيها. والنقس بكسر النون: المداد.

الأخوانيات

ذكرى وتشوق

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

(نشرت في سنة 1900م)

أثرت بنا من الشروق القديم ... وذكرى ذلك العيش الرخيم (1)
وأيام كسوناها جمالا ... وأرقصنا لها فلك النعيم
ملأناها بنا حسنا فكانت ... بجيد الدهر كالعقد النظيم (2)
وفتيان مساميح عليهم ... جلابيب من الذوق السليم (3)
لهم شيم الذ من الأماني ... وأطرب من معاطاة النديم (4)
كهمك في الخلاعة والتصابي ... وإن كانوا على خلق عظيم (5)
دعوتهم إلى أنس فوافوا ... موافاة الكريم إلى الكريم
وجاءوا كالقطا وردت نميرا ... على ظمإ وهبوا كالنسيم (6)

(1) أثرت: هيجت. والعيش الرخيم: اللين الناعم.

(2) الجيد: العنق.

(3) المساميح: جمع مسامح، وهو الجواد الكريم.

(4) الشيم: السجايا والأخلاق. والمعاطاة: المناولة؛ ويريد بها مناولة الخمر.

(5) كهمك، أي كعزمك وإرادتك. أي هم كما شئت من خلاعة ولهو.

(6) القطا: الحمام، الواحدة قطاة، ويضرب بها المثل في الاهتداء، فيقال «أدل من قطاة» لأنها لا تخطئ الطريق ليلا في القلاة. والماء النمير: الناجع في الري.

وكان اليل يمرح في شباب ويلهو (بالمجرة) والنجوم (1)
فواصلنا كئوس الراح حتى بدت للعين أنوار الصريم (2)
وأعملنا بها رأي (ابن هاني) فألحقنا بأصحاب الرقيم (3)
وظبي من بني مصر غرير شهي اللفظ ذي خد مشيم (4)
ولحظ بابلي ذي انكسار كأن بطرفه سيما اليتيم (5)
سقانا في منادمة حديثا نسيبا عنده بنت الكروم (6)

(1) مرح يمرح (وزان فرح يفرح): تبختر واختال. وشباب الليل: أوله. والمجرة: مجموعة نجوم كثيرة يتنشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بياض في السماء، وتشبه بالنهر، فيقال: نهر المجرة.

(2) الصريم (هنا): الصبح.

(3) يريد أبا على الحسن بن هانئ الحكمي المشهور بأبي نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية، ولد بالبصرة سنة خمس أربعين ومئة، وقيل سنة ست وثلاثين ومائة. وتوفي سنة خمس وتسعين ومئة؛ وقيل سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن ببغداد؛ وكان كثير المجون، دائم التشبيب، مدمنا للخمر. وأصحاب الرقيم: هم أصحاب الكهف المذكورون في القرآن الكريم في قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الآية. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم في كهفهم، أي مغارتهم، مدة طويلة، قال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا). والرقيم: قريتهم التي خرجوا منها، أو جبلهم الذي كان فيه الكهف. وقيل: الرقيم لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم وقصصهم ودينهم، وممّ هربوا. يريد أنهم جروا على مذهب أبي نواس في الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف.

(4) الغرير: الحديث السن الغافل، الذي لم يجرب الأمور لحداثته. والمشيم: الذي فيه شامة، أي خال في خده.

(5) البابلي: نسبة إلى بابل، وهي ناحية بالعراق، منها الكوفة والحلة، ينسب إليها الخمر والسحر. ويريد «باللحظ البابلي» أنه يعمل في العقول والنفوس عمل الخمر والسحر. وانكسار اللحظ: فتوره. وسيما اليتيم: ضعفه ومذلته، لأنهما أظهر ما يكونان في اليتيم. والسيما والسماء: العلامة والهيئة.

(6) بنت الكروم: الخمر، لأنها تعتصر منها.

سلام الله يا عهد التصابي   عليك وفتية العهد القديم
أحن لهم ودونهم فلاة   كأن فسيحها صدر الحليم (1)
كأن أديمها أحشاء صب   قد التهبت من الوجد الأليم (2)
كأ، سرابها إذ لاح فيها   خداع لاح في وجه اللئيم (3)
تضل بليلها (لهب) فتحكي   (بوادي التيه) أقوام الكليم (4)
وتمشي السافيات بها حيارى   إذا نقل الهجير عن الجحيم (5)
فمن لي أن أرى تلك المغاني   وما فيها من الحسن القديم؟ (6)
فما حظ (ابن داود) كحظي   ولا أوتيتمن علم العليم (7)

(1) الفلاة: الصحراء الواسعة.

(2) أديم الفلاة: وجهها وظاهرها.

(3) السراب، هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا). ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتونسك حقيقته.

(4) لهب (بكسر اللام وسكون الهاء): قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسري على ضوئها وتتعرف بها السبل، كما كان يضرب بها المثل في العيافة والزجر. ووداي التيه: هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سينا؛ وسمي بالتيه لأن بني إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن الكريم. والكليم: نبي الله موسى عليه السلام. يقول: إن ما بيننا من فياف لو سرت فيها لهب لما أفادتها خبرتها، ولضلت كما ضل قوم موسى في التيه.

(5) السافيات: الريح التي تسفي التراب، أي تحمله وتذوره. والهجير: شدة الحر. أي أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدي إلى وجهة من اتساع أقطارها، وتبحث عن كنف من ذلك الذي كأنه اقتطع من الجحيم.

(6) المغاني: المنازل التي غني بها أهلها، أي أقاموا، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين).

(7) ابن داود، هو نبي الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه. والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتي سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره، فيخملانه إلى تلك المغاني والمنازل التي يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها.

ولا أنا مطلق كالفكر أسري   فأستبق الضواحك في الغيوم (1)
ولكني مقيدة رحالي   بقيد العدم في وادي الهموم (2)
نزحت عن الديار أروم رزقي   وأضرب في المهامه والتخوم (3)
وما غادرت في السودان قفرا   ولم أصبغ بتربته أديمي (4)
وهأنا بين أنياب المنايا   وتحت براثن الخطب الجسيم (5)
ولولا سورة للمجد عندي   قنعت بعيشتي قنع الظليم (6)
أيابن الأكرمين أبا وجدا   ويابن عضادة الدين القويم (7)
أقام لديننا أهلوك ركنا   له نسب إلى ركن الحطيم (8)

(1) «استبق الضواحك» إلخ: أسبق البروق في السحب، أي أجاوزها، أخلفها ورائي.

(2) العدم: الفقر.

(3) نزحت بعدت. وضرب في الأرض: خرج فيها ساعيا. والمهامة: جمع مهمه ومهمهة، وهي المفازة البعيدة المتسعة. والتخوم: الحدود بين الأرضين.

(4) الأديم: الجلد. يريد أنه لم يترك قفرا في السودان إلا خلط جلده بترابه. فقوله: «لم أصبغ» إلخ: صفة لقوله «قفرا»، واقتران جملة الصفة بالواو كما هنا غير مقبس، وزيادتها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، ومنه قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم).

(5) المعروف المشهور «هأنذا» إلا أن مثل هذا ورد في الشعر، ومنه قوله:

فهأنا تائب عن حب ليلى   فما لك كلما ذكرت تذوب

والبراثن: مخالب الأسد، الواحد برثن (بضم الباء والثاء وسكون ما بينهما).

(6) سورة المجد: أثره وأمارته. والظليم: ذكر النعام. وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلا في الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده في الفلاة من الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعز عليه الكلأ.

(7) العضادة: الذي يعاضدك أي يعاونك.

(8) الحطيم:حجر الكعبة؛ أو هو ما بين الركن والمقام.

فما طاف العفاة به وعادوا   بغير العسجدية واللطيم (1)
أتيتك والخطوب تزف رحلي   ولي حال أرق من السديم (2)
وقد أصبحت من سعي وكدحي   على الأرزاق كالثوب الرديم (3)
فلا تخلق – فديت – أديم وجهي   ولا تقطع مواصلة الحميم (4)

عتاب محمد البابلي بك (5)

[نشرت في سنة 1900م]

أخي والله قد ملأ الوطاب   وداخلني بصحبتك ارتياب (6)
رجوتك مرة وعتبت أخرى   فلا أجدي الرجاء ولا العتاب (7)
نبذت مودتي فاهنأ ببعدي   فآخر عهدنا هذا الكتاب (8)

(1) العفاة: طلاب الأرزاق والمعروف، مفرده العافي. والعسجدية: الإبل التي تحمل العسجد أي الذهب. واللطيم: الإبل التي تحمل الطيب والبز، واحدة لطيمة. أي ما قصد أهلك قاصد إلا عاد مثقلا بالعطاء من ذهب وثياب.

(2) تزف رحلي، أي تحملني على الإسراع إليك؛ يقال: أزفه: إذا حمله على الزفيف، وهو الإسراع. ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاي) على سبيل التشبيه بزفاف العروس، وهو إهداؤها. والسديم: الضباب الرقيق، جمعه سديم (بضمتين).

(3) الكدح: هو الدؤوب في طلب الرزق وكسبه بمشقة. الرديم: الثوب الخلق البالي.

(4) تخلق، من أخلق الثوب إذا أبلاه. وأديم الوجه: جلدته. وإخلاق أديم الوجه: كناية عن إذلاله وابتذال حيائه بالإلحاف في المسألة. والحميم: الصديق، جمعه أحماء (بكسر الحاء وتشديد الميم).

(5) هو محمد البابلي بن عبده البابلي بك الذي كان من كبار تجار الجواهر في مصر؛ وقد أدخل ولديه محمدا وأحمد في مدرسة البوليس، وبعد إتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال في الحكومة المصرية، ولكنهما لم يمكثا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما؛ واشتهر محمد بظرف وفكاهته الحلوة حتى إن بعض الأدباء قد جمع كتابا في نكته وطرائفه؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له؛ وكانت وفاته في سبتمبر سنة **1924**م.

(6) الوطاب: جمع وطب (بالفتح)، وهو في الأصل سقاء اللبن؛ والمراد أنه قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك في صدق مودته.

(7) أجدى: أنفع.

بين حافظ وداود عمون

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في 26 سنة 1902م]

شجتنا مطالع أقمارها ... فسالت نفوس لتذكارها (1)

وبتنا نحن لتلك القصور ... وأهل القصور وزوارها

قصور كأن بروج السماء ... خدور الغواني بأدوارها (2)

ذكرنا حماها وبين الضلوع ... قلوب تلظى على نارها (3)

فمرت بأرواحنا هزة ... هي الكهرباء بتيارها

وأرض كستها كرام الشهور ... حرائر من نسج (آذارها) (4)

إذا نقطتها أكف الغمام ... أرتك الدراري بأزهارها (5)

وإن طالعتها ذكاء الصباح ... أرتك اللجين بأنهارها (6)

(1) شجتنا: أطربتنا وشوقتنا. وسالت نفوس، أي ذابت من اللوعة والشوق. والضمير في قوله: «أقمارها» و«تذكارها»: للقصور في البيت التالي.

(2) يشبه خدور الغواني، أي حيث يستترن ببروج السماء في الامتناع على من رامها. وأدوار القصور: طبقاتها؛ وهو استعمال عامي.

(3) تلظى: تتلظى، أي تحترق.

(4) وأرض (بالرفع): عطف على قوله في البيت الثالث: «قصور». وآذار: الشهر الثالث من السنة المسيحية، وهو شهر تكثر فيه الأزهار.

(5) الدراري (بتشديد الياء، وخففها الشاعر لضرورة الوزن): الكواكب المتوقدة المتلالئة، الواحد دري (بتشديد الياء). يقول إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب في إشراقها ولمعانها.

(6) ذكاء: الشمس. واللجين: الفضة. يقول: إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة في صفائها وبريقها.

وإن هب فيها نسيم الأصيل ... أتاك النسيم بأخبارها (1)

وخل أقام بأرض الشام ... فباتت تدل على جارها (2)

وأضحت تتيه برب القريض ... كتيه البوادي بأشعارها

وللنيل أولى بذاك الدلال ... ومصر أحق (ببشارها)

فشمر وعجل إليها المآب ... وخل الشام لأقدارها (3)

فكيف لعمرى أطفت المقام ... بأرض تضيق بأحرارها؟

وأنت المشمر إثر المظالـ ... ـيم تسعى إلى محو آثارها

ثأرت الليالي وأقعدتها ... بمصقول عزمك عن ثارها (4)

إذا ثرت ماجت هضاب الشام ... وباتت ترامي بثوارها (5)

ألست فتاها ومختارها ... وشبل فتاها ومختارها؟ (6)

وإن قلت أصغت ملوك الكلام ... ومالت إليك بأبصارها

(أدواد) حسبك أن المعالـ ... ـي تحسب دارك في دارها

وأن ضمائر هذا الوجود ... تبوح إليك بأسرارها

(1) الأصيل: وقت ما بعد العصر إلى المغرب. يقول: إن النسيم إذا هب على هذه الأرض حمل من طيبها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين.

(2) يريد بالخل: داود بك الممدوح. وتدل: من الدل، وهو معروف. ويريد «بجارها»: وادي النيل.

(3) المآب: الرجوع.

(4) المصقول من السيوف: المجلو. ومعنى البيت أنه جعل لليالي عنده ثأرا بانتصاره على أحداثها ونوائبها، ثم أعجزها عن طلب ثأرها بمضاء عزمه.

(5) ترامي: تترامى.

(6) الشبل: ولد الأسد.

وأنك إما حللت الشام رأيناك جذوة أفكارها (1)
وإن كنت في مصر نعم النصير إذا ما أهابت بأنصارها (2)

أبيات داود بك التي أجاب بها حافظا

أمن ذكر سلمى وتذكارها نثرت الدموع على دارها (3)
وعفت القصور لأجل الطلول تطالع طامس آثارها (4)
وقفت بها ليلتي ناشدا عساها تبوح بأسرارها (5)
وللدار أنطق آياتها من الروايات وأخبارها (6)
تعيد عليك ليالي الحمى بأنجمها وبأقمارها
سلام عليك زمان الشباب ربيع الحياة بآذارها (7)
لأنت مخفف أحزانها وأنت مسوغ أكدارها (8)
ولولا الشباب وذكرى الشباب لعاش الفتى عمره كارها
فطفنا الحياة به حلوة وقد جاء إبان إمرارها (9)
أطوف في الشرق على أرى بلادا تطيب لأحرارها

(1) الجذوة (بتثليث الجيم): الجمرة الملتهبة. (2) أهاب به: دعاه.
(3) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر؛ فالجمع بينهما تكرار ظاهر.
(4) عاف الشيء: رغب عنه وزهد فيه. وتطالع: تنظر. والطامس من آثار الديار وغيرها: ما اندثر منها وانمحى
(5) الناشد: السائل.
(6) أنطق آياتها، أي آثارها أنطق؛ وفي هذه العبارة نبو واضطراب ظاهران؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح بيانا عن أنباء من سكنوها ممن يحدث عنها ويروى أخبارها.
(7) شبه زمن الشباب بالربيع، وهو أنضر فصول السنة.
(8) مسوغ أكدارها، أي مسهل وقع مصائبها وأحزانها. (9) إبان الشيء: وقته.

فلم أر إلا أمورا تسوء وتصدع أكباد نظارها
فظلم بتلك وذل بهذي وجهل مغش لأبصارها (1)
تعق مراحم رعيانها وترعى الولاء لجزارها (2)
إذا شاء (قاسم) رفع الحجاب تسميه هاتك أستارها (3)
فلا قول إلا لجهالها ولا لا أي إلا لأغرارها (4)
يدب التراخي على ترابها ويجري الخمول بأنهارها
منال الترقي بإرغامها ومرجى الفلاح بإجبارها (5)
أهذا الذي أورثت أهلها بلاد العلوم وأنوارها؟

(1) مغش لأبصارها، أي يحجبها بغشاوة.

(2) الولاء: الحب. يريد أن الأمم الشرقية تجحد الجميل لأنصارها وأوليائها، وتسدي المودة لخصومها وأعدائها.

(3) يريد المرحوم قاسم بك أمين. وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن. ويشير بهذا البيت إلى رأي قاسم أمين في حرية المرأة وما لقيه في سبيل ذلك من النقد الشديد.

(4) الأغرار: الذين لا تجربة لهم، واحده غر بكسر الغين وتشديد الراء.

(5) يرى أن الرقي والفلاح إنما ينالهما في هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين في إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب.

(6) المصقولة: الصافية المجلوة. والبتار من السيوف والباتر: القاطع منها.

عساها تحرك أوطاننا وتنشر ميت أحيائها (1)

أقول وأعلم أني سأرمي بأني محرك ثوارها

وأني الدخيل وأني الغريب وأني النصير لقهارها (2)

أحب بلادي على رغمها وإن لم ينلني سوى عارها

ولست بأول ذي همة تصدى الزمان لإنكارها (3)

(إلى إسماعيل صبري باشا) (4)

عند استقالته من وكالة الحقانية

[نشرت في 9 سنة 1907م]

يا صارما أنف الثواء بغمده وأبى القرار، ألا تزال صقيلا (5)

فالبيض تصدأ في الجفون إذا ثوب والماء يأسن إن أقام طويلا (6)

(1) نشر الميت وأنشره: أحياه. ويلاحظ أن هنا غلطا في حرف الروي، إذ عدل الشاعر في هذا البيت عن الراء إلى الهمز.

(2) الدخيل في القوم: الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم.

(3) تصدى: تعرض.

(4) ولد المرحوم إسماعيل صبري باشا في سنة 1854م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق سافر إلى أوربا فأتم علومه القانونية هناك؛ ونال الشهادة من كلية إكس، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية، وآخر منصب تولاه وكالته للحقانية، واعتزله في سنة 1907م وكانت وفاته في ربيع سنة 1923م وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة.

(5) الصارم: السيف القاطع. والثواء: الإقامة. والصقيل: المجلو؛ يقال صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقالا، إذا جلاه وكشف صدأه. شبه صبريا بالسيف القاطع المجلو، ومنصبه الحكومي بالغمد الذي يستقر فيه السيف.

(6) البيض: وصف يكنى به عن السيوف. وجفون السيوف: أغمادها، الواحد جفن. وثوت: أقامت. وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن: تغير فلم يشرب.

أهلا بمولاي الرئيس وليس من ... شرف الرآسة أن أراك وكيلا (1)
فاطرح معاذير السكوت وقل لنا ... هلا وجدت إلى الكلام سبيلا؟
واضرب على الوتر الذي اهتزت له ... أعطافنا زمنا وغن النيلا (2)
واردد على ملك القريض جماله ... تصنع بصاحبك القديم جميلا (3)
ما زال يرجو أن يقال عثاره ... حتى أقال الله (إسماعيلا) (4)

(ذكرى وتشوق)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كلية ادنبره بإنجلترا

[نشرت في 15 يوليو سنة 1908م]

ملكت على مذاهبي ... وعصاني الطبع السليم (5)
وجفا يراعى الصاحبا ... ن فلا النثير ولا النظيم
أشقى وأكتم شقوتي ... والله بي وبها عليم
حلم الأديم وما الذي ... أرجو وقد حلم الأديم (6)

(1) وكيلا، يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحقانية، وهي آخر المناصب التي تولاها.

(2) الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف.

(3) يريد «بصاحبه القديم»: الشعر.

(4) يقال: أقلت فلانا عثرته وأقلته منها، أي عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها. ويريد بالإقالة الثانية: تخلي ممدوحه عن منصبه. وأصل الإقالة في البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده.

(5) ملكت عليه مذاهبه، أي سدت عليه سبل القبول.

(6) حلم الأديم: مثل يضرب في فساد الأمر حتى لا يرجى صلاحه. والأديم: الجلد؛ يقال: حلم الأديم يحلم (وزان علم يعلم)، إذا وقع فيه الحلم (بالتحريك)، وهو دود يقع فيه حتى يفسد ويتثقب.

لا مصر تنصفني ولا ... أنا عن مودتها أريم (1)
وإذا تحول بائس ... عن ربعها فأنا المقيم
فيها صحبتك واصطفيـ ... ـك أيها الخل الحميم
أنا من عرفت وخبر ... ت ومن مودته تدوم
لله ذياك الجوا ... ر وذلك العيش الرخيم
بالجانب الغربي فو ... ق النيل والدنيا نعيم
أيام يعرفنا السرو ... ر بها وتنكرنا الهموم
أيام نلهو بالظبا ... ء وفي مسارحها نهيم (3)
لا أنت تصغى للعذو ... ل ولا أبالي من يلوم
لله أندية لنا ... قد زانها الخلق الكريم
لم يغشها وغد ولم ... ينزل بساحتها لئيم
تمشي الخلاعة في نوا ... حيها تراقبها الحلوم (4)
لهو كما شاء الصبا ... وحجا كما شاء الحكيم (5)
ومدامة يسعى بها ... متأدب ويطوف ريم (6)

(1) أريم: أتحول.
(2) العيش الرخيم: اللين الرغد.
(3) المسارح: المراعي، الواحد مسرح.
(4) الحلوم: العقول، الواحد حلم. ويريد بقوله: «تراقبها الحلوم»: أن هذه الخلاعة لم يتجاوز فيها الحد.
(5) الحجا: العقل.
(6) الريم: الظبي الخالص البياض، شبه به الساقي.

يجري على كاساتها ... أنس يخف لهاالحليم
لا تشتكي منا ولا ... يشكو عواقبها النديم
والنيل مرآة تنفـ ... ـس في صحيفتها النسيم
سلب السماء نجومها ... فهوت بلجته تعوم (1)
نشرت عليه غلالة ... بيضاء حاكتها الغيوم (2)
شفت لأعيننا سوى ... ما شابه منها الأديم (3)
وكأننا فوق السا ... ء وتحتنا ذلك السديم (4)
تجري الحوادث حيث تجـ ... ـري لا نضام ولا نضيم
لا الصبح يزعجنا بأنـ ... ـباء الزمان ولا الصريم (5)
يا ليت شعري كيف أنـ ... ـت وكيف حالك يا زعيم
أما أنا فكما أنا ... أبلى كما يبلى الرديم (6)
لا خل بعدك مؤنس ... نفسي ولا قلب رحيم

(1) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحته لصفاء مائه.

(2) الغلالة (بالكسر): ثوب رقيق. وحاكتها: نسجتها.

(3) شفت: رقت. وشابه: خالطه ومازجه. «ويريد بالأديم»: أديم السماء، أي ظاهرها. يقول: إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق. وكانت الغيوم قطعا في السماء، فما صادف من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافا يبين ما كان تحته، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف.

(4) السديم: الضباب الرقيق، شبه به البحر الذي يجري من تحتهم.

(5) الصريم: الليل.

(6) الرديم: الثوب القديم.

كاد الزمان لنا ولا عجب إذا كاد الغريم (1)

أمسى احتواك الزمهريـ ـر وظل يصهرني الجحيم (2)

فشرابك الماء الشنا ن وشربي الماء الحميم (3)

ومناك لو طلعت ذكا ء عليك في يوم يصوم (4)

ومناي لو محقت ذكا ء وغالها ليل بهيم (5)

فبليتي الحر الأليـ ـم وخطبك القر الأليم (6)

فكأنني فرعون مصـ ـر وأنت شيطان رجيم (7)

فابعث إلى بنفحة بردا بها يحدو الهزيم (8)

أبعث إليك بلفحة حرى بها تجري السموم (9)

أما تحيتنا إليـ ـك فسوف يشرحها الرقيم

(1) الغريم: الخصم.

(2) الزمهرير: شدة البرد. ويريد بالزمهرير: شدة البرد في أسكتلندا.

(3) الماء الشنان: (بالضم): البارد. والماء الحميم: الحار.

(4) ذكاء (بالضم): اسم الشمس، غير منصرف للعملية والتأنيث. ويقال: صام النهار: إذا قام قائم الظهيرة واعتدل، ويقال: صامت الشمس (أيضا) اذا استوت.

(5) ليل بهيم: مظلم.

(6) القر (بالضم): البرد.

(7) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر، لأنه يعذب بالنار، وصديقه بالشيطان الرجيم، لأن الشيطان ناري الطبع يعذب بالزمهرير.

(8) البرد: حب الغمام، وهو مفعول «يحدو». يقول: اهد إليّ نفحة من جوّ بلادكم بردا يسبقه رعد. ويحدو، من الحداء. والهزيم: الرعد.

(9) السموم: الريح الحارة. ولفحتها: إحراقها.

شكر

أنشد هذه القصيدة في فندق الكونتيننتال في الحفل الذي أقيم لتكريمه

في يوم الجمعة 31 مايو 1912م

ملكتم على عنان الخطب	وجزتم بقدري سماء الرتب
فمن أنا بين ملوك الكلام	ومن أنا بين كرام الحسب
أتسعى إلى حماة القريض	وتمشى إلى سراة العرب (1)
وتنظيم في عقود الجمان	وتنثر فوقي نثار الذهب (2)
وأكرم حتى كأني نبغت	وقمت لمصر بما قد وجب؟
فماذا أتيت من الباقيات	وهذا شبابي ضياعا ذهب
عملت لقومي جهد المقل	على أنه عمل مقتضب (3)
فلم يغن شيئا ولم يجدهم	ولم يبق إلا بقاء الحبب (4)
وهل أنا إلا امرؤ شاعر	كثير الأماني قليل النشب (5)
يقول ويطرب أترابه	ويقنع منهم بذاك الطرب (6)
تعلقت حينا بذيل البيان	وأدخلت نفسي فيمن كتب

(1) حماة القريض: رجال الشعر. والسراة: جمع سرى، وهو الرفيع القدر من الناس.

(2) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. شبه به وبنثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب في مدحه والثناء على أدبه.

(3) المقتضب: المنقطع قبل التمام.

(4) الحبب: الفقاقيع التي تكون على سطح الماء. ويشبه به زوال الشيء بسرعة.

(5) النشب: المال.

(6) أترابه: أمثاله في السن، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء).

فلا السبق لي في مجال النهى ... ولا لي يوم الفخار الغلب
ولا أنا من غلية الكاتبين ... ولا أنا بالشاعر المنتخب
ولكن سما بي عطف الأمير ... ورأى الوزير وفضل الأدب (1)
وما كنت أحلم – لولا الوزير– ... بهذا الهناء وهذا اللقب (2)
على أياد له جمة ... وفضل قديم شريف السبب (3)
فأنا أقال به عثرتي ... وأرى زنادي وآنا وهب (4)
تفيأت منه ظلال النعيم ... وأصبحت أعرف لبس القصب (5)
وأمشي اختيالا إلى عابدين ... يطالعني بدرها عن كثب (6)
وألثم كف كريم الجدود ... غياث العفاة مزيل الكرب (7)
وأحتث بين وفود السراة ... مطايا الرجاء لذاك الرحب (8)
أتوا خالصين لوجه الأمير ... فلا عن رياء ولا عن رهب (9)

(1) يريد «بالوزير»: أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك. ولد في كفر المصيلحة من إقليم المنوفية في (سنة 1275هـ) (سنة 1858م)، وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية، وآخر المناصب التي تولاها نظارته للمعارف العمومية، وتوفى في سنة 1926م وكان له من الأيادي البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره في هذه القصيدة.

(2) يريد بلقب (البكوية) الذي أنعم عليه في السنة المشار إليها في أوّل القصيدة.

(3) الأيادي: النعم.

(4) الضمير في «به» للفضل. يقال أورى فلان زندي، إذا أجابني إلى ما أطلب. والأصل في إيراء الزند، أن تستخرج ناره.

(5) تفيأ الظل: التجأ إليه واستظل به.

(6) يريد «بالبدر»: الخديوي عباس الثاني. والكثب (بالتحريك): القرب.

(7) العفاة: طلاب المعروف، الواحد عاف (كقاض).

(8) أحتث مطايا الرجاء، أي أبعثها في سرعة. والسراة من الناس: الرفيعو المنزلة، الواحد سرى (بفتح السين).

(9) الرهب: الخوف.

لهم ما يشاءون من ربهم رضاء الأمير ونيل الأرب
وللكاشحين نكال الزمان ونحس النجوم ذوات الذنب (1)
فعهد الأمير كعهد الرشيد يمت إليه بحبل النسب
إليك (أبا حسن) أنتمي فما زل مولى إليك انتسب (2)
عرفت مكاني فأدنيتني وشرفت قدري (بدار الكتب) (3)
وعرفت دهري مكان الأديب وقد كان دهري شديد الكلب
فلو أن لي مرقصات (الخليل) وإعجاز (شوقي) إذا ما رغب (4)
لقمت بشكرك حق القيام ولكن طلبت فعز الطلب
فشكري لصنعك شكر النبات ببطن الفلاة لقطر السحب
وشكرا (لشوقي) رسول القريض الكريم الإخاء المتين السبب
وشكرا (لداود) رب اليراع وشكرا (لسركيس) رب العجب (5)
وشكر لكل كريم سعى إلى وكل أديب خطب

(1) الكاشحون: الأعداء الذين يبطنون العداوة، الواحد كاشح، وذلك لأنه يتباعد منك ويوليك كشحه.
(2) أنتمي: أنتسب. ويريد «بأبي حسن»: المرحوم أحمد حشمت باشا.
(3) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذي عين حافظا في منصبه المعروف بدار الكتب.
(4) يريد «بالخليل»: خليل بك مطران الشاعر المعروف؛ ومرقصاته: قصائده.
(5) داود، هو داود بركات الكاتب اللبناني المعروف، وكان رئيسا لتحرير جريدة الأهرام. ولد بقرية يحشوش من أعمال لبنان سنة 1870م، وتوفي في 4 نوفمبر سنة 1933م. وسركيس، هو سليم سركيس الكاتب اللبناني المعروف، محرر جريدة المشير ومجلة سركيس، ولد في بيروت عاصمة لبنان سنة 1869م، وكانت وفاته في سنة 1925م.

هم شجعوني على أن أقول | وما كان لي بينهم مضطرب (1)
هم ألهموني فصيح الكلام | هم علموني طريق النخب (2)
فعنهم أخذت وعنهم صدرت | ومن عندهم فضلي المكتسب
فحيوا عزيز البلاد الذي | على السحب ذيل المعالي سحب
وحيوا (سعيدا) وزير الأمير | قريب الصواب بعيد الغضب (3)
فساس البلاد وأرضى العباد | وأرضى الأمير وأرضى الأدب

إلى حفني ناصف بك

قالها في حفل أقامه أعضاء نادي طنطا لتكريم حفني بك لانتقاله من القضاء إلى التفتيش بنظارة المعارف

[نشرت في 5 أكتوبر سنة 1912م]

يا يوم تكريم (حفني) | أرهفت للقول ذهني (5)
فيا قريض أجبني | ويا بيان أعني

(1) المضطرب: المذهب.

(2) طريق النخب، أي طريق المنتخب من الكلام المختار منه، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمهما).

(3) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزراء إذ ذاك.

(4) حفني بك ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف؛ ولد عام 1272هـ في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحاج، ثم دخل كتاب القرية فالأزهر فدار العلوم، ثم كان أستاذ اللغة العربية في مدارس الحكومة، وأختير للتدريس في مدرسة الحقوق، فرأى أن يشارك طلبتها في دروسهم، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومي، ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية سنة 1892م فويلا لإحدى المحاكم، وانتخب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، ثم انتخب مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف؛ وتوفي في سنة 1337هـ – سنة 1919م وكان رحمه الله فكه الحديث، مليح النادرة، مشاركا في كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها.

(5) الإرهاف: الشحذ والتحديد.

على أفي بعض ديني — إذا كان ذلك يغني
يامن ضربت بسهم — في كل علم وفن
بنيت للشعر فينا — والنثر أعظم ركن
وما خلقت لعمري — في الشرق إلا لتبني
فكل رب يراع — في مصر خريج (حفني)
إذ قال شعرا فراح — تدار في يوم دجن (1)
أو قال نيرا فروح — يختارنا غب مزن (2)
فإن بدأت بقول — منه فبالكأس ثن
وطر إلى اللهو وارغب — عن حكمة المتأني
فالعيش في بنت فكر — تجلى وفي بنت دن (3)
وإن طلبت مزيدا — ففي مناجاة خدن
لولا الحياء ولولا — ديني وعقل سني
لقمت في يوم (حفني) — أدعو لسكرة (يني) (4)

(1) الراح: الخمر. والدجن: ظل الغيم في اليوم المطير. وقديما مدح الشعراء الشرب واللهو فيه.

(2) الروح: الريح: والمزن: المطر، وأتقى ما يكون النسيم غب مطر.

(3) بنت الفكر: نتاج القرائح والأفكار. وبنت الدن: الخمر. والدن: وعاء كبير لها.

(4) شكرة يني، مثل مصري بضرب في كثرة الشرب والإفراط في السكر.

ولا أقول (لحفني) ما قيل قدما (لمعن) (1)

لا تنس عيشا تولى ما بين شرح ومتن (2)

ولى شبابك فيه ما بين مد وغن

وذقت من (جاء زيد) ومن شروح (الشمني) (3)

ومن حواشي الحواشي على متون (ابن جني) (4)

ما لم تذقك الليالي قلبن ظهر المجن (5)

أيام (سلطان) يلهو (بمشه) ويغني (6)

(1) يشير بهذا البيت إلى ما ورد من أن الشاعر أراد أن يجرب حلم معن بن زائده الشيباني ويستشير حفيظته، فهجاه بقصيدة، منها:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

(2) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفني في الأزهر وما لاقاهمن شظف العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك.

(3) الشمني، هو ابن العباس تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحنفي من علماء القرن التاسع، ولد بالإسكندرية سنة 801هـ وتوفى في شهر ذي الحجة سنة 872هـ.

(4) ابن جنى، هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي، إمام من أئمة النحو معروف، ولد قبل سنة 330هـ وتوفى في صفر سنة 392هـ.

(5) «ما»: مفعول لقوله قبل: «وذقت». والمجن: الترس. وقلبن له ظهر المجن، أي تغيرن عليه وتنكرن له؛ وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحول عنها.

(6) يريد بسلطان: المرحوم سلطان محمد بك زميل حفني بك، وكان مجاورا معه في الأزهر، وتخرج في دار العلوم، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا.

يبيت يقصع ما لم أسمه أو أكني
يشكو إليك وتشكو إليه عيشة غبن
أيام يدعوك (حفني): من الحياة أجرني
هات المسدس إني سئمت (مشى) و(جبني)
من لي بدرهم لحم عليه حبة سمن (1)
قرمت والله حتى صاحت عصافير بطني (2)
أيام عيدك يوم تفوز فيه بدهن
أيام (مهيأ) أشهى إليك من (سن جوني) (3)
أقول هذا وإني لمحسن فيك ظني
فإن غدوت وزيرا يوما وجئنا نهني
فلا تكن ذا حجاب ولا تطل في التجني
ولا تقل من غرور يأيها الناس إني

(1) الحبة: جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم.

(2) قرم تاللحم قرما (بالتحريك): اشتدت شهوته إليه. وصياح عصافير البطن: كناية عن شدة الجوع.

(3) مهيأ: اسم لبائع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر. و(سان جوني): اسم لبائع حلواء في مدينة حلوان.

(4) إني، أي إني كذا وكذا مما يحدث به نفسه في معرض الفخر.

أخشى عليك المنايا ... حتى كأنك مت مني (1)

إذا شكوت صداعا ... أطلت تسهيد جفني

وإن عراك هزال ... هيأت لحدي وقطني

وإن دعوت لحى ... يوما فإياك عني

عمري بعمرك رهن ... فعش أعش ألف قرن

نبقى وإبليس فيها ... نبلي الليالي ونفني

أسرفت في المزح فاصفح ... يا سيدي واعف عني

فالذنب ذنب (شدودي) ... فالعن (شدودي) ودعني (2)

قد سن فينا مزاحا ... على الحقيقة يجنى

ذقت الأمرين منه ... فسل (سليما) وسلني (3)

واسمع مديح محب ... يطوي بحق ويثني

(1) يشير بهذا البيت وما بعده من الأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفني وحافظ، وذلك أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأبينه ستة من الخطباء، وهم: الشيخ أبو خطوة، وحسن عاصم باشا، وحسن عبد الرازق باشا، وقاسم أمين بك، وحفني ناصف بك، وحافظ إبراهيم بك، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم التأبين وجاءت النوبة على حفني بك، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكره فيها بالموت، ويدعوه إلى الاستعداد إذا نزلت به المنية.

(2) هو الدكتور إبراهيم شدودي الرمدي الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة في تكريم حافظ نحا فيها هذا النحو من المزح، وذكر حافظا عهده السابق في الجيش.

(3) يريد سليم سركيس انظر التعريف به في الحاشية رقم 6 من صفحة 178.

لقد جمعت خلالا تضمنت كل حسن
مفتشا وفقيها وقاضيا وابن فن (1)
إن (المعارف) فازت بمنية المتمني
(بحشمت) و(على أبو الفتوح) و(حفني) (2)

اعتذار إلى أحمد شوقي بك

كتب به حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العلايلي بك في كرمة ابن هانئ ولم يحضره حافظ لمرض ألم به.

[**نشرت في 15 يناير سنة 1913م**]

يا سيدي وإمامي ويا أديب الزمان
قد عاقني سوء حظي عن حفلة المهرجان
وكنت أول ساع إلى رحاب (ابن هاني) (3)
لكن مرضت لنحسي في يوم ذاك القران

(1) ابن فن: كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها الظرفاء وأصحاب النكت الظريفة والفكاهات الرقيقة

(2) يريد بحشمت: أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك. وعلي أبو الفتوح باشا وكيلها.

(3) يريد بابن هاني: أحمد شوقي بك، وكان يكنى بهذه الكنية تشبيها بأبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي الشاعر العباسي المعروف، لما بين الشاعرين من الشبه في الاتصال بالملوك ومخالطتهم، والاتحاد في بعض أغراض شعرهما.

وقد كفاني عقابا ما كان من حرماني
حرمت رؤية (شوقي) ولثم تلك البنان
فاصفح فأنت الخليق بالصفح عن كل جاني
وعش لعرش المعاني ودم لتاج البيان
إن فاتني آن أوفي بالأمس حق التهاني
فاقبله مني قضاء وكن كريم الجنان (1)
والله يقبل منا الصلاة بعد الأوان

دعابة

رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السوري بمولود سماه حافظا وقال فيه:

لى ولد سميته حافظا تيمنا بحافظ الشاعر (3)

[نشرت في 15 يوليو سنة 1913م]

فقال حافظ:

كحافظ إبراهيم لكنه أجمل خلقا منه في الظاهر
فلعنة الله على (حافظ) إن لم يكن بالشاعر الماهر
لعل أرض الشام تزهى به على بلاد الأدب الزاهر (3)

(1) الجنان: القلب.
(2) لم ينون اسم حافظ لضرورة الوزن.
(3) يريد «ببلاد الأدب» : مصر.

على بلاد النيل تلك التي   تاهت بأصحاب الذكا النادر (1)
(شوقي) و(مطران) و(صبري) ومن   سميته في مطلعي الباهر

فقال الشيخ أمين:

وأخجلني إن لم يجيء شاعرا   ينسى أباه حكمة الناثر
شعر نظمناه ولولا الذي   رزقته ما مر بالخاطر

فقال حافظ:

فيا وليدي كن غدا شاعرا   وابدأ بهجو الوالد الآمر (2)
فالذنب ذنبي وأنا المعتدي   هل يسلم الشاعر من شاعر

دعابة بين شوقي وحافظ

(نشرت في سنة 1917م)

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس إلى حافظ، وهي:

يا ساكني مصر إنا لا نزال على   عهد الوفاء – وإن غبنا – مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم   شيئا نبل به أحشاء صادينا (3)
كل المناهل بعد النيل آسنة   ما أبعد النيل إلا عن أمانينا (4)

(1) تاهت: افتخرت.   (2) الآمر: أي الذي يأمرك بصنع الشعر.   (3) الصادي: الظمآن.
(4) المناهل: الموارد. والماء الآسن: المتغير.

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت في 8 مايو سنة 1917م]

عجبت للنيل يدري أن بلبله صاد ويشقي ربا مصر ويسقينا
والله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمينا (1)

بين حافظ والهراوي

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام في بيته بالجيزة سنة **1918**م فذهب صديقه محمد الهراوي الشاعر المعروف ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض بعض المعاني في خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يا رئيس الشعر قل لي ما الذي يقضي الرئيس (1)
أنت في الجيزة خاف مثلما تخفى الشموس
قابع في كسر بيت قد أظلته الغروس
زاهد في كل شيء مطرق ساه عبوس
أين شعر منك نضر فلنا فيه مسيس (3)
وحديث منك حلو يتشهاه الجلوس

(1) ينأى: يبعد.
(2) يقضي: يصنع ويعمل. قال تعالى: (فقضاهن سبع سموات في يومين)
(3) مسيس، أي حاجة ماسة، يقال: مست الحاجة إلى كذا، أي ألجأت إليه.

وفكاهات عذاب تتمناها النفوس
قد جفوت الشعر حتى حدثت عنك الطروس
وهجرت الناس حتى ساءلوا أين الأنيس؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا:

أنا في الجيزة ثاو ليس لي فيها أنيس (1)
أنكر الأنس مكاني ونأى عني الجليس
ليس يدري من رآني أطليق أم حبيس

دعابة كتب بها إلى السيد محمد الببلاوي نقيب الأشراف

[لما ولي نقابة الأشراف في سنة 1920م]

قل للنقيب لقد زرنا فضيلته فذادنا عنه حراس وحجاب (2)
قد كان بابك مفتوحا لقاصده واليوم أوصد دون القاصد الباب (3)
هلا ذكرت (بدار الكتب) صحبتنا إذ نحن رغم صروف الدهر أحباب (4)
لو أنني جئت (للبابا) لأكرمني وكان يكرمني لو جئته (الباب) (5)

(1) الثاوي: المقيم.
(2) ذادنا: منعنا.
(3) أوصد الباب: أغلقه.
(4) صروف الدهر: نوائبه؛ يشير إلى السيد محمد الببلاوي كان هو والشاعر يعملان معا في دار الكتب المصرية.
(5) يريد «بالباب»: رأس الطائفة المعروفة بالبابية، وهم فرقة من غلاة الشيعة، وسمي بابا، لأنهم يعدونه باب المهدي، أي نائبه.

لا تخش جائزة قد جئت أطلبها إني شريف وللأشراف أحساب (1)
فاهنأ بما نلت من فضل وإن قطعت بيني وبينك بعد اليوم أسباب (2)

استئذان الرئيس

بيتان ارتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشرا في 25 نوفمبر سنة 1924م]

قل للرئيس أدام الله دولته بأن شاعره بالباب منتظر
إن شاء حدثه أو شاء أطربه بكل نادرة تجلى بها الفكر

دعابة

قالها في الدكتور محجوب ثابت سنة 1927م، وكان كلاهما في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف، وكان الدكتور – فيما قالوا – مشغولا بأمرين إذ ذاك: وزارة يتولاها، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوجها وإلى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة:

يرغي ويزيد بالقافات تحسبها قصف المدافع في أفق البساتين (3)
من كل قاف كأن الله صورها من مارج النار تصوير الشياطين (4)

(1) يشير بقوله: «إني شريف»، إلى الحكم الشرعي المعروف من أن الصدقة لا تجوز على الأشراف.

(2) يريد بالأسباب: روابط المودة.

(3) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود حرف القاف في حديث الدكتور محجوب ثابت وحرصه على النطق بها. ويريد بالشطر الثاني منه أن هذه القافات الثقيلة الوقع على الأذن في وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرعدة في البساتين الغناء.

(4) المارج: النار التي لا دجان لها.

قد خصه الله بالقافات يعلكها	واختص سبحانه بالكاف والنون (1)
يغيب عنه الحجا حينا ويحضره	حينا فيخلط مختلا بموزون (2)
لا يأمن السامع المسكين وثبته	من (كردفان) إلى أعلى (فلسطين) (3)
بينا تراه ينادي الناس في (حلب)	إذا به يتحدى القوم في (الصين) (4)
ولم يكن ذاك عن طيش ولا خبل	لكنها عبقريات الأساطين (5)
يبيت ينسج أحلاما مذهبة	تغني تفاسيرها عن (ابن سيرين) (6)
طورا وزيرا مشاعًا في وزارته	يصرف الأمر في كل الدواوين (7)
وتارة زوج عطبول خدلجة	حسناء تملك آلاف الفدادين (8)
يعفى من المهر إكراما للحيته	وما أظلته من دنيا ومن دين (9)

(1) يعلكها: يمضغها. ويريد «بالكاف والنون»: قوله تعالى لما يريد خلقه: «كن فيكون».

(2) الحجا: العقل والفطنة.

(3) كردفان: بلد بالسودان معروف. ويريد بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل الدكتور محجوب بين المجالس والأندية، وتنقله في موضوعات الحديث، وعدم استقراره في مكان واحد ولا موضوع واحد، وبعد المسافات التي يقطعها في هذا التنقل.

(4) تحداه: باراه ونازعه الغلبة.

(5) يريد «بالأساطين»: الأعلام المبرزين في مختلف العلوم والفنون، جمع أسطوانة، وهي في الأصل العمود والسارية.

(6) أظهر الهمز في «ابن سيرين» لضرورة الوزن. وابن سيرين: عالم معروف بتفسير الأحلام، وينسب له كتاب مشهور في ذلك.

(7) يشير بهذا البيت إلى أمنية الدكتور محجوب في أن يكون وزيرا في إحدى الوزارات، وهو لا يستقر في أمنية على وزارة واحدة.

(8) العطبول من النساء: الفتية الجميلة الممتلئة، الطويلة العنق. والخدجلة: الممتلئة الذراعين والساقين. يشير إلى أمنية الدكتور محجوب في أن يتزوج ممن تلك صفتها.

(9) يشير بهذا البيت إلى طول لحية الدكتور محجوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليعفونه من مهور بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن.

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للمجمع العلمي بدمشق

شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لأوّل مرة قد ذاق جفني _ على ما ذاقه – دمع السرور

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جوابا عن قصيدة دعابية أيضا بعث بها إليه هذا الصديق

وافي كتابك يزدري بالدر أو بالجوهر
فقرأت فيه رسالة مزجت بذوب السكر
أجريت في أثنائها نهر انسجام الكوثر (1)
وفرطت بين سطورها منظوم تاج القيصر (2)
وخبأت في ألفاظها من كل معنى مسكر
فترى المعاني الفارسيـ ـة في معاني الأسطر (3)
كالغانيات تقنعت خوف المريب المجتري (4)

(1) الكوثر: نهر في الجنة. وانسجامه: انسيابه واطراده؛ وفي هاتين الكلمتين قلب طاهر دعت إليه ضرورة الوزن، والأصل: انسجام النهر.

(2) منظوم تاج القيصر: جواهره.

(3) المعاني الفارسية، أي البديعة؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع في الفنون. وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمغاني، وهي المنازل المسكونة.

(4) الغانيات: جمع غانية، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. والمجتري: المجترئ.

معنى ألذ من الشما تة بالعدو المدبر (1)
أو من عتاب بين محـ ـبوب وحب معذر (2)
أو فترة أضاعها الـ ـقامر عند الميسر (3)
أو مجلس للخمر معـ ـقود بيوم ممطر
تسعون بيتا شدتها فوق سنان السمهري (4)
والسمهري قلم في كف ليث قسور (5)
أفتى القوافي كيف أنـ ـت؟ فقد أطلت تحسري؟
أترى أراك أم اللقا ء يكون يوم المحشر
... ... (6)
ما كان ظني أن تعيـ ـش أيا لئيم المكسر (7)
ولقد قذفت إلى الجحيـ ـم وبئس عقبى المنكر
تالله لو أصبحت (أفـ ـلاطون) تلك الأعصر(8)

(1) المدبر: المنهزم.
(2) الحب (بالكسر): المحبوب. والمعذر: المنصف العادل. ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضي محبوبه.
(3) يشبه لذة معانية بلحظة اللعب في الميسر. والقامر: المقامر.
(4) السمهري: الرمح الصلب. أو هو نسبة إلى سمهر زوج زدينة اللذين كانا يثقفان الرماح؛ أو إلى قرية في الحبشة. ومعنى (شادها فوق سنان السمهري) أنه أنشأها بقلبه الجبار.
(5) القسور: اسم من أسماء الأسد، سمي بذلك لغلبته وقهره.
(6) هنا نضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين صديقين حميمين لا يصح نشرها.
(7) اللئيم المكسر: الذي يظهر لؤمه بعد الاختبار. وأصله من العود الذي يظهر ضعفه حين يكسر.
(8) أفلاطون: فيلسوف يوناني معروف؛ ولد في سنة 427 ق م، وكانت وفاته في سنة 347 ق م.

وغدا (ابقراط) ببا بك كالعديم المعسر

وبرعت (جالينوس) أو (لقمان) بين الحضر (1)

ما كان إلا تافه الـ ـآدب عند المعشر

غفرانك اللهم إني من ظلامته بري (2)

سويته كالكر كدن وجاءنا كالأخدري (3)

وجه لا وجه الخطو ب وقامة لم تشبر (4)

ومن العجائب أن مثـ ـل لسانه لم يبتر (5)

كم بات يلتحم العرو ض وجاء بالأمر الفري (6)

فافعل به اللهم كالنـ ـمروذ فهو بها حري (7)

وانزل عليه السخط إن أمسى ولم يستغفر (8)

(1) الحضر: جمع حاضر.

(2) بري: بريء.

(3) سويته: خلقته. والكركدن: حيوان في جثه الفيل خلقته كخلقة الثور إلا أنه أعظم منه ذو حافر، وعلى رأسه قرن واحد، وهو بتشديد الدال وتخفيف النون، ومجيئهكما هنا مشدد النون من لغة العامة، وكذلك ورد في شعر المتنبي. والأخدري: الحمار الوحش.

(4) لم تشبر: لم تقس بالشبر لشدة قصرها.

(5) يبتر: يقطع.

(6) يلتحم العروض، أي ينال من أعراض الناس. والمعروف في هذا «لحم» و«ألحم»؛ يقال: لحم فلانا فلانا من باب نصر، إذا أضر به وناله بمكروه؛ وألحمني عرض فلان، إذا أمكنني منه أشتمه، أي جعل عرضه لحمة للغائب. والفري (بتشديد الياء وخففت للشعر): المصنوع المختلق (بفتح اللام)، أو الأمر العظيم.

(7) النمروذ: جبار من القدماء كان في زمان نبي الله إبراهيم عليه السلام. وحري بتشديد الياء وخففت للشعر): خليق وجدير.

(8) وانزل؛ أصله «وأنزل» بإثبات الهمز، ووصلها لضرورة الوزن.

فهو الذي ابتدع الربا وأقام ركن الفجر
وأقام دين عبادة الـ ـد ينار بين الأظهر
ولقد عجبت لبخله ولكفه المستحجر
لا يصرف السحتوت إ لا وهو غير مخير (**1**)
لو أن في إمكانه عيشا بغير تضور (**2**)
لاختار سد الفتحتيـ ـن وقال: يا جيب احذر (**3**)

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباظة بك (4)

طال الحديث عليكم أيها السمر ولاح للنوم في أجفانكم أثر (**5**)
وذلك الليل قد ضاعت رواحله فليس يرجى له من بعدها سفر (**6**)
هذي مضاجعكم يا قوم فالتقطوا طيب الكرى بعيون شابها السهر (**7**)
هل ينكر النوم جفن – لو أتيح له إلا أنا ونجوم الليل والقمر؟
أبيت أسال نفسي كيف قاطعني هذا الصديق ومالي عنه مصطبر

(**1**) السحتوت: الشيء القليل؛ واستعمل في نوع من العملة قليل القيمة.
(**2**) التضور: التألم من شدة الجوع.
(**3**) يريد «بالفتحتين» مدخل الطعام ومخرجه. واحذر، أي احذر الإنفاق. (**4**) ذكر في هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة ففقد أكثر أبياتها؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق.
(**5**) السمر: المتسامرون.
(**6**) الرواحل: الركائب. يشبه الليل في طوله بمسافر فقد رواحله، فهو لذلك مقيم غير متحول.
(**7**) التقطوا طيب الكرى، أي تصيدوا لذيذ النوم. وشابها: خالطها.

فما مطوقة قد نالها شرك عند الغروب إليه ساقها القدر (1)
باتت تجاهد هما وهي آيسة من النجاة وجنح الليل معتكر (2)
وبات زغلولها في وكرها فزعا مروعا لرجوع الأم ينتظر (3)
يحفز الخوف أحشاه وتزعجه إذا سرت نسمة أو وسوس الشجر (4)
مني بأسوأ حالا حين قاطعني هذا الصديق فهلا كان يدكر (5)
يابن الكرام أتنسى أنني رجل لظل جاهك بعد الله مفتقر
إني فتاك فلا تقطع مواصلتي هبني جنيت فقل لي كيف أعتذر؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لقد بت محسودا عليك لأنني فتاك، وهل غير المنعم يحسد؟
فلا تبلغ الحساد مني شماتة ففعلك محمود وأنت محمد

(1) المطوقة: الحمامة ذات الطوق؛ وهو لون يخالف لون سائرها يحيط بالعنق.
(2) جنح الليل (بالكسر ويضم): طائفة منه. واعتكر الظلام: اختلط.
(3) زغلولها: فرخها الصغير.
(4) يحفز أحشاه: يفزعها ويدفعها إلى الاضطراب. ويريد «بوسواس الشجر»: حفيفه.
(5) أسوأ: خبر «ما» في قوله السابق: «فما مطوقه».... إلخ. ويدكر: يتذكر.

وداع محمد المويلحي بك (1)

حين سفره إلى معرض باريس

يا كاتب الشرق ويا خبر من   تتلو بنو الشرق مقاماته (2)
سافر وعد يحفظك رب الورى   وابعث لنا عيسى بآياته (3)

وقال يستقبله عند عوته من هذا المؤتمر:

من لم ير المعرض في اتساع   وفاته ما فيه من إبداع
فمعرض القوم بلا نزاع   في نفثه من ذلك اليراع (4)

عتاب كبت به إلى جماعة من أصحابه

تناءيت عنكم فخلت عرا   وضاعت عهود على ما أرى (5)
وأصبح حبل اتصالي بكم   كخيط الغزالة بعد النوى (6)

(1) انظر التعريف بالمويلحي في الحاشية رقم 3 من صفحة 150.

(2) يريد «بمقاماته»: كتاب عيسى بن هشام الذي أنشأه محمد بك المويلحي على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات.

(3) يريد عيسى بن هشام، الذي اقترضه محمد المويلحي بك صاحب حديثه؛ يشير بذلك إلى أن مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزء ثان خاص بأروبا، فهو يستنجزه وعده بذلك.

(4) اليراع: القلم. ويريد بنفثته: ما يخطه من عبر وجودة وصف. شبه ذلك بنفث السحر.

(5) تناءيت: بعدت. والعرا: جمع عروة، وهي معروفة؛ وقد كني بها عن العهود والمواثيق. أي أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به.

(6) الغزالة: الشمس. وخيطها: شعاعها. وقد شبه به حبل اتصاله بأصدقائه في الضعف والوهن.

وقد زال ما كان من ألفة ... وود زوال شهاب الدجى
كأن بقاء الوفا بينكم ... وبيني بقاء حباب الحيا (1)
سكنت إليكم ولم تسكنوا ... إليّ وقد كنت نعم الفتى (2)
ونفسي فريقان: هذا به ... مزجت الوفا، وذاك الندى
أصبتم تراثا وألهاكم الـ ... ـتكاثر عنا فسر العدا (3)
ومن كان ينثيه إثراؤه ... صديق الخصاصة لا يصطفي (4)

ذكرى

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

من واجد منفر المنام
طريد دهر جائر الأحكام
مشتت الشمل على الدوام
ملازم للهم والسقام

(1) حباب الماء (بفتح الحاء): فقاقيعه التي تكون على سطحه. والحيا: المطر.

(2) سكن إليه: اطمأن إليه ووثق به.

(3) التراث (بالضم): ما يصاب من المال الموروث. ويريد «بالتكاثر»: التنافس في كثرة الأموال والمفاخرة بها.

(4) الإثراء: كثرة الأموال. والخصاصة: الفقر والاحتياج.

(5) الواجد، ذو الوجد. ومنفر المنام: مطرود عنه النوم. وقوله: «من واجد»: خبر مقدم، والمبتدأ قوله: «تحية» بعد أبيات طويلة.

إليكم يا نزهة الأنام

وفتية الإيناس والمدام

من أقسموا بألزم الأقسام

بأن يقضوا دولة الظلام

ما بين بنت الحان والأنغام (1)

ومطرب من خيرة الأقوام

أرق منشعر (أبي تمام) (2)

ومجلس في غفلة الأيام

قد مل فيه كاتب الآثام (3)

تحية كالورد في الكمام (4)

أزهى من الصحة في الأجسام

يسوقها شوق إليكم نامي (5)

تقصر عنه همة الأقلام

يا ليت شعري بعد هذا العام

(1) بنت الحان: الخمر. والحان: موضع بيعها.

(2) أبو تمام: هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عباسي معروف.

(3) مل: تعب. وكاتب الآثام: الملك الذي يكتب سيئات المرء وذنوبه. ويريد أن المجلس قد أتى من المعاصي ما يعي كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصي.

(4) الكمام (بكسر الكاف): جمع كمامة، وهي غطاء الزهر.

(5) نامي: زائد.

إليكم ترمي بي المرامي

أم يتنويني رائد الحمام (1)

فانطوى في هذه الآكام (2)

وتولم الضبع على عظامي (3)

ولائما للوحش في الإظلام

فإن أتى يومي وأودى لامي (4)

وبات زاد الدود والرغام (5)

بالله أدعوك وبالإسلام

أن تذكروا ناظم ذا الكلام

إذا جلستم مجلسا للجام (6)

وكان ساقيكم من الآرام (7)

ي ليلة والبدر في تمام

(1) انتواه: قصده. والحمام: الموت.

ورائده: رسوله.

(2) الآكام: جمع أكمة، وهي الرابية والحجارة تجتمع في مكان واحد؛ يريد آكام السودان.

(3) تولم: تقيم الولائم.

(4) أودى: هلك. ولام الإنسان. شخصه.

(5) الرغام: التراب.

(6) الجام: الإناء من فضة؛ ويريد هنا: قدح الخمر؛ وهو لفظ فارسي معرب.

(7) الآرام: الغزلان، الواحد رئم.

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم

سيرا أيا بدري سماء العلا واستقبلا التم ولا تأفلا (1)
سيرا إلى مهد العلوم التي كانت لنا ثم ازدهاها البلى (2)
سيرا إلى الأرض التي أنبتت عزا وأضحت للملا موئلا (3)
يمشي عليها الدهر مستخذيا وتجزع الأحداث أن تنزلا (4)
شعار أهليها وأبنائها أن يعلم المرء وأن يعملا
فزينا المجد بنور النهى وجملا الجاه بأن تكملا (5)
وخبرا الغرب وأبناءه بأننا نحن الرجال الألى (6)
لئن غدا الدهر بنا مدبرا لابد للمبر أن يقبلا
لا زلتما فرعين في دوحة تظل من رجى من أملا (7)
نمتكما مصر وربكما أب كريم جد حتى علا
مضى وقد أولاكما نعمة لا تبسطا فيها ولا تغللا (8)
فرحمة الله على والد كسا كما الإعزاز بين الملا

(1) تم البدر: تمامه واكتماله. وأفل القمر والشمس يأفل (بكسر الفاء وضمها): غابا.

(2) ازدهاها البلى: تهاون بها واستخف.

(3) يريد «بالأرض»: بلاد الإنجليز.

(5) النهى: العقول.

(6) الألى، أي الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق في ميادين الحضارة والعلوم؛ فحذف الصلة بها للعلم.

(7) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل.

(8) لا تبسطا فيها، أي لا تتسعا في الإنفاق. وغل يده يغلها (من باب نصر): إذا قبضها عن الإنفاق. وأصله من وضع اليد في الغل (بضم الغين وتشديد اللام)، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في العنق أو في اليد.

إلى أحمد شوقي بك (1)

يودعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

يا شاعر الشرق اتئد ماذا تحاول بعد ذلك (2)
هذي النجوم نظمتها درر القريض وما كفاك
والبدر قد علمته أدب المثول إذا رآك (3)
وسموت في أفق السعو د فكدت تعثر بالسماك (4)
وحباك عباس المحا مد بالمواهب واصطفاك (5)
ودعتك مصر رسولها للغرب مذ عرفت علاك
فارحل وعد بوديعة الرحمن أنت وصاحباك

(1) انظر التعريف بشوقي في الحاشية رقم 5 من صفحة 50.

(2) أتئد: تمهل.

(3) أدب المثول، أي أدب الوقوف بين يديك.

(4) السماك: أحد كوكبين نيرين، يقال لأحدهما: السماك الرامح، وللآخر: السماك الأعزل.

(5) حباك: أعطاك.

إلى صديقه محمد عبده البابلي بك يعاتبه (1)

كتب بها إليه من السودان

إن عضيك يا أخي بالملام لا يؤدي لمثل هذا الخصام (2)
أنت (والشمس) (والضحى) والليالي العشر (والفجر) غير راعي الذمام (3)
ما عهدناك يا كريم السجايا تصرف النفس عن هنات الكرام (4)
ليس في كتبنا سؤال نوال منك حتى خشيت رد السلام (5)
نحن نرضى بالقوت من هذه الدنيا وإن بات دون قوت النعام (6)
وإذا خان قسمنا ما شكونا لسوى الله أعدل القسام (7)
كيف تنسى يا (بابلي) غرينا بات بين الظنون والأوهام
وحزينا إذا تنفس عادت فحمة الليل جمرة من ضرام (8)
وإذا أن كاد ينصدع الأفـ ـق وتعتل دورة الأجرام (9)
بات تحت البلاء حتى تمنى لو يكون المبيت تحت الرغام (10)

(1) انظر التعريف بمحمد البابلي في الحاشية رقم 5 من صفحة 166.

(2) عضيك، أي عضي إياك.

(3) يقسم بما أقسم الله به في سور (الشمس) (والضحى) (والفجر). والذمام: الحق والحرمة.

(4) يريد بالهنات: الهفوات اليسيرة التي يحتمل مثلها، الواحدة هنة؛ أي ما عهدناك تتسامح لغيرك في أقل هفوة، فما بالك تأتي بالأخطاء الكبيرة.

(5) النوال: العطاء.

(6) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا في التفاهة والقلة، لأن النعامة تقتات الحصى والحجارة إذا لم تجد ما تقتات به.

(7) القسم (بكسر القاف): النصيب والحظمن الخير والرزق.

(8) يريد «بفحمة الليل»: سواده الشديد المشبه للفحم.

(9) الأجرام: الأفلاك.

(10) الرغام (بفتح الراء): التراب. وكنى بالمبيت تحت الرغام عن الموت.

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه:

أدلال ذلك م كسل ... أم تناس منك أم ملل
أم غريق أنت في جذل ... أم بكاسات الهنا ثمل (1)
أم – وقاك الله – في كدر ... أم على الأعذار متكل
أم مشوق مغرم وله ... شفه التشبيب والغزل (2)
أم غنى بات يشغله ... ماله والكسب والأمل
أم وشى واش إليك بنا ... فاحتواك الشك يا (بطل) (3)
قد مضى شهور وأعقبه ... ضعفه والفكر مشتغل
لا كتاب منك يطفئ ما ... في فؤادي بات يشتعل
لا ولا رد يعللني ... أو على التسليم يشتمل (4)
يا صديقي لا مؤاخذة ... أنت يابن البابلي ... ... (5)

وكتب إليه أيضا بتشوق:

نمى يا بابلي إليك شوقي ... وعيني لازمت سكب الدموع
ولو أني تركت سراح قلبي ... لطار إليك من فقص الضلوع

(1) الجذل (بالتحريك): الفرح. والثمل: النشوان.
(2) الوله: المتحير من شدة الوجد. وشفه: هزله وأوهنه. والتشبيب بالنساء: وصفهن وذكر محاسنهن.
(3) احتواءه: ملكه وغلب عليه.
(4) علله: شغله وألهاه.
(5) موضع هذه النقط كلمة يستحيا من ذكرها، ولا تخفى على القارئ.
(6) نمى: زاد.

شكر وزير زار حافظا في منزله

لا غرو إن أشرق في منزلي　　في ليلة القدر محيا الوزير
فالبدر في أعلى مداراته　　للعين يبدو وجهه في الغدير (1)

دعابة كتب بها إلى الأستاذ حامد سري (2)

في يوم زفافه (2 نوفمبر 1917) يستهديه من طعام العرس وثيابا يلبسها، وكانا إذ ذاك متجاورين بالجيزة:

أحامد كيف تنساني وبيني　　وبينك يا أخي صلة الجوار
سأشكو للوزير فإن توانى　　شكوتك بعده للمستشار (3)
أيشبع مصطفى الخولي وأمسى　　أعالج جوعتي في كسر داري (4)
وبيتي فارغ لا شيء فيه　　سواي وإنني في البيت عاري
ومالي جزمة سوداء حتى　　أوافيكم على قرب المزار
وعندي من صحابي الآن رهط　　إذا أكلوا فآساد ضواري
فإن لم تبعثن إليّ حالا　　بمائدة على متن البخار
تغطيها من الحلوى صنوف　　ومن حمل تتبل بالبهار
فإني شاعر يخشى لساني　　وسوف أريك عاقبة احتقاري

(1) يقول في هذين البيتين: إن الوزير على سموّ منزلته قد أشرق نوره في منزلي على ضعته، ولا عجب، فالبدر في السماء تظهر صورته في غدير الماء.

(2) وردت إلينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها في آخره؛ وكان مقتضى طريقتنا في ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن توضع قبل ذلك، أي بعد الأبيات التي رد بها حافظ على شوقي في سنة

(3) يريد وزير الزراعة؛ وكان حامد سري بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم.

(4) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولي بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سري من صلة المصاهرة.

الوصف

وصف كساء له

قالها ارتجالا في مجلس من إخوانه

[نشرت في سنة 1900م]

لي كساء أنعم به من كساء ... أنا فيه أتيه مثل الكسائي (1)
حاكه العز من خيوط المعالي ... وسقاه النعيم ماء الصفاء
وتبدى في صبغة من أديم ... الليل مصقولة بحسن للطلاء (2)
خاطه ربه بإبرة يمن ... أوجروا سمها خيوط الهناء (3)
فكأني – وقد أحاط بجسمي – ... في لباس من العلا والبهاء
تكبر العين رؤيتي وتراني ... في صفوف الولاة والأمراء
الف الناس– حيث كنت– مكاني ... ألفة المعدمين شمس الشتاء
يا ردائي وأنت خير رداء ... أرتجيه لزينة وازدهاء (4)

(1) الكسائي، هو على بن حمزة، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين هارون الرشيد؛ وتوفى حوالي سنة 189هـ.

(2) تبدى: ظهر. والأديم: الجلد. وأديم الليل: سواده، لأنه كالجلد يغشى الشيء ويغطيه.

(3) اليمن: البركة. «وأوجرها سمها» إلخ أي أدخلوا الخيوط في ثقبها. والإيجار في الأصل: إدخال الوجور (وهو الدواء) في فم المريض؛ أو هو الطعن بالرمح في الفم أو في الصدر.

(4) الازدهاء: الزهو والاختيال.

لا أحالت لك الحوادث لونا   وتعدتك ناسجات الجواء (1)
غفلت عنك للبلى نظرات   وتخطتك إبرة الرفاء
صحبتني قبل اصطحابك دهرا   بدلة في تلون الرحباء (2)
نسبوها لطيلسان (ابن حرب)   نسبة لم تكن بذات افتراء (3)
كنت فيها إذا طرقت أناسا   أنكروني كطارق من وباء
كسف الدهر لونها واستعارت   لون وجه الكذوب عند اللقاء
يا ردائي جعلتني عند قومي   فوق ما اشتهي وفوق الرجاء
إن قومي تروقهم جدة الثو   ب ولا يعشقون غير الرواء (4)
قيمة المرء عندهم بين ثوب   باهر لونه وبين حذاء
قعد الفضل بي وقمت بعزي   بين صحبي، جزيت خير الجزاء (5)

(1) أحاله: حوله من حال إلى حال . وناسجات الجواء: الرياح التي تذهب في الأجواء طولا وعرضا كما يفعل الناسج فيما ينسجه، لأنه يعترض النسيجة فيلحم ما أطالمن السدى. والجواء: جمع جوّ بالمعنى المعروف؛ أو بمعنى الفلاة الواسعة.

(2) البذلة من الثياب: ما لا يصان منها. والحرباء: دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت، وتتلون ألوانا بحرّ الشمس؛ ويضرب بها المثل في التقب.

(3) الطيلسان (بالفتح وتثليث اللام): كساء مدوّر أخضر لا أسفل له، لحمته وقيل سداه من صوف، يلبسه الخواص من العلماء، وأصله من لباس العجم. وطيلسان ابن حرب: مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب، فخلع عليه طيلسانا باليا، فقال في ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صير ذلك الطيلسان مثلا لكل ما بلي ورث من الثياب؛ فمن ذلك قوله:

يابن حرب كسوتني طيلسانا   رق من صحبة الزمان وصدّى
طال ترداده إلى الرفو حتى   لو بعثناه وحده لتهدّى

وغير ذلك من الشعر. والافتراء: اختلاق الكذب.

(4) تروقهم: تعجبهم. والرواء: حسن المنظر.   (5) قعد بي: عجز عن رفع شأني، إذ لم يقوّمه قومي لجهلهم به.

الحاكي

[نشرت في سنة 1900م]

وجدوا السبيل إلى التقاطع بيننا والسمع يملكه الكذوب الحاذق
لا تجعلي الواشين رسلك في الهوى فلأصدق الرسل الجماد الناطق (1)

الشمس

[نشرت في 15 نوفمبر سنة 1900م]

لاح منها حاجب للناظرين فنسوا بالليل وضاح الجبين (2)
ومحت آياتها آياته وتبدت فتنة للعالمين
نظرا إبراهام فيها نظرة فأرى الشك وما ضل اليقين (3)
قال: ذا ربي، فلما أفلت (قال: إني لا أحب الافلين) (4)
ودعا القوم إلى خالقها وأتى القوم بسلطان مبين (5)

(1) يصف في البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحبها بما يلقون إليها من أكاذيب؛ وما أقدر الكذوب على ذلك، وينهاها في البيت الثاني عن أن توسط الوشاة بينه وبينها، فإن فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي، فهو الجماد الناطق الصادق.

(2) وضاح الجبين: القمر.

(3) إبراهام: لغة في إبراهيم، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام. ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى: (فلما رأى الشمس بازغة) الآية. وقوله «فأرى الشك»... الخ، أي أظهر لقومه أنه شاك في الإله لكي يهديهم وهو متيقن وجوده.

(4) أفلت: غابت. (5) السلطان: الحجة.

رب إن الناس ضلوا وغووا ورأوا في الشمس رأى الخاسرين

خشعت أبصارهم لما بدت وإلى الأذقان خروا ساجدين

نظروا آياتها مبصرة فعصوا فيها كلام المرسلين

نظروا بدر الدجى مرآتها تتجلى فيه حينا بعد حين

ثم قالوا: كيف لا نعبدها هل لها فيما ترى العين قرين؟

هي أم الأرض في نسبتها هي أم الكون والكون جنين (1)

هي أم النار والنور معا هي أم الريح والماء المعين (2)

هي طلع الروض نورا وجنى هي نشر الورد، طيب الياسمين (3)

هي موت وحياة للورى وضلال وهدى للغابرين

صدقوا لكنهم ما عملوا أنها خلق سيبلى بالسنين

أءله لم ينزه ذاته عن كسوف، بئس زعم الجاهلين

إنما الشمس ومافي آيها من معان لمعت للعارفين

حكمة بالغة قد مثلت قدرة الله لقوم غافلين

(1) يشير بقوله: «هي أم الأرض»، إلى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس. ثم انفصلت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن.

(2) المعين: التابع من العيون.

(3) يريد «بالطلع»: ما يبدو من الثمرة في أول ظهورها. ونور النبات: زهره. والجنى: ما يجنى من الشجر. وشر الورد: رائحته المنتشرة منه.

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت في 23 نوفمبر سنة 1900م]

يادولة القواضب الصقال (1)
وصولة الذوابل الطوال (2)
كم شدت بين الأعصر الخوالي (3)
ممالكا عزيزة المنال (4)
قامت بحد الأبيض القصال (5)
وسن ذاك الأسمر العسال (6)
راحت بها الأيام والليالي
وخلفتها دولة الجلال
مملكة المدفع ذات الخال (7)
قامت بحول النار والزلزال (8)
فأرهبت أفئدة الأبطال
أرهبها مزعزع الجبال (9)

(1) القواضب: السيوف القواطع، الواحد قاضب. والصقال: السيوف المجلوة، الواحد صقيل.
(2) الصولة: السطوة والقهر. والذوابل: الرماح الرقيقة اللاصقة بالليط، وهو القشر؛ وهي أجود الرماح، الواحد ذابل.
(3) الخوالي: الماضية.
(4) عزيزة المنال: ممتنعة على من يريدها.
(5) يريد «بالأبيض»: السيف. والقصال (بالقاف): القطاع.
(6) الأسمر: صفة للرمح. والعسال: الشديد الاهتزاز والاضطراب للينه، وهو من صفات الرماح الجيدة.
(7) الخال: الكبر والخيلاء.
(8) الحول: القوّة.
(9) يريد «بمزعزع الجبال»: المدفع.

ومفزع الليوث في الدحال (1)
وقاطع الآجال والآمال
وخاطف الأرواح من أميال
يثور كالبركان في النزال (2)
فيتبع الأهوال بالأهوال
ويرسل النار على التوالي
فيحطم الهام ولا يبالي (3)
ما كوكب الرجم هوى من عالي
فمر كالفكر سرى بالبال
على عنيد مارد محتال (4)
مسترق للسمع في ضلال (5)
من عالم التسبيح والإهلال (6)
أمضى وأنكى منه في القتال (7)

(1) الدحال: جمع دحل (بفتح الدال وسكون الحاء) وهو ثقب ضيق فمه، ثم يتسع أسفله حتى يمشي فيه، وربما أنبت السندر، وتستتر فيه السباع.

(2) النزال: القتال

(3) يحطم: يكسر. والهام: الرءوس، الواحدة هامة.

(4) العنيد: المخالف للحق الذي يرده وهو يعرفه، والجمع عند (بضمتين). ويريد «بالمارد العنيد»: الشيطان. (5) استرق السمع: استمع مستخفيا. ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة، فرجموا بالشهب؛ وذكر الله ذلك في القرآن في سورة الجن.

(6) الإهلال: رفع الصوت بذكر الله. ويريد «بعالم التسبيح والإهلال»: عالم الملائكة.

(7) قوله: «أمضى»... إلخ خبر «لما» في قوله قبل: «ما كوكب الرجم». وأنكى: أبلغ نكاية، أي قتلا وجرحا.

إذا سرت قنبلة الوبال (1)
من فمة المحشو بالنكال (2)
ينذرهم في ساحة المجال
بالبرق والرعد والآجال
ولم يكن كذلك الختال (3)
يجز في الهام وفي الأوصال (4)
صامت قول ناطق الفعال
رأيته كالقوم في المثال (5)
مالوا عن القول إلى الأعمال
فامتلكوا ناصية المعالي (6)

(1) استعمال «القنبلة» بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع في كلام عصرنا، ولم ترد به لغة العرب؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بمعان أخرى. والوبال: الهلاك.

(2) النكال: العذاب.

(3) الختال: الخداع، ويريد به السيف، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة، بل ينذرهم بشرره المشبه للبرق، ثم بصوته المشبه للرعد؛ ولم يكن كالسيف الذي يفتك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يجز رءوسهم ويقطع في أوصالهم.

(4) يجز: يقطع. وهي من الأفعال التي تتعدى بنفسها، وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف. والأوصال: المفاصل، الواحد وصل (بالكسر وبالضم).

(5) يريد «بالقوم»: أمم الغرب.

(6) الناصية: مقدم الرأس. وامتلكوا ناصية المعالي، أي بلغوا ذروتها وأعلاها.

ليلة عيد جلوس الخديوي

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بحديقة الأزبكية في مساء 8 يناير سنة 1901م

يا ليلة ألهمتني ما أتيه به ... على حماة القوافي أينما تاهوا (1)
إني أرى عجبا يدعو إلى عجب ... لدهر أضمره والعيد أفشاه
هل ذاك ما وعد الرحمن صفوته ... روض وحور وولدان وأمواه (2)
أم الحديقة ذات الوشى قد حليت ... في منظر يستعيد الطرف مرآه (3)
أرى المصابيح فيها وهي مشرقة ... كأنها النور والوسمي حياة (4)
أو إنماهي ألفاظ مدبجة ... وكل لفظ تجلى فيه معناه (5)
أرى عليها قلوب القوم حائمة ... كالطير لاح له ورد فوافاه (6)
أرى بني مصر تحت الليل قد نسلوا ... إلى سعود به ضاح محياه (7)
أرى على الأرض حليا قد نسيت به ... حلى السماء وحسنا لست أنساه (8)
أرى أريكة (عباس) تحف بها ... وقاية الله والإقبال والجاه (9)
أرى سمو خديوينا وقد بسطت ... بالعدل والبذل يمناه ويسراه
قل للألى جعلوا للشعر جائرة ... فيم الخلاف! مل يرشدكم الله!
إني فتحت لها صدرا تليق به ... إن لم تحلوه فالرحمن حلاه (10)

(1) حماة القوافي: فحول الشعراء. (2) صفوته: من اصطفاهم. والأمواه جمع ماه.

(3) يريد «بالموشى» هنا: ما اختلف من ألوان النبات والزهر، تشبيها بالوشى في الثوب، وهو النقش. «ويستعيد الطرف مرآه» أي أن جمال المنظر يغري بتكرار النظر. (4) النور: زهر النبات. والوسمي: المطر أول الربيع.

(5) مدبجة: مزخرفة مزينة. وتجلى: تكشف.

(6) حام الطائر على الماء: دار حوله. والورد (بكسر الواو): الماء المورود.

(7) نسلوا: أسرعوا. وضاحي المحيا: مشرق الوجه. (8) الحلى: ما يتزين به. (9) الأريكة: سرير الملك.

(10) يشير بهذا البيت الذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء، منهم أحمد زكي باشا، وإسماعيل صبري باشا، وحفني ناصف بك، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواط مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم في الشعر، فحافظ يقول: «لا تختلفوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض، فالأمر في تفضيلي بين لا جدال فيه، وإنكم إن لم تحلوا صدري بأغلى هذه الأنواط وأفضلها، فإن الله قد حلاه بما وهبني من شاعرية مبدعة، وملكة فياضة.

لم أخش من أحد في الشعر يسبقني إلا فتى ما له في السبق إلاه (1)
ذاك الذي حكمت فينا يراعته وأكرم الله (والعباس) مثواه (2)

البورصة

[نشرت في 24 ديسمبر سنة 1904]

ببابك النحس والسعود وموقف اليأس والرجاء
وفيك قد حارت اليهود يا مطلع السعد والشقاء (3)
ووجهك الضاحك العبوس قد ضاق عن وصفه البيان (4)
كم سطرت عنده طروس بقسمة العز والهوان (5)
وطؤطئت دونه رءوس يهتز من خوفها الزمان (6)
وكم أطافت به وفود واكثروا حوله الدعاء
فرابح نجمه سعيد وطامع بالخسار باء (7)

(1) يريد «بالفتى»: أحمد شوقي بك الشاعر الأمير.
(2) اليراعة: القلم. والمثوى: المنزلة.
(3) إنما خص اليهود، لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستثماره، كما هو معروف.
(4) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء في البيت الثاني، وهو اختلاف في حركة الروى. ويلاحظ أن في هذه القصيدة أبياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم.
(5) الطروس: الصحائف يكتب فيها، الواحد طرس (بكسر فسكون).
(6) طؤطئت، أي انخفضت وقطامنت.
(7) باء بالخسار، أي رجع به.

لما علت صيحة المنادي ... وأصبح القوم في عناء
وشمرت ثروة البلاد ... وضجت الأرض والسماء (1)
قنعت بالقطن في الوساد ... وفي الحشيات والغطاء (2)
وإنما العاقل الرشيد ... من سار في منهج النجاء
بالله يا قوم لا تزيدوا ... فإن آمالكم هباء (3)
مضاربات هي المنايا ... ورسلها أحرف البروق (4)
صبوح أصحابها الرزايا ... وما لهم دونها غبوق (5)
قد أتلفت أنفس البرايا ... بأسهم الغدر والعقوق
هبوطها الموت، والصعود ... ضرب من البؤس والبلاء
وما لها عندهم عهود ... إلا كما تعهد النساء
كم بالة سببت وبالاً ... وأشبهت لامع السراب (6)
وبذرة أنبتت خبالاً ... وأثمرت عاجل الخواب (7)
وكم غني أضاع مالاً ... وشاب في موقف الحساب
فليتعظ منكم البعيد ... وليتق الله ذو الثراء (8)
فذلك التاجر الشهيد ... قد عاف من أجلها البقاء (9)

(1) شمرت ثروة البلاد، أي استعدت للإسراع في الذهاب والضياع.
(2) الحشيات: الفرش المحشوة، الواحدة حشية (بفتح الحاء وتشديد الياء)، وهي المعرفة بالمرتبة.
(3) الهباء: الغبار، أو هو الشيء المنبث في ضوء الشمس يشبه الدخان.
(4) يريد «بأحرف البروق» الرسائل التلغرافية.
(5) الصبوح: ما يشرب في الصباح. والغبوق: ما يشرب في العشي.
(6) البالة: مقدار وزن معروف.
(7) الخبال: ذهاب العقل.
(8) الثراء: الغنى.
(9) يشير بقوله: «التاجر الشهيد» إلى أن بعض التجار كان قد انتحر حين ذهبت ثروته كلها في تلك المضاربات. وعاف الشيء يعافه ويعيقه: كرهه وزهد فيه.

زلـزال مسـينا (1)

سنة 1908م

نبئاني إن كنتما تعلمان ... ما دهى الكون أيها الفرقدان (2)
غضب الله أم تمردت الأر ... ض فأنحنت على بني الإنسان؟ (3)
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا ... ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نفس عنه(4) ... ثوران في البحر والبركان
رب، أين المفر والبحر والبر ... على الكيد للورى عاملان؟
كنت أخشى البحار والموت فيها ... راصد غفلة من الربان (5)
سابح تحتنا، مطل علينا ... حائم حولنا، مناء مداني
فإذا الأرض والبحار سواء ... في خلاق كلاهما غادران (6)
ما (لمسين) عوجلت في صباها ... ودعاها من الردي داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها ... حين تمت آياتها آيتها آيتان (7)
خسفت، ثم أغرقت، ثم بادت ... قضي الأمر كله في ثواني
وأتى أمرها فأضحت كأن لم ... تك بالأمس زينة البلدان

(1) مسينا: بلد بجنوب إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال.

(2) الفرقدان: نجمان معروفان.

(3) أنحت على بني الإنسان، أي أقبلت عليهم بالعذاب. ويرويه بعض الأدباء: «فأخنت»، أي أهلكتهم وأتت عليهم.

(4) نفس عنه: خفف.

(5) الربان: رئيس السفينة.

(6) الخلاق: الحظ والنصيب من الخير والصلاح. يقول في هذه الأبيات الثلاثة: إنه كان لايخشى إلا غائلة البحر، ويأمن من جانب البر فإذا بهما في الغدر سواء.

(7) يريد «بالآيتين»: زلزال الأرض، وفيضان البحر.

ليتها أمهلت فتقضي حقوقاً ... من وداع اللدات والجيران (1)

لمحة يسعد الصديقان فيها ... باجتماع ويلتقي العاشقان

بغت الأرض والجبال عليها ... وطغى البحر أيما طغيان (2)

تلك تغلي حقداً عليها فتنشق ... انشقاقاً من كثرة الغليان (3)

فتجيب الجبال رجماً وقذفاً ... بشواظ من مارج ودخان (4)

وتسوق البحار رداً عليها ... جيش موج نائى الجناحين داني (5)

فهنا الموت أسود اللون جون ... وهنا الموت أحمر اللون قاني (6)

جند الماء والثرى لهلاك الـ ... ـخلق ثم استعان بالنيران (7)

ودعا السحب عاتياً فأمدتـ ... ـه بجيش من الصواعق ثاني (8)

فاستحال النجاة واستحكم اليأ ... س وخارت عزائم الشجعان (9)

وشفى الموت غله من نفوس ... لاتباليه في المجال الطعان (10)

(1) اللدات: الأتراب، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال). والمراد نظائرها في البلاد.

(2) بغى عليه: ظلمه.

(3) تلك، أي الأرض.

(4) الشواظ: لهب لادخان فيه. والمارج: الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد.

(5) نائى الجناحين: أي بعيد ما بين الجناحين. والداني: القريب. يريد أن الموج يتسع مرة ويضيق أخرى.

(6) الجون: الشديد السواد. والقاني والقاني: الشديد الحمرة. والعرب تطلق الموت الأسود على الموت خنقاً، والموت الأحمر على الموت قتلاً لما يحدثه القتل من سيلان الدم.

(7) الضمير في«جند» و«استعان»: الموت.

(8) عاتيا: معتديا ظالماً.

(9) خارت: ضعفت.

(10) الغل: الحقد والموجدة.

أين (ردجو) وأين ماكان فيها   من مغان مأهولة وغواني (1)
عوجلت مثل أختها ودهاها   ما دهاها من ذلك الثوران (2)
رب طفل قد ساخ في باطن الأر   ض ينادي: أمي، أبي، أدركاني (3)
وفتاة هيفاء تشوى على الجمـ   ـر تعاني من حره ما تعاني (4)
وأب ذاهان، إلى النار يمشي   مستميتاً تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه   مسرع الخطو مستطير الجنان (5)
تأكل النار منه لا هو ناج   من لظاها ولا اللظى عنه وأني (6)
غصت الأرض أتخم البحر مما   طوياه من هذه الأبدان (7)
وشكا الحوت للنسور شكاة   رددتها النسور للحيتان
أسرفا في الجسوم نقراً ونهشاً   ثم باتا من كظة يشكوان (8)
لا رعى الله ساكن القمم الشم   ولا حاط ساكن القيعان (9)

(1) ردجو كالبريا: ولاية في إيطاليا، وهي القصوى من جهة الجنوب، متاخمة للبحر الأيوني وبوغاز مسينا، وقد هدمها ما انتابها من الزلازل. وإلى هذا يشير الشاعر. والمغاني: المنازل التي غنى بها أهلها أي سكنوا وأقاموا، الواحد مغنى (بفتح الميم والنون وسكون الغين) . والغواني: النساء غنين بجمالهن وحسنهن عن الزينة.
(2) أختها: أي مسينا.
(3) ساخ: غاص.
(4) الهيفاء: الضامرة البطن، الرقيقة الخصر.
(5) مستطير الجنان: أي ذاهب القلب جزعا وإشفاقا.
(6) اللظى: حر النار واشتعالها.
(7) غصت أي امتلأت. وأتخم: امتلأ جوفه، من التخمة، وهي الامتلاء من الطعام.
(8) الكظة: البطنة وما يعتري الإنسان من الامتلاء من الطعام.
(9) ساكن القمم: يريد النسر، لأنه يسكن أعالي الجبال. والشم: العالية المرتفعة، الواحدة شماء. وحاط: حفظ ووقى. ويريد « بساكن القيعان»: ما يسكن قيعان البحر من الحيتان، كما يدل على ذلك ما سبق.

قد أغارا على أكف براها   بارئ الكائنات للإتقان (1)

كيف لم يرحما أناملها الغر   ولم يرفقا بتلك البنان (2)

لهف نفسي وألف لهف عليها   من أكف كانت صناع الزمان (3)

مولعات بصيد كل جميل   ناصبات حبائل الألوان (4)

حافرات في الصخر أو ناقشات   شائدات روائع البنيان

منطقات لسان كل جماد   مفحمات سواجع الأفنان (5)

ملهمات من دقة الصنع مالا   يلهم الشعر من دقيق المعاني

من تماثيل كالنجوم الدراري   يهرم الدهر وهي في عنفوان (6)

عجب صنعها وأعجب منه   صنعه تلك قدرة الرحمن (7)

(1) براها: خلقها. ويريد أكف أصحاب الفنون.

(2) البنان: الأصابع، الواحدة بنانة.

(3) الصناع: الحاذقة الماهرة في العمل.

(4) الحبائل: الأشراك. ويريد بقوله: «ناصبات حبائل الألوان» أن هذه الصور تتصيد القلوب والأنظار بما فيها من دقة وإتقان. ويحكى أن رفائيل المصور المعروف صور مرة عنقودا من العنب على حائط فخدع بها بعض الطيور، فمال إليه ينقر حبه.

(5) سواجع الأفنان: الحمائم التي تسجع، أي تغرّد. والأفنان: الأغصان، الواحدة فتن (بالتحريك). ويشير بالشطر الأول إلى ما تصنعه هذه الأيادي من التماثيل التي تقترب من الحقيقة حتى تكاد تنطق؛ وبالشطر الثاني إلى أيدي الموسيقيين البارعين.

(6) الدراري (بتشديد الياء، وخفف للشعر): جمع دري، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافي الشعاع. وعنفوان الشباب: أوله وريعانه.

(7) صنعه، أي صنع الله تعالى. يقول: إن هذه التماثيل مهما بولغ في إتقانها ودقتها فهي لا تبلغ صنع الله الذي أتقن كل شيء.

إيه «منسين» آنسي اليوم «بمبيـ ـي» فقد أوحشت بذاك المكان (1)
آنسي الدرة التي كانت الحلـ ـية في تاج دولة (الرومان)
غالها قبلك الزمان اغتيالا وهي تلهو في غبطة وأمان (2)
جاءها الأمر والسراة عكوف في الملاهي على غناء القيان (3)
بين صب مدله وطروب وخليع في اللهو مرخي العنان (4)
فانطووا كانطواء أهلك بالأمـ ـس وزالت بشاشة العمران
أنت (مسين) لن تزولي كما زا لت ولكن أمسيت رهن الأوان (5)
إن إيطاليا بنوها بناة فاطمئني ما دام في الحي باني
فسلام عليك يوم توليـ ـت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعوديـ ـن كما كنت جنة الطليان
وسلام من كل حي على الأر ض على كل هالك فيك فاني
وسلام على الألي أكل الذئـ ـب وناشت جوارح العقبان (6)
وسلام على امرئ جاد بالدمـ ـع وثنى بالأصفر الرنان (7)
ذاك حق الإنسان عند بني الإنـ ـسان لم أدعمك إلى إحسان
فاكتبوا في سماء (ردجو) و(مسيـ ـنا) و(كالبريا) بكل لسان
ها هنا مصرع الصناعة والتصـ ـير والحذق والحجا والأغاني (8)

(1) بمبيي: مدينة قديمة من إيطاليا الجنوبية تبعد اثنى عشر ميلا عن نابلي إلى الجنوب الشرقي وموقعها بجوار جبل فيزوف؛ وقد حدث فيها زلزلتان قد خربتا قسما منها في سنة 63م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر، ثم خربت

بالمواد المنقذفة في 24 آب سنة 79، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة، طامسة الذكر، حتى استكشفت أخيرا.

(2) غالها: أهلكها.

(3) يريد «بالأمر»: الهلاك والفناء. والسراة: جمع سري (بفتح السين وتشديد الياء)، وهو الرفيع القدر من الناس. والقيان: المغنيات، الواحدة قينة.

(4) المدلة: الذاهب العقل من عشق ونحوه. والخليع: المتهتك. ومرخي العنان: الممدود له في حبل الشهوات.

(5) يريد «أمسيت رهن الأوان»: أنه سيأتي الوقت الذي يجدد الشعب فيه عمارتك، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فتصبحين كما كنت، كما يدل عليه البيت الذي بعده.

(6) ناشت: نهشت.

(7) الأصفر الرنان: الذهب؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد. (8) الحجا: العقل.

براعة غناء

قالها في جاك رومانو المغني الإسرائيلي المعروف (1)

[نشرت في 15 نوفمبر سنة 1908م]

ارحمونا بني اليهود كفاكم ما جمعتم بحذقكم من نقود
واصفحونا عن عقولنا ودعوا الخلـ ـق بسر التوراة والتلمود (2)
لا تزيدوا على الصكوك فخاخا من غناء ما بين دف وعود (3)
ويحكم إن (جاك) أسرف حتى زاد في قومه على (داود) (4)
أسكتوه لا أسكتن الله ذاك الـ الصوت صوت المتيم الغريد (5)
أو دعوه، فداؤه إن تغنى كل نفس وكل مافي الوجود

(1) جاك رومانو: يهودي من أهالي الإسكندرية، كان من رجال المال، يعمل عملا رئيسيا في أحد المصارف، وكان حسن المنادمة والغناء، ظريف الشمائل، وكان صديقا حميما للمرحوم عبده الحامولي.

(2) التلمود: سفر ديني لليهود نما في القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحي، وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس. (3) الصكوك: وثائق الديون التي اشتهر بها اليهود.

(4) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت، ولما اشتهرت به مزاميره من الترنم بها وترتيلها.

(5) الغريد: المغرّد.

وقال فيه أيضا:

[نشرت في 15 نوفمبر سنة 1908م]

يا (جاك) إنك في زمانك واحد ولكل عصر واحد لا يلحق
إن الألى قد عاصروك وفاتهم أن يسمعوك كأنهم لم يخلقوا
قد جاء (موسى) بالعصا وأتيتنا بالعود يشدو في يديك وينطق (1)
فإذا ارتجلت لنا الغناء فكلنا مهج تسيل وأنفس تحترق
فمطالب بإعادة ومطالب بزيادة ومهلل ومصفق
تتسابق الأسماع صوبك كلما غنيتها شوقا إليك وتعنق (2)
وتود أفئدة هتكت شغافها لو أنها بذيولها تتعلق (3)
خلق كما شاء الجليس وشيمة يذكوبها صدر الندى ويعبق (4)
ومروءة لو أنها قد قسمت بين اليهود لأحسنوا وتصدقوا

(1) موسى، هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام، ومعجزته في عصاه مشهورة ورد ذكرها في القرآن.

(2) صوبك: جهتك. وتعنق: تسرع.

(3) بذيولها، أي الأسماع. وشغاف القلب: غلافه.

(4) الندى: مجلس القوم. ويذكو و يعبق، أي يطيب ويتعطر.

نادي الألعاب الرياضية

أنشدها في ليلة أحياها نادي الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

[ليلة السبت 8 أبريل سنة 1916م]

بنادي الجزيرة قف ساعة — وشاهد بربك ما قد حوى
ترى جنة من جنان الربيع — تبدت مع الخلد في مستوى (1)
جمال الطبيعة في أفقها — تجلى على عرشه واستوى (2)
فقل للحزين وقل للعليل — وقل للملول: هناك الدوا
وقل للأديب: ابتدر ساحها — إذا ما البيان عليك التوى (3)
وقل للمكب على درسه — إذا نهك الدرس منه القوى (4)
تنسم صباها تجدد قواك — فأرض الجزيرة لا تجتوي (5)
ففيها شفاء لمرضى الهموم — وملهى كريم لمرضى الهوى
وفيها وفي نيلها سلوة — لكل غريب رمته النوى (6)
وفيها غذاء لأهل العقول — إذا الرأس إثر كلال خوى (7)

(1) تبدت: ظهرت.
(2) تجلى: ظهر. واستوى، أي استقر.
(3) الساح: جمع ساحة. والتوى: صعب واستعصى.
(4) المكب على درسه: المقبل عليه المجتهد فيه.
(5) لا تجتوى، أي لا تكره الإقامة فيه.
(6) النوى: البعد.
(7) الكلال: الإعياء والتعب. وخوى: خلا.

ويارب يوم شديد اللظى روى عن جهنم ما قد روى (1)
به الريح لفاحة للوجوه به الشمس نزاعة للشوى (2)
قصدت الجزيرة أبغى النجاة وجسمي شواه اللظى فاشتوى
فألفيت ناديها زاهرا وألفيت ثم نعيما ثوى (3)
فأنزلني منزلا طيبا وروى فؤادي حتى ارتوى
وأطفأ وارف تلك الظلال سعير الهجير وحر الجوى (4)
وحل الأصيل عقال الشمال فهبت بنشر إليها انضوى (5)
فأحيت بنفسي ذكرى الشباب وما كان منها ومنه انطوى (6)
وعاود قلبي ذاك الخفوق وقد كان بعد المشيب ارعوى (7)
فما بال قومي لا يأخذون لتلك الجنان طريقا سوا (8)
ومال بال قومي لا ينزلون بغير (جربي) و(بار اللوا) (9)

(1) اللظى: شدة الحر.

(2) لفاحة للوجوه: محرقة لها مغيرة لألوانها. والشوى: اليدان والرجلان وقحف الرأس. وكنى بقوله «نزاعة للشوى»: عن شدة الحر. يشير إلى قوله تعالى في وصف جهنم: (كلا إنها لظى نزاعة للشوى).

(3) ثوى بالمكان: أقام به.

(4) الوارف من الظلال: ما اتسع وامتد منها. والهجير: شدة الحر. والجوى: الحزن والحرقة وشدة الوجد.

(5) الأصيل: وقت العشي. يقول: إن ريح الشمال انطلقت في هذا الوقت. والنشر: الرائحة الطيبة. وانضوى: إليها وامتزج بها.

(6) الضمير في «منها» للذكرى؛ وفي «منه» للشباب

(7) ارعوى عن الأمر: رجع عنه وكف.

(8) طريقا سوا (بفتح السين والقصر)، أي سواء (بالمد) بمعنى المستوي الذي لا عوج فيه.

(9) جربي، وبار اللوا: مقهيان معروفان في القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس.

تراهم على نردهم عكفا   يبادر كل إلى ما غوى (1)
ولو أنصفوا الجسم لاستظهروا   له بالمران وطيب الهوا (2)
فيا ناديا ضم أنس النديم   ولهو الكريم وقيت البلى
لياليك أنس جلاها الصفا   فأسرت إليك وفود الملا (3)
فكم ليلة طاب فيك الحديث   فكان الكئوس وكان الطلا (4)
فمن مشجهات إلى مطربات   إلى مضحكات تسلى، إلى... (5)
وقد زان لهوك ثوب الوقار   فلهوك في كل ذوق حلا
تخف إليه رزان الحجا   وتمشي إليه السراة الأولى (6)
فقل للذي بات تحت العقود   بحرب على نفسه مبتلى (7)
أتلك الأماكن لا تستراد   أتلك المناظر لا تجتلى؟ (8)
أتحت السماء وبدر السماء   وبين الرياض وبين الخلا
يمل الجلوس ويفنى الحديث   فهذا النعيم وإلا فلا؟

(1) النرد، هو اللعبة المعروفة بالطاولة.

(2) استظهروا، أي استعانوا. و«له» أي لأجله. والذي وجدناه في كتب اللغة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع في كلام أهل العصر.

(3) الإسراء والسرى: السير بالليل.

(4) الطلاء: (بالمد، وقصر للضرورة): الخمر؛ شبه به طيب الحديث.

(5) إلى، أي إلى غير ذلك من أنواع اللهو.

(6) الرزان: جمع رزين. يريد العقول الراجحة. وتخفف له، أي إلى ما في هذا النادي من لهو ومتاع. وسراة القوم: ذوو الأقدار الرفيعة، الواحد سرى (يفتح السين وتشديد الياء). والألى، أي الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغاًعظيماً، فحذف الشاعر الصلة للعلم بها.

(7) العقود: نوع من الأبنية معروف في مصر؛ ومنه ما يسمى بالبواكي؛ وكان بعض أصحاب المقاهي يتخذون تحتها مقاعد للناس.   (8) تستراد: تبتغي وتطلب.

سألت الألى يقدرون الحياة ... ألم تفتتنكم؟ فقالوا: بلى
مكان لعمرك ماحل في ... نواحيه في الحزن إلا سلا
فما أنت في مصر إن لم تطر ... إليه فتشهد تلك الحلى
له ملعب فيه ما يشتهى ... محب الرياضة مهما غلا
لكل فريق به لعبة ... تلائم من سنه ماخلا (1)
ولعب هو الجد لو أننا ... نظرنا إليه يعين النهى
لدى غير (مصر) له حظوة ... فكم راح يلهو به من لها
وفي أرض (يونان) شاهدته ... فأي جمال إليه انتهى
وشاهدت موسمه قد حوت ... نواحيه غاية ما يشتهى
وماج بزواره المولعين ... وأضحى بعرش الملوك ازدهى (2)
وقد زاد ألعلبه بهجة ... مكان فسيح معد لها
صراع وعدو بعيد المدى ... ووثب يكاد ينال السهى (3)
وشاهدت عداءهم قد عدا ... ثلاثين ميلا وما إن وهي (4)
وقامت ملاكمة اللاعبين ... فأنست تناطح وحش المها (5)
بأوحى من اللمح كان النزال ... فيا ويل من منهما قد سها (6)

(1) ما خلا، أي ما مضى من عمره.
(2) ازدهى: افتخر واختال.
(3) العدو: الجرى. والسها: كوكب خفي لشدة بعده.
(4) عدا: جرى. ووهي: ضعف.
(5) المها: بقر الوحش، الواحدة مهاة.
(6) أوحى من اللمح، أي أسرع منه. والوحي (بالألف المقصورة، والحاء بالمد): السرعة. ومنهما، أي من المتلاكمين.

ولو رحت أ،عت تلك الضروب لضاق القريض وأعيا بها (1)

على أن في أفقنا نهضة ستبلغ رغم القعود المدى

إن لم تكن بلغت أوجها كذا كل شيء إذا ما ابتدا (2)

ونادى الرياضة أولى بأن يكون عليها منار الهدى (3)

أظلت جلائل أعماله ظلال (حسين) حليف الندى (4)

مليك رعاه بإقباله وحسن عنايته والجدا (5)

ففي عهده فليجد المجد فإن السعود به قد بدا

(1) الضروب: أنواع اللعب.

(2) أوجها، أي غاية ما تسمو إليه.

(3) عليها، أي على تلك النهضة السابق ذكرها.

(4) يريد المغفور له السلطان حسين كامل. والندى: الجود.

(5) الجدا: العطاء.

رحلته إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة 1923م]

عاصف يرتمي وبحر يغير | أنا بالله منهما مستجير (1)
وكأن الأمواج، وهي توالى | محنقات، أشجان نفس تثور (2)
أزبدت، ثم جرجرت، ثم ثارت | ثم فارت كما تفور القبور (3)
ثم أوفت مثل الجبل على الفلـ | ـك وللفلك عزمة لا تخور (4)
تترامى بجؤجؤ لا يبالي | أمياه تحوطه أم صخور؟ (5)
أزعج البحر جانبيها من الشد | فجنب يعلو وجنب يغور
وهو آنا ينحط من علو كالسيـ | ـل وآنا يحوطها منه سور (6)
وهي تزور كالجواد إذ ما | ساقه للطعان ندب جسور (7)
وعليها نفوسنا خائرات | جازعات كادت شعاعا تطير (8)
في ثنايا الأمواج والزبد المنـ | ـدوف لاحت أكفاننا والقبور (9)

(1) يرتمي: يشتد في هبوبه.

(2) توالى، أي تتوالى. ومحنقات: غاضبات. وتثور: تهيج.

(3) أزبدت: قذفت بالزبد (بالتحريك)، وهو الرغوة التي تعلو الماء عند فورانه. وجرجرت: صوتت.

(4) أوفى عليه: أشرف. وتخور: تضعف.

(5) تترامى، أي الفلك؛ وهو يذكر ويؤنث. وجؤجؤ السفينة: صدرها.

(6) ضمير وهو، والهاء، في قوله: «منه» للبحر. ومن علو (مثلث الواو)، أي من أعلى.

(7) تزور: تنحرف وتميل. والندب: الماضي الخفيف في الحاجة.

(8) طارت نفسه شعاعا، أي ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه.

(9) يقال: ندف القطن يندفه، وذلك إذا ضربه بالمندف ليرق. وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المندوف.

مر يوم وبعض يوم علينا   والمنايا إلى النفوس تشير
ثم طافت عناية الله بالفلـ   ـك فزالت عمن تقل الشرور (1)
ملكت دفة النجاة يد اللـ   ـه فسبحان من إليه المصير
أمر البحر فاستكان وأمسى   منه ذاك العباب وهو حصير (2)
أيها البحر لا يغرنك حول   واتساع وأنت خلق كبير (3)
إنما أنت ذرة قد حوتها   ذرة في فضاء ربي تدور (4)
إنما أنت قطرة في إناء   ليس يدري مداه إلا القدير (5)
ايه (اسبيريا) فدتك الجواري   منشآت كأنهن القصور (6)
يا عروس البحر إنك أهل   أن تحليك بالجمان البحور (7)
فالبسي اليوم من ثنائي عقدا   تشتهيه من الحسان النحور
إيه إيطاليا عدتك العوادي   وتنحى عن ساكنيك الثبور (8)
فيك يا مهبط الجمال فنون   ليس فيها عن الكمال قصور

(1) تقل: تحمل.
(2) استكان: سكن وخضع. والعياب: الموج. وهو حصير، أي مستوي السطح كالحصير.
(3) الحول: القوة.
(4) أي أن البحر ذرة من الكرة الأرضية التي هي ذرة في الفضاء.
(5) مداه، أي مدى الإناء. ويريد «بالإناء» الكون.
(6) اسبيريا: اسم الباخرة التي أقلت الشاعر إلى إيطاليا. والجواري: السفن، الواحدة جارية.
(7) الجمان: اللؤلؤ، الواجدة جمانة. وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار في أجوافها.
(8) عدتك العتوادي: جاوزتك النوائب وتخطتك. والثبور: الهلاك.

ودمي جمع المحاسن فيها صنع الكف عبقري شهير (1)
قد أقيمت من الجماد ولكن من معاني الحياة فيها سطور
فهي تبدو من الملائك يكسو ها جمال على حفافيه نور (2)
أمرت بالسكون من جانب الحق بدنيا فيها الأحاديث زور
ارضهم جنة وحور وولدا ن كما تشتهي وملك كبير
تحتها – والعياذ بالله – نار وعذاب منكر ونكير (3)
إن يوما كيوم (ردجو) و(مسيـ ـنا)و(كالبريا) ليوم عسير (4)
ساعة منه تهلك الحرث والنسـ ـل وتمحو ما سطرته الدهور(5)
ذاك (فيزوف) قائما يتلظى قد تعالى شهيقه والزفير (6)
ينذر القوم بالرحيل ولكن ليس يغني مع القضاء النذير (7)
وكذلك الأوطان مهما تجنت ليس للحر عن حماها مسير

(1) يريد «بالدمي»: التماثيل، الواحدة دمية. وصنع الكف (بالتحريك): حاذق بصنعته. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التي تنطق بمهارة صناعها وحذفهم.

(2) على حفافيه: على جانبيه.

(3) منكر ونكير: ملكان قيل إنهما يفتنان الميت في قبره؛ وهما مثلان في الفزع والرعب. ويشير بهذا البيت إلى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود البراكين وكثرة الزلازل بها.

(4) يريد بيوم ردجو ومسينا: يوم الزلزال الذي وقع في هذين البلدين انظر القصيدة السابقة في زلزال مسينا.

(5) الحرث: الزرع.

(6) فيزوف: بركان بإيطاليا معروف.

(7) أي أن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير للقوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به، ولكن إذا حم القضاء فلا تغني النذر.

شمسهم غادة عليها حجاب فهي شرقية حوتها الخدور (1)
شمسنا غادة أبت أن توارى فهي غربية جلاها السفور (2)
جوهم في تقلت واختلاف غير أن الثبات فيهم وفير
جونا أثبت الجواء ولكن ليس فينا على الثبات صبور (3)
ولديهم من الفنون لباب ولدينا من الفنون قشور
أنكر الوقف شرعهم فلهذا كل ربع بأرضهم معمور (4)
ليس فيها مستنقع أو جدار قد تداعى أو مسكن مهجور (5)
كل شبر فيها عليه بناء مشخمر أو روضة أو غدير (6)
قسموا اليوم بين لهو وجد في مدى اليوم قسمة لا تجور
كلهم كادح بكور إلى الرز ق ولاه إذا دعاه السرور (7)
لا ترى في الصباح لاعب نرد حوله للرهان جم غفير
لا ولا باهلا سلم النواحي للقهاوي رواحه والبكور (8)

(1) الغادة: المرأة الناعمة اللينة. وشرقية، أي أمرأة شرقية؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس في بلادهم من الضباب والغيم.

(2) غريبة، أي امرأة غريبة. ويشير إلى صحو الجو وصفائه من الغيم في بلاد الشرق. (3) الجواء: جمع جو.

(4) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف في مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها. وكان للشاعر كلمة مأثورة في هذا، وهي: «بيوت الوقف كالجدري في وجه المدنية».

(5) تداعى: تهدم. (6) مشمخر: مرتفع.

(7) الكادح: الساعي المجد في طلب الرزق. والبكور (بفتح الباء): المبكر.

(8) الباهل: المتردد بلا عمل. وسليم النواحي، أي صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل. وإطلاق «القهوة» على المكان الذي تشرب فيه: مجاز، كإطلاق النار على جهنم.

لم يحل بينهم وبين الملاهي   أو شئون الحياة جو مطير (1)
لا يبالون بالطبيعة حنت   أم تجنت أم احتواها النعور (2)
عصفت فوقهم رياح عوات   أم أجازت بهم صباً أم دبور (3)
قد أعدوا لحادثات الليالي   عدة لا يحوزها التقدير
نضروا الصخر في رءوس الرواسي   ولدينا في موطن الخصب بور (4)
قد وقفنا عند القديم وساروا   حيث تسري إلى الكمال البدور
والجواري في النيل من عهد (نوح)   لم يقدر لصنعها تغيير
ولع القوم بالنظافة حتى   جن فيها غنيهم والفقير
فإذا سرت في الطريق نهارا   خلت أني على المرايا أسير
افرط القوم في النظام وعندي   إن فرط النظام أسر ونير (5)
ولذيذ الحياة ما كان فوضى   ليس فيها مسيطر أو أمير

(1) يريد بهذا البيت أن الأمطار في البلاد مهما غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم لما لديهم من الوسائل التي تجعل ذلك من الأمور المألوفة. ويشير الشاعر إلى المقارنة بين ما لديهم من تلك الوسائل وما لدينا.

(2) النعور: الريح التي تفاجئك بحر وأنت في بدر، أو ببرد وأنت في حر.

(3) العواتي من الرياح: الشديدة العصف، التي جاوزت حد هبوبها. وأجازت بهم، أي مرت بهم. وفي كتب اللغة أن أجاز وجاز، كلاهما بمعنى جاوز. ومنه حديث المسعى «لاتجيزوا البطحاء إلا شدا» أي لا تجوزوا. والصبا: ريح الشمال، وتقابلها الدبور، وهي ريح الجنوب.

(4) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أمم الغرب من دؤوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا الصخور في رؤوس الجبال التي لا تنبت شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النباتات، عكس ما لدينا من كسل وتواكل جعلا أرضنا الخصبة مقفرة من الزرع.

(5) النير: الخشبة المعترضة في عنقي الثورين بأداتها.

فإذا ما سألتني قلت عنهم أمة حرة وفرد أسير (1)

ذاك رأيي هل أشارك فيه إنه قول شاعر لا يضير

في جبال التيرول إن أقبل الصيـ ـف نعيم وإن مضى زمهرير (2)

أذكرتني ما قاله عربي طارقي امسى احتواه (شيلر): (3)

حل ترك الصلاة في هذه الأر ض وحلت لنا عليها الخمور

إن صدر السعير أحني علينا من (شلير) وأين منا السعير

قد بلوت الحياة في الشرق والغر ب فما في الحياة أمر يسير

من ثواء فيه الملال لزام أو رحيل فيه العناء كثير (4)

(1) يشير بقوله: وفرد أسير، إلى كثرة ما سنوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد في نواحي الحياة ولا تجعلهم مطلقي الحرية.

(2) التيرول: إقليم جبلي من جبال الألب يقع في الشمال الشرقي من إيطاليا.

(3) طارقي: نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس. وشيلر (بلفظ التصغير) جبل بالأندلس من أعمال البيرة، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا. وفي هذا البيت سناد حذو، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف، والردف: حرف مد قبل الروى. ويشير بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد:

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الحميا وهو شيء محرم

فرارا إلى نار الجحيم فإنها أخف علينا من شلير وأرحم

إذا هبت الريح الشمال بأرضكم فطوبى لعبد في لظى يتنعم

أقول ولا أنحى على ما أقوله كما قال قبلي شاعر متقدم

فإن كان يوما في جهنم مدخلي ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات في البيتين الآتيين.

(4) الثواء: الإقامة.

حريـق

قال هذه الأبيات في حريق رآه بمنزل عبد الله أباظة بك

عجب الناس منك يا بن سليما ن وقد أبصروا لديك عجيبا
أبصروا في حماك غيثاً وناراً ذاك يهمي وتلك تذكو لهيبا (1)
ونسوا أن جود كفك غيث ظل للمرتجى الورود قريبا
وهي ضيف أصابه عنت الدهـ ـر وألفى هذا الفناء رحيبا (2)
فأتى يبرد الغليل بقطر من ندى سيد يواسي الغريبا (3)

(1) يهمى: ينصب. ويريد «بالغيث»: كرم الممدوح. وتذكو: تضطرم وتشتعل.
(2) هي، أي النار. والعنت: الشدة والمشقة. والفناء (بكسر الفاء): ساحة البيت
(3) الغليل: شدة العطش.

خنجــر مكـبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله حينما هم باغتيال ابن عمع دانكان الملك ليخلفه في ملكه؛ ويصف تردده أولا ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد:

كأني أرى في الليل نصلا مجردا   يطير بكلتا صفحته شرار (1)

تقلبه للعين كف خفية   ففيه خفوق تارة وقرار (2)

يماثل نصلي في صفاء فرنده   ويحكيه منه رونق وغرار (3)

أراه فتدنيني إليه شراستي   فينآى وفي نفسي إلأيه أوار (4)

وأهوى بزندي طامعاً في التقاطه   فيدركه عند الدنو نفار (5)

تخبطني مس من الجن أم سرت   بأجزاء نفسي نشوة وخمار (6)

أراني في ليل من الشك مظلم   فياليت شعري هل يليه نهار؟

سأقتل ضيفي وابن عمي ومالكي   ولو أن عقبى القاتلين خسار

وأرضي هوى نفسي وإن صح قولهم   هوى النفس ذل، والخيانة عار

فأيها النصل الذي لاح في الدجى   وفي طي نفسي للشرور مثار (7)

(1) نصل السيف: حده. والمجرد من السيوف: المسلول من غمده.

(2) الخفوق: الاضطراب. والقرار: الاستقرار.

(3) فرند السيف: جوهره وماؤه الذي يترقرق في صفحته؛ وهو فارسي معرب. وغرار السيف (بالكسر): حده. والمعنى أن هذا الخنجر يشبه خنجري في لمعانه وبريقه ومضاء حده.

(4) الشراسة: الحدة وسوء الخلق. وينأى: يبعد. والأوار: شدة العطش.

(5) الزند من الذراع: ما فوق المرفق. والنفار (بكسر النون) والنفور(بضمها) كلاهما بمعنى واحد.

(6) يقال: تخبطه الشيطان، أي مسه بأذى أو جنون. والنشوة: السكر. وخمار الخمر: ما خالفك من سكرها.

(7) مثار، أي مكان لثوران الشر، يجوز أن يراد به المصدر، أي ثورة الشر واهتياجه.

ترى خدعتني العين أم كنت مبصرا   وهذا دم، أم في شباتك نار؟ (1)
وهل أنت تمثال لكيد نويته   وهذا الدم الجاري عليك شعار؟ (2)
فإن لم تكن وهما فكن خير مسعد   فإني وحيد والخطوب كثار (3)
وكن لي دليلا في الظلام وهاديا   فليلي بهيم والطريق عثار (4)
على الفتك يا (دكنان) صحت عزيمتي   وإن لم يكن بيني وبينك ثار
فإن يك حب التاج أعمى بصيرتي   فما لي على هذا القضاء خيار
أعرني فؤادا منك يا دهر قاسيا   لو ان آن القلوب القاسيات تعار
ويا حلم قاطعني ويا رشد لا تثب   ويا شر مالي من يديك فرار (5)
ويا ليل أنزلني بجوفك منزلا   يضل به سرب القطا ويحار (6)
وإن كنت ليل (المانوية) فليكن   على سر أهل الشر منك ستار (7)
ويا قدمي سيري حذارا وخافتي   من المشي لو ينجى الأثيم حذار (8)
وقفت بجوف الليل وقفة ساحر   له الجن أهل والمكايد دار

(1) شباة السيف: حده.   (2) الشعار: العلامة.

(3) الكثار (بضم الكاف): الكثير. يقول: إن كنت أيها الخنجر خنجرا حقيقيا فأعني على ما همست به من قتل ابن عمي، فإني وحيد لا أقوى على احتمال هذه المصائب المحيطة بي.

(4) العثار: الشر.   (5) لا تثب، أي لا ترجع.

(6) سرب القطا: جماعة الحمام: خص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل في الهداية. يطلب إلى الليل أن يستره ظلامه حتى يهتدي أحد إلى خيانته وغدره.

(7) أضاف الليل إلى المانوية، وهي الطائفة المنسوبة إلى ماني، لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر، والنهار إله الخير، قال أبو الطيب المتنبي: وكم لظلام الليل عندك من يد   تخبر أن المانوية تكذب

يقول: إن كنت أيها الليل إلها للشر كما تزعم المانوية، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم.

(8) خافتي من المشي، أي خففيه وخفضي من صوته حتى لا يسمعه أحد.

إذا اشتمل الليل البهيم على الورى   تجرد للإيذاء حيث يثار (1)
فمالي كأني فاتك ذو عشيرة   خيارهم تحت الظلام شرار (2)
إذا ما عوى ذئب الفلا هب جمعهم   إلى الشر واستلب ظبا وشفار (3)

طـول الليـــل

يا ساهد النجم هل للصبح من خبر   إني أراك على شيء من الضجر (4)
أظن ليلك مذ طال المقام به   كالقوم في مصر، لا ينوي على سفر (5)

وقال في هذا المعنى أيضا (6)

أقضيه في الأشواق إلا أقله   بطيء سرى أبدي إلى الليث ميله (7)
وليس اشتياقي عن غرام بشادن   ولكنه شوق امرئ فات أهله (8)
فيالك من ليل أعرت نجومه   توقد أنفاسي وعانيت مثله (9)
ومل كلانا من أخيه وهكذا   إذا طال عهد المرء بالشيء مله

(1) البهيم: الشديد الظلمة. وتجرد للإيذاء: انبعث إليه وأسرع نحوه.ويثار: يهاج، أي أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء.

(2) يريد بهذه العشيرة: جماعة من اللصوص وقطاع الطرق وسفاكي الدماء.

(3) عوى: صوت. والفلا: الصحاري، الواحدة فلاة. واستلت: أخرجت من غمدها. والظبا: جمع ظبة (بضم ففتح)، وهي حد السيف. والشفار: السكاكين، الواحدة شفرة.

(4) الساهد: الساهر.

(5) يريد «بالقوم»: الإنجليز. ولا ينوي، أي الليل. شبه الليل بجيش الاحتلال في مصر في طول الإقامة، وعدم ظهرو أمارات تدل على الجلاء.

(6) أشير في الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات، ولم نقف نحن أيضا على بقيتها.

(7) اقضيه أي اقضي الليل. واللبث: المكث.   (8) الشادن: ولد الظبية. والمراد هنا: المليح.

(9) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه، وفي قلبه من الوعة والشوق مثل هذا التوقد.

الشعـــر

ضعت بين النهى وبين الخيال ... يا حكيم النفوس يابن المعالي (1)
ضعت في الشرق بين قوم هجود ... لم يفقيوا وأمة مكسال (2)
قد أذالوك بين أنس وكأس ... وغرام بظبية أو غزال (3)
ونسيب ومدحة وهجاء ... ورثاء وفتنة وضلال (4)
وحماس أراه في غير شيء ... وصغار يجر ذيل اختيال (5)
عشت ما بينهم مذالا مضاعا ... وكذا كنت في العصور الخوالي (6)
حملوك العناء من حب (ليلى) ... و(سليمى) ووقفة الأطلال (7)
وبكاء على عزيز تولى ... ورسوم راحت بهن الليالي (8)
وإذا ما سموا بقدرك يوما ... أسكنوك الرحال فوق الجمال (9)
آن يا شعر أن نفك قيودا ... قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ... ودعونا نشم ريح الشمال

(1) النهى العقول، الواحدة: نهية (2) الهجود: النيام.

(3) أذالوك: أهانوك وأصغروا من شأنك.(4) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر.

(5) الصغار: الذل. ومعنى قوله: «صغار» إلخ أي أنهم تياهون وهم أذلاء.

(6) المذال: المهان.

(7) ليلى وسليمى: من الأسماء التي رددها الشعراء قديما وأكثروا فيها القول نسيبا وتشبيبا. والأطلال: ما بقي من آثار الديار، الواحد طلل (بالتحريك). وللشعراء في الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم وحبهم وحسرتهم على أيام خلت.

(8) الرسوم: آثار الديار.

(9) «أسكنوك الرحال» إلخ، أي وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك في أشعارهم. ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب في الشعر من ذكر العيس، ومناداة الأطلال؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا، فقد كانوا يصدون في ذلك عما يحيط بهم؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا.

خزان أسوان

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان ونقص فيه الفيضان

أنكر النيل موقف الخزان فانثنى قافلا إلى السودان (1)
راعه أن يرى على جانبيه رصدا من مكايد الإنسان (2)

معونة الدمع

يا من خلقت الدمع لطـ ـفا منك بالباكي الحزين
بارك لعبدك في الدمو ع فإنها نعم المعين

(1) القافل: الراجع.
(2) الرصد: الحافظ والحارس.

الخمريات

قال:

[نشرت في سنة 1900م]

هذا الظلام أثار كامن دائي	يا ساقي علي بالصهباء (1)
بالكاس أو بالطاس أو باثنيهما	أو بالدنان فإن فيه شفائي (2)
مشمولة لولا التقى لعجبت من	تحريمها والذنب للقدماء (3)
قربوا الصلاة وهم سكارى بعد ما	نزل الكتاب بحكمة وجلاء
يا زجة ان المزن يا أخت الهنا	يا ضرة الأحزان في الأحشاء (4)
يا طب (جالينوس) في أنواعه	مالي أراك كثيرة الأعداء (5)

(1) الصهباء: الخمر، سميت بذلك لصهبتها، أي حمرتها.

(2) الطاس: إناء معروف. وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان، ولو راعى اللفظ لأنثه، لأن الكأس والطاس مؤنثان. والدنان (بالكسر): جمع دن (بالفتح)، وهو الجرة العظيمة. وفيه، أي في الشرب.

(3) المشمولة: الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها؛ أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال. وفي جعله الذنب على القدماء إشارة على سبب التحريم، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون)، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرمها الله بقوله: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون). وقد بسط الشاعر هذا المعنى في البيت التالي.

(4) المزن (بالضم): السحاب. وابن المزن: الماء الذي ينزل منه، وجعل الخمر زوجة ابن المزن، لأنها تمتزج به. والضرة: الزوج الثانية، وجعلها ضرة الأحزان، لأنها لا تجتمع معها في قلب.

(5) كلوديوس جالينوس: طبيب وفيلسوف يوناني مشهور، ولد نحو سنة 130م، وتوفي نحو سنة 200م. وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية، فأكثر مؤلفوهم في الطب من الأخذ عنه.

عصروك من خدى سهيل خلسة ثم اختبأت بمهجة الظماء (1)
فلبثت فيها قبل نوح حقبة وتداولتك أنامل الآناء (2)
حتى أتاح الله أن تتجملي بيد الكريم وراحة الأدباء (3)
يا صاحبي كيف النزوع عن الطلا ولقد بليت من الهموم بداء (4)
والليل أرشده أبوه لشقوتي وكذا البنون على هوى الآباء (5)
ألفت بين ابن السحاب وبينها فرأيت صحة ما حكاه (الطائي): (6)
(صعبت وراض المزج سيئ خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء) (7)

(1) سهيل، هو أجمل نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية، وهو كثير الاضطراب، ولونه يميل إلى الحمرة؛ قال المعرّي:
وسهيل كوجنة الحب في اللو ن وقلب المحب في الخفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم. ويريد بقوله: «ثم اختبأت» إلخ: حفظها في الدنان.
(2) الحقبة (بالكسر): الدهر. والآناء: جمع آن، وهو الحين والوقت، أي تعاقبت، أي تعاقبت عليك الأزمان حينا بعد حين. يصفها في هذا البيت بقدم العهد.
(3) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب، فهي تزداد في يديهما جمالا.
(4) النزوع: الكف والانتهاء. والطلاء (بكسر الطاء ومد الدال، وقصر للشعر): الخمر.
(5) أبو الليل: الدهر. يريد أن الدهر أوصى ابنه الليل بمحاربتي، فجرت الأبناء على سنن الآباء.
(6) ابن السحاب: المطر، أي أنه مزجها بالماء. والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف.
(7) راضه بروضه: ذلله وجعله لينا سهلا. يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها، فكأنها اكتسبت لينه ولطفه. وهذا البيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها يحي بن ثابت، ومطلعها:
فداك اتئد أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلحي بك الكاتب المعروف (1)

[نشرت في سنة 1900م]

أوشك الديك أن يصيح ونفسي	بين وهم وبين ظن وحدس (2)
يا غلام، المدام والكاس، والطا	س وهيىء لنا مكانا كأمس (3)
أطلق الشمس من غياهب هذا	الدن واملأ من ذاك النور كأسي (4)
وأذن الصبح أن يلوح لعيني	من سناها فذاك وقت التحسي (5)
وادع ندمان خلوتي وائتناسي	وتعجل واسبل ستور الدمقس (6)
واسقنا يا غلام حتى ترانا	لا نطيق الكلام إلا بهمس
خمرة قيل إنهم عصروها	من خدود الملاح في يوم عرس (7)
مذ رآها فتى العزيز مناما	وهو في السجن بين هم ويأس (8)

(1) انظر التعريف بمحمد بك المويلحي في الحاشية رقم 3 من ص 150.

(2) صياح الديك: كناية عن طلوع الفجر. والحدس: التخمين والتوهم. والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مضنون.

(3) المدام (بالنصب)، أي هات المدام.

(4) يريد «بالشمس»: الخمر، شبهها بها في اللون. والغياهب: جمع غيهب، وهي الظلمة.

(5) يريد في هذا البيت تشبيه لونها بضوء الصبح. والسنا: النور. وتحسى الشرب: شربه شيئا بعد شيء في مهلة.

(6) الندمان: جمع نديم. والدمقس: الحرير أو الديباج، ووصل الهمزة في قوله: «واسبل» لضرورة الوزن.

(7) شبه الخمر في حمرتها بحمرة خدود الحسان في يوم العرس، لأن خدودهن تكون في ذلك الحين أشد احمرارا بما عليها من أصباغ.

(8) العزيز: ملك مصر. وفتاه هو أحد الفتيين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام في السجن، وقد كان رأى في منامه أنه يعصر خمرا، وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقي ربه عزيز مصر خمرا، فما لبث أن خرج من السجن، وجعله العزيز صاحب شرابه. ويريد بهذا البيت والذي بعده أن رؤيا الخمر في المنام أسعدت فتى العزيز بالنجاة وبخدمته للملك بعد ما كان فيه من يأس ونحس؛ فكيف لو كان شربها.

أعقبته الخلاص من بعد ضيق وحبته السعود من بعد نحس

يا نديمي بالله قل لي لماذا هذه الخندريس تدعى برجس (1)

هي نفس زكية وأبوها غرسه في الجنان أكرم غرس (2)

هي نفس تعلمت حسن أخلا ق (المولحي) في صفاء وأنس

خصه الله حيث يصبح بالإقـ ـبال، والعز، والعلا، حيث يمسى

مجلس شراب

وفتيان أنس أقسموا أن يبددوا جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح

فهبوا إلى خمارة قيل إنها قعيدة خمر تمزج الروح بالراح (3)

وقالوا لها: إنا أتينا على ظما نحاول ورد الراح رغما عن اللاحي (4)

فقامت وفي أجفانها كسل الكرى وفي ردفها واستعرضت جيش أقداح (5)

وقال أيضا:

مرت كعمر الورد بينا اجتلى اصباحها إذ آذنت برواح (6)

لم أقض من حق المدام ولم أقم في الشاربين بواجب الأقداح

(1) الخندريس: الخمر القديمة. والرجس: النجس.

(2) زكية: طاهرة. وأبو الخمر: الكرم. يريد أن أصلها أكرم الأشجار في الحدائق.

(3) الخمارة: بائعة الخمر. ويريد بكونها «قعيدة خمر»: إنها ملازمة لها لا تفارقها. والراح: الخمر.

(4) الظما: الظمأ (بالهمز). واللاحي: اللائم.

(5) الكرى: النعاس. والردف: العجز.

(6) اجتلى الشيء: نظر إليه. وآذنت: أعلمت. شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد في القصر.

والزهر يحتث الكئوس بلحظة ويشوبها بأريجه الفياح (1)
أخشى عواقبها وأغبط شربها وأجيد مدحتها في المداح (2)
وأميل من طرب إذا مالت بهم فاعجب لنشوان الجوانح صاحي
أستغفر الله العظيم فإنني أفسدت في ذاك النهار صلاحي

وقال:

خمرة في (بابل) قد صهرجت هكذا أخبر حاخام اليهود (3)
أودعوها جوف دن مظلم ولديه بشروها بالخلود
سألوا الكهان عن شاربها وعن الساقي وفي أي العهود؟
فأجابوهم: فتى ذو مرة من بني مصر له فضل وجود (4)
مغرم بالعود والناي معا مولع بالشرب والناس هجود (5)
همه فصد دنان وندى وأبوه همه جمع النقود (6)

(1) يحنث: يحث. يقول: كأن الزهر بألحاظه يوحي إلى الشاربين والسقاة بالإسراع في إدارة الكئوس. وشاب الشيء يشوبه: خلطه. وأريج الزهر: نفحة ريحه.

(2) عواقبها، أي عواقب المدام؛ ويريد أنه لايشربها. والشرب: الشاربون.

(3) بابل: ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة، ينسب إليها الخمر والسحر. وصهرجت، يريد أنها حفظت في الصهاريج؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة؛ والذي وجدناه أن «الصهرجة» هي أن يطلى الحوض بالصاروج، وهي النورة؛ وليس هذا مرادا هنا. ويريد «بإخبار حاخام اليهود» أنها قد ورد ذكرها في الكتب القديمة؛ وفي هذا دليل على قدمها.

(4) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة): القوة والعزيمة.

(5) الهجود: النيام.

(6) قصد الدن: ثقبه وإهراق ما به من خمر، تشبيها له بفصد العرق.

ذكرى مجلس شراب

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه بمصر

فتية الصهباء خير الشاربين ... جددوا بالله عهد الغائبين
واذكروني عند كاسات الطلا ... إنني كنت إمام المدمنين (1)
وإذا ما استنهضتكم ليلة ... دعوة الخمر فثوروا أجمعين (2)
رب ليل قد تعاهدنا على ... ما تعاهدنا وكنا فاعلين
فقضيناه ولم نحفل بما ... سطرت أيدي الكرام الكاتبين (3)
بين أقداح وراح عتقت ... ورياحين وولدان وعين (4)
وسقاة صففت أكوابها ... بعضها البلور والبعض لجين (5)
آنست منا عطاشا كالقطا ... صادفت وردا وبه ماء معين (6)
فمشت بالكاس والطاس لنا ... مشية الأفراح للقلب الحزين
وتواثبنا إلى مشمولة ... ذات ألوان تسر الناظرين (7)

(1) الطلاء (بالكسر والمد، وقصر للشعر): الخمر.
(2) ثوروا: هبوا مسرعين.
(3) الكرام الكاتبون: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته.
(4) العين: جمع عينا، وهي الغادة الواسعة العين.
(5) اللجين: الفضة. ويلاحظ أن في هذا البيت عيبا من عيوب القافية يسمى (سناد الحذو)، وهو اختلاف حركة ما قبل الردف. والردف هو حرف المد الذي قبل الروى.
(6) القطا: جمع قطاة، وهي الحمامة. والورد: المورد. والمعين الجاري.
(7) المشمولة: الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو لأن بها عصفة كعصفة ريح الشمال.

عمد الساقي لأن يقتلها وهي بكر أحصنت منذ سنين (1)
ثم لما أن رأى عفتها خاف فيها رب العالمين (2)
وأجلنا الكاس فيما بيننا وعلى الصهباء بتنا عاكفين (3)
وشفينا النفس من كل رشا نطقت عيناه بالسحر المبين (4)
وطوى مجلسنا بعد الهنا وانشراح الصدر تكبير الأذين (5)
ليت شعري هل لنا بعد النوى من سبيل لقا أم لات حين (6)

(1) عمد له (من باب ضرب): قصد. ويقتلها، أي يمزجها بالماء؛ وأصله من قول حسان بن ثابت:
إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تتل

وأحصنت البكر: حافظت على عفتها؛ وإحصان الخمر هنا: بقاؤها في الدنان.
(2) كنى بعفة الخمر في هذا البيت عن إبائها المزج. يقول: إن الساقي لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء خاف فيها رب العالمين، أي لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا.
(3) أجلنا الكأس: أدرناها.
(4) الرشأ (بالهمز وسهل للشعر): ولد الظبية الذي قد تحرك ومشي؛ يريد المليح الحسن الجميل.
(5) الأذين: المؤذن.
(6) لات حين: أي ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه. ويلاحظ أن قواعد اللغة تقتضي ذكر (أو) مكان (أم) في هذه العبارة، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد (هل) إلا شذوذا، نحو: هل زيد عندك أم عمر؛ وإنما تذكر مع همزة الاستفهام في الأكثر.

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو:

[نشرا في 23 نوفمبر سنة 1900م]

يا أيها الحب امتزج بالحشى فإن في الحب حياة النفوس
واسلل حياة من يمين الردى أوشك يدعوها ظلام الرموس (1)

وقال ترجمة عنه أيضا:

[نشرا في سنة 1900م]

تمثلي إن شئت في منظر (يا جوليا) أنكر فيه الغرام (2)
أو فابعثي قلبا إلى أضلع راح به الوجد وأودى السقام (3)

وقال عنه أيضا:

[نشرا في 23 نوفمبر سنة 1900م]

غضي جفون السحر أو فارحمي متيما يخشى نزال الجفون
ولا تصولي بأقوام الذي تميس فيه يا مناي المنون (4)
إني لأدري منك معنى الهوى (يا جوليا) والناس لا يعرفون

(1) الرموس: القبور، جمع رمس. يقول: انقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت.
(2) يرغب في هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التي يحبها، وتتمثل في صورة أخرى ينكر فيها حبه غياها وغرامه بها، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى.
(3) أودى به: ذهب. (4) تميس: تتمايل وتتبختر. والمنون: الموت.

في جندي مليح

[نشرا في سنة 1906م]

ومن عجب قد قلدوك مهندا وفي كل لحظ منك سيف مهند (1)
إذا أنت قد جردته أو غمدته قتلت به واللحظ لا يتعمد (2)

وقال:

أنا العاشق العاني وإن كنت لا تدري أعيذك من وجد تغلغل في صدري (3)
خليلي هذا الليل في زيه أتى فقم نلتمس للسهد درعا من الصبر (4)
وهذا السرى نحو الحمى يستفزنا فهيا وإن كنا على مركب وعر
خليلي هذا الليل قد طال عمره وليس له غير الأحاديث والذكر
فهات لنا أذكى حديث وعيته ألذ به إن الأحاديث كالخمر (6)

وقال:

قالت الجوزاء حين رأت جفنه قد واصل السهرا (7)
ما لهذا الصب في وله أتراه يعشق القمرا (8)

(1) المهند: السيف.

(2) جردته: سللته من غمده. ولا يتعمد: لا يقصد القتل. ويرد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده.

(3) العاني: الأسير. وتغلغل: دخل وأوغل.

(4) في زيه، أي سواده.

(5) السرى: السير بالليل. ويستفزنا: يستخفنا. والوعر: الصعب.

(6) وعيته: حفظته

(7) الجوزاء: برج في السماء معروف.

(8) الوله: التحير من شدة الوجد.

وقال يتغزل في مليح ويعرض باحتلال الإنجليز:

ظبي الحمى بالله ما ضكا ... إذا رأينا في الكرى طيفكا (1)
وما الذي تخشاه لو أنهم ... قالوا فلان قد غدا عبدكا؟
قد حرموا الرق ولكنهم ... ما حرموا رق الهوى عندكا (2)
وأصبحت مصر مراحا لهم ... وأنت في الأحشا مراح لكا (3)
ما كان سهلا أن يروا نيلها ... لو أن في أسيافنا لحظكا (4)

يقين الحب:

أذنتك ترتابين في الشمس والضحى ... وفي النور والظلماء والأرض والسما (5)
ولا تسمحي للشك يخطر خطرة ... بنفسك يوما أنني لست مغرما

الخال

قالهما في مليح رأى خالا على غرته

سألته ما لهذا الخال منفردا ... واختار غرتك الغرا له سكنا (6)
أجابني: خاف من سهم الجفون ومن ... نار الخدود، لهذا هاجر الوطنا (7)

(1) الكرى: النعاس. والطيف: الخيال الطائف في المنام. (2) الضمير في «حرموا» للإنجليز.
(3) المراح (بضم الميم): المأوى والمنزل. ويجوز أن يقرأ بفتحها، بمعنى الموضع يروح القوم منه وإليه. ولهم، أي الإنجليز.
(4) أي لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف لحظك الفتاك من سيوفنا.
(5) أذنتك، أي أذنت لك. وترتابين، أي تشكين.
(6) الغراء (بالمد وقصر للشعر): البيضاء.
(7) يريد بالوطن (هنا): خده، لأن الخال أكثر ما يكون فيه.

رسائل الشوق

سور عندي له مكتوبة ... ود لو يسري بها الروح الأمين (1)
إنني لا آمن الرسل ولا ... آمن المتب على ما تحتوين
مستهين بالذي كابدته ... وهو لا يدري بماذا يستهين
أنا في هم ويأس وأسى ... حاضر اللوعة موصول الأنين

(1) الروح الأمين: جبريل عليه السلام.
(2) يريد بقوله: «وهو لا يدري» إلخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به.

الاجتماعيات

حريق ميت غمر(1)

(نشرت في 7 مايو سنة 1902م)

سائلوا الليل عنهم والنهارا ... كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الأ ... م وكيف اصطلى مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار ... يتداعى وأسقف تتجارى (2)
رب إن القضاء أنحى عليهم ... فاكشف الكرب واحجب الأقدارا
ومر النار أن تكف أذاها ... وملا الغيث أن يسيل انهمارا
أين طوفان صاحب الفلك يروي ... هذه النار؟ فهي تشكو الأوارا (3)
أشعلت فحمة الدياجي فباتت ... تملأ الأرض والسماء شرارا (4)
غشيتهم والنحس يجري يميناً ... ورمتهم والبؤس يجري يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض ... ثم غارت وقد كستهن قارا (5)

(1) شبت النار في مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية في (يوم الخميس أول مايو سنة 1902م) (22 محرم سنة 1302 هـ) وبقيت تأكل ما تأتي عليه في هذه المدينة حتى يوم 8 مايو؛ وهلك بسبب هذا الحريق كثيرون، ودمرت كثير من الدور والمحال، ولعظم النكبة تألفت جماعة من الأعيان، لتخفيف ويلات هذا المصاب، وتسابق أهل الخير فجادوا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛ وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة.

(2) طاح: هلك. وتداعى الجدار: انقض وتهدم. وتتجارى: تتسابق في السقوط.

(3) الفلك: السفينة. وصاحبها: نوح عليه السلام. والأوار: شدة الحرارة والعطش.

(4) فحمة الدياجي: ظلمة الليل، تشبيهاً لها بالفحم.

(5) القار: الزفت

أكلت دورهم فلما استقلت لم تغادر صغارهم والكبارا (1)

أخرجتهم من الديار عراة حذر الموت يطلبون القرارا

يلبسون الظلام حتى إذا ما أقبل الصبح يلبسون النهارا

حلة لا تقيهم البرد والحـ ـر عنهم ترد الغبارا

أيها الرافلون في حلل الوشـ ـي يجرون للذيول افتخارا (2)

إن فوق العراء قوماً جياعاً يتوارون ذلة وانكسارا (3)

أيهذا السجين لا يمنع السـ ـن كريماً من أن يقيل العثارا (4)

مر بإلف لهم وإن شئت زدها وأجرهم كما أجرت النصارى (5)

قد شهدنا بالأمس في مصر عرساً ملأ العين والفؤاد ابتهارا (6)

سال فيه النضار حتى حسبنا أن ذاك الفتى يجري نضارا(7)

بات فيه المنعمون بليل أخجل الصبح حسنه والنهارا

(1) استقلت، أي أعدت ما احرقته من الدور قليلاً

(2) رفل في ثوبه: اختال فيه وتبختر وحلل الوشي: الثياب المنقوشة.

(39 العراء: الفضاء. ويتوارون: يستترون.

(4) يريد بالسجين: المنشاوي باشا الثري المعروف، وكتن إذ ذاك مسجوناً لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموا بسرقة بعض المواشي من مزرعة سمو الخديوي عباس حلمي الثاني، حتى إذا إلى الإقرار بما سرقوا بتأثير العذاب؛ وكان ذلك في سنة 1902م. والعثار: الشر والمكروه. وإقالته: دفعه عمن نزل به.

(5)يشير إلى أن المنشاوي كان قد أجار كثيراً من الأوربيين وحماهم من أذى المصريين في الثورة العرابية وأنزلهم بيته.

(6) ابتهاراً: يزيد عجباً. ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة هذا اللفظ بهذا المعنى. وهذا العرس الذي يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدي فاضل بك من كريمة علي فهمي باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار علي فهمي باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء 30 إبريل سنة 1902 إلى ليلة الجمعة 2 مايو من السنة نفسها.

(7) الفناء: ساحة الدار.

يكتسون السرور طوراً وطوراً   في يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا في (ميت غمر) صياحاً   ملأ البر ضجة والبحارا
جل من قسم الخطوط فهذا   يتغنى وذاك يبكي الديارا
رب ليل في الدهر قد ضم نحساً   وسعوداً وعسرة ويسارا

إلى الأرض (1)

(بركان مارتنيك سنة 1902)

ألبسوك الدماء فوق الدماء   وأروك العداء بعد العداء (2)
فلبست النجيع من عهد قابيـ   ـل وشاهدت مصرع الأبرياء (3)
فلك العذر إن قسوت وإن خنـ   ـت وإن كنت مصدراً للشقاء
غلط الناس، ما غطى جبل النا   ر بإرسال نفثة في الهواء (4)
أحرجوا صدر أمه فأراهم   بعض ما أضمرت من البرحاء (5)

(1) المارتنيك، هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من الفهات البركانية. يشير شاعر الثوران البركاني الذي حدث فيها، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضحاياه، وذلك في 8 مايو سنة 1902.

(2) ألبسوك: يخاطب الأرض. ويشير بهذا البيت الذي بعده إلى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم إلى اليوم.

(3) النجيع: الدم. وقابيل: هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها في القرآن.

(4) نفثة جبل النار: ما يقذف به البركان من نيران.

(5) أمه، أي الأرض. ويريد بالبرحاء: نار الضغن والحقد.

اسطوها فصابرتهم زماناً ثم أنحت عليهم بالجزاء (1)
ايها الناس إن يكن ذاك سخط الـ أرض، ماذا يكون سخط السماء؟
إن في علو مسرحاً للمقاديـ ـر وفي الأرض مكمناً للقضاء (2)
فاتقوا الأرض والسماء سواء واتقوا النار في الثرى والفضاء

اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها

(نشرت في سنة 1903م)

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي وناديت قومي فاحتسبت حياتي (3)
رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي (4)
ولدت ولما لم أجد لعرائسي رجالاً وأكفاء وأدت بناتي (5)
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن بي به وعظات (6)
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

(1) صابرتهم، أي طاولتهم في الصبر. وأنحت عليهم بالجزاء: أقبلت عليهم به.
(2) في علو، أى في أعلى، وهو يكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها، يريد اسلماء.
(3) رجعت لنفسي، أي تأملت. والحصاة: الرأي والعقل. واحتسبت حياتي: عددتها عند الله فيما يدخر. يقول على لسان اللغة العربية: إنني عدت إلى نفسي وفكرت فيما آل إليه أمري، فأسأت الظن بمقدرتي، وكدت أصدق ما رموني به من القصور، وناديت الناطقين بي أن ينصروني فلم أجد منهم سميعاً، فادخرت حياتي عند الله.
(4) العداة: الأعداء. يقول: اتهموني بأني لا ألد على حين أني في ريعان شبابي. وليتني كما قالوا فلا يحزنني قولهم. وكني بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها.
(5) يريد "بالعرائس": الألفاظ المجلوة الحسنة. ووأد البنت: دفنها حية.
(6) الآي: جمع آية.

أنا البحر في أحشائه الدر كامن — فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني — ومنكم إن عز الدواء أساتي (1)

فلا تكلوني للزمان فإنني — أخاف عليكم أن تحين وفاتي (2)

أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة — وكم عز أقوام بعز لغات (3)

أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً — فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب — يناي بوادي في ربيع حياتي (4)

ولو تزجرون الطير يوماً علمتم — بما تحته من عثرة وشتات (5)

سقى الله في بطن الجزيرة أظماً — يعز عليها أن تلين قناتي (6)

حفظن ودادي في البى وحفظته — لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق — حياء بتلك الأعظم النخرات (7)

أرى طل يوم بالجرائد مرلقاً — من القبر يدنيني بغير أناةِ (8)

(1) الأساة: جمع الآسي، وهو الطبيب.

(2) تكلوني: تتركوني. وتحين: تحل.

(3) يقال: هو في منعة، أي في قوم يمنعونه ويحمونه.

(4) الناعب: المصوت بما هو مستكره. وربيع الحياة: أيام الشباب والقوة.

(5) زجر الطير، هو أن ترمي الطائر بحصاة أو تصيح به، فإن ولاك في طيرانه ميامنة تفاءلت به خيراً، وإن ولاك مياسرة تطيرت منه. والعثرة: السقوط. والشتات: التفرق. يقول: لو استنبأتم الغيب بزجر الطير، كما كان يفعل العرب، لعلمتم ما يجر دفني عليكم من السقوط والانحلال.

(6) القناة: الرمح. ولينها: كناية عن الضعف، ويرد "بالأعظ": من دفن في الجزيرة من العرب الأولين.

(7) النخوات: البالية المفتتة.

(8) المزلق: مكان الانزلاق، أي السقوط والزلل. والأناة: التأني والإبطاء. ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف.

واسمع للكتاب في مصر ضجة   فأعلم أن الصائحين نعاتي (1)
أيهجرني قومي – عفا الله عنهم –   إلى لغة لم تتصل برواة (2)
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى   لعاب الأفاعي في مسيل فرات (3)
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة   مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل   بسطت رجائي بعد بسط شكاتي (4)
فإما حياة تبعث الميت في البى   وتنبت في تلك الرموس رفاتي (5)
وإما ممات لا قيامة بعده   ممات لعمري لم يقس بممات

(1) النعاة: جمع نا ع، وهو المخبر بالموت.

(2) لم تتصل برواة، أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من التغيير كما هو الشان في العربية. ويشير إلى تلك اللغة المرقعةالتي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة.

(3) اللوثة (بالضم): عدم الإبانة. ولعاب الأفاعي: سمها. والفرات: الماء العذب.

(4) الشكاة: الشكوى.

(5) تبعث الميت: تحييه. والموس: القبر، الواحد رمس. والرفات: كل ما تكسر وبلى؛ يريد ما بقي من الجسد بعد الموت.

زواج الشيخ علي يوسف صاحب (المؤيد) (1)

لما ينعي فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه

(نشرت في سبتمبر 1904)

حطمت اليراع فلا تعجبي ... وعفت البيان فلا تعتبي (2)
فما أنت يا مصر دار الأديب ... ولا أنت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب ... أقال اليراع ولم يكتب (3)
فلا تعدليني لهذا السكوت ... فقد ضاق بي منك ما ضاق بي
أيعجبني منك يوم الرفاق ... سكوت الجماد ولعب الصبي؟
وكم غضب الناس من قبلنا ... لسلب الحقوق ولم نغضب

(1) كان بين المرحوم الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وبين السيج أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة وصداقة، فخطب الشيخ على انبته السيدة صفية، ورضيت الفتاة وسكت الأب، فعقد العقد في بيت البكري من غير علم الأب، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالباً فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب، ودافع الشيخ عن نفسه، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الأشراف، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزجين، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة 1904م. فاستأنف الزج الحكم أمام المجلس الابتدائي الشرعي في محكمة مصر الشرعية الكبرى، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة 1904م، وكان لهذه القضية ثورة في الرأي العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء.

(2) حطمت: كسرت. واليراع: القلم. وعاف الشيء يعافه: كرهه. والخطاب لمصر في هذ البيت وما يأتي بعده.

(3) أقال اليراع: أعفاه من أن يكتب به.

(4) يشير الشاعر "بيوم الوفاق" إلى الاتفاق الذي تم بين إنجلترا وفرنسا سنة 1904م، الذي أباح لفرنسا بعض امتيازات في مراكش في مقابل إطلاق يد الإنجليز في مصر.

أنابتة العصر إن الغريب مجدٌ بمصر فلا تلعبي (1)
يقولون: في النشء خير لنا وللنشء شر من الأجنبي
أفي (الأزبكية) مثوى للبنين وبين المساجد مثوى الأب؟(2)
(وكم ذا بمصر من المضحات) كما قال فيها (أبو الطيب)(3)
أمور تمر وعيش يمر ونحن ن اللهو في ملعب(4)
وشعب يفر من الصالحات فرار السليم من الأجرب
وصحف تطن طنين الذباب وأخرى تشن على الأقرب (5)
وهذا يلوذ بقصر الأمير ويدعوه إلى ظله الأرحب (6)
وهذا يلوذ بقصر السفير ويطنب في ورده الأعذب
وهذا يصيح مع الصائحين على غير قصد ولا مأرب
وقالوا: دخيل عليه العفاء ونعم الدخيل على مذهبي (7)
وأنا نياماً ولما نفيق فشمر إلى السعي والمكسب

(1) النابتة: الناشئون.

(2) المثوى: موضع الثواء، وهو الإقامة. يريد أن الشباب في الملاهي، والآباء في المسجاد.

(3) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاه كافور:

وكم ذا بمصر من الضحكات ولكنه ضحك كالبكا

(4) عيش يمر، أي يصير مراً.

(5) طنين الذباب: صوته. وتشن على الأقرب: تصب غارتها من كل جهة. ويريد "بالأقرب": أبناء الوطن.

(6) الأرحب: المتسع. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأي السياسي في مصر، ففريق مع الخديوي، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزي، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

(7) يريد "بالدخيل": الأجانب الذين أصابوا في مصر حظاً من الثروة لم يصبه أهلها. والعفاء: البلى والاندثار.

وماذا عليه إذا فاتنا ... ونحن على العيش لم ندأب (1)

ألفنا الخمول ويا ليتنا ... ألفنا الخمول ولم نكذب

وقالوا: (المؤيد) في غمرة ... رماه بها الطمع الأشعبي (2)

دعاة الغرام بسن الكهول ... فجن جنوناً ببنت النبي (3)

فضج لها العرش والحاملوه ... وضج لها القبر في يثرب (4)

ونادى رجال بإسقاطه ... وقالوا: تلون في المشرب (5)

وعدوا عليه من السيئات ... ألوفاً تدور مع الأحقب (6)

وقالوا لصيق ببيت الرسول ... أغار على النسب الأنجب

وزكى (أبو خطوة) قولهم ... بحكم أحد من المضرب (8)

فما للتهاني على داره ... تساقط كالمطر الصيب؟ (9)

(1) دأب في عمله يدأب: جد فيه واستمر عليه.

(2) يريد "بالمؤيد": صاحبه الشيخ علي يوسف. والغمرة: ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدة بما أثير حول قضية الزوجية. والأشعبي: نسبة إلى أشعب، وهو رجل من الموالي بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل، فقيل: "أطمع من أشعب".

(3) بسن الكهول، أي في سن الكهول؛ ويريد "ببيت النبي": السيدة صفية، وهي من أسرة السادة الوفائية.

(4) لها، أي لهذه الحادثة. ويثرب: اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(5) يريد "بالمشرب": المذهب أو الطريقة؛ وهو معنى مولد.

(6) الأحقب: السنون، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمها). وتدور مع الأحقب، أي تبقى على الدهر.

(7) اللصيق بالقوم: الداخل فيهم وليس منهم.

(8) أبو خطوة، هو الشيخ أحم أبو خطوة قاضي المحكمة الذي حكم حكماً ابتدائياً بفسخ عقد الزواج. والمضرب (بكسر الراء وفتحها): السيف، والجمع: مضارب.

(9) داره، أي دار الشيخ علي يوسف. والصيب: المنهمر المتدفق.

وما للوفود على بابه تزف البشائر في موكب؟
وما للخليفة أسدى إليه وساماً يليق بصدر الأبي؟ (1)
فيا أمة ضاق عن وصفها جنان المفوه والأخطب (2)
تضيع الحقيقة ما بيننا ويصلي البريء مع المذنب (3)
ويهضم فينا الإمام الحكيم ويكرم فينا الجهول الغبي
على الشرق مني سلام الودود وإن طأطأ الشرق للمغرب
لقد كان حصباً بجدب الزمان فأجدب في الزمن المخصب

إلى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها في الحف الذي أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها

في 26 مايو سنة 1906

أي رجال الدنيا الجديدة مدوا لرجال الدنيا القديمة باعا
وأفيضوا عليهم من أيادي ـكم علوماً وحكمة واختراعاً

(1) يشير إلى ما ناله الشيخ يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية. والأبي – بتشديد الياء، وخففت الشعر): الذي لا يرضى الدنية أنفة وكبراً.

(2) الجنان: القلب. والمفوه: المنطبق. وينعي الشاعر على الأمة أخلاقها، فبينما هي تعد على الشيخ يوسف السيئات، وترميه بالتقلب في الرأي، وتنكر عليه زواجه، إذا بها تتوافد على داره وتزف إليه التهاني.

(3) يصلى: يعذب.

(4) يقول: لقد كان الشرق غنياً بالحضارة والعمران في عهد خلو العالم منهما؛ فأصبح مجدباً من ذلك، إذ الزمان خضب بهمة.

كل يوم لكم روائع آثا ... رٍ توالون بينهن تباعاً
كم خلبتهم عقولنا بعجيب ... وأمرتم زمانكم فأطاعا
وبذرتم في أرضنا وزرعتم ... فرأينا ما يعجب الزراعا
ولمحنا من نوركم في نواصي ... حفلة اليوم لمعةً وشعاعا
وشهدنا من فضلك أثراً فيـ ... ـكم عسى نسترد ما كان ضاعا
إن فينا لولا التخاذل أبطا ... لاً إذا ما هم استقلوا اليراعا (1)
وعقولاً لولا الخمول تولا ... ها لفاضت غرابة وابتداعا
ودعاةً للخير لو أنصفوهم ... ملأوا الشرق عزة وامتناعا
كاشف الكهرباء ليتك تعني ... باختراع يروض منا الطباعا (2)
آلة تستحق التواكل في الشر ... ق وتلقي عن الرياء القناعا
قد مللنا وقوفنا فيه نبكي ... حسباً زائلاً ومجداً مضاعاً
وسئمنل مقالهم كان زيد ... عبقرياً وكان عمروٌ شجاعا
ليت شعري متى تنازع مصرٌ ... غيرها المجد في الحياة نزاعا
ونراها تفاخر الناس بالأحيـ ... ـاء فخراً في الخافقين مذاعاً (3)

(1) استقلوا اليراع، أي حملوا الأقلام.
(2) يروض الطباع، أي يسوسها ويذللها بعد جماحها.
(3) الخافقان: المشرق والمغرب.

(ارض كولمب) أي تبتيك أغلى قيمة في الملا وأبقى متاعاً (1)
أرجال بهم ملكت المعالي أم نضار به ملكت البقاعا (2)
لا عداك السماء والخصب والأمـ ـن وما زلت للسلام رباعا
طالعي الكون وانظري ما دهاه إن ركن السلام فيه تداعى (3)

مدرسة مصطفى كامل

أنشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين من تلاميذها في 30 نوفمبر سنة 1906

سمعنا حديثاً كقطر الندى فجدد النفس ما جددا (4)
فأضحى لآمالنا منعشاً وأمسى لآمالنا مرقدا
فديناك يا شرق لا تجزعن إذا اليوم ولى فراقب غدا
فكم محنة أعقبت محنة وولت سراعاً كرجع الصدى
فلا ييئسنك قيل العداة وإن كان قيلاً كحز المدى(5)
أتودع فيك كنوز العلوم ويمشي لك الغرب مسترقدا؟(6)

(1) أرض كولمب: يريد أمريكا، اضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولمب.
(2) النضار: الذهب. يشير إلى كثرة الذهب في أمريكا.
(3) طالعي الكون: انظري إليه. وتداعى: تهدم.
(4) يريد "بالحديث": ما قيل في الحفل من خطب وأشعار.
(5) قيل العداة: قولهم. والمدى (بالضم): جمع مدية، وهي السكين.
(6) المسترفد: طالب الرفد 0بكسر الراء) وهو العطاء.

وتبعث في أرضك الأنبياء ... ويأتي لك الغرب مسترشدا؟

وتقضي عليك قضاة الضلال ... طوال الليالي بأن ترقدا؟

أتسقى بعهدٍ سما بالعلوم ... فأضحى الضعيف بها أيدا؟ (1)

إذا شاء بز السها سره ... وأدرك من جريه المقصدا(2)

وإن شاء أدنى إليه النجوم ... فناجى المجرة والفرقدا(3)

وإن شاء زعزع شم الجبال ... فخرت لأقدامه سجدا (4)

وإن شاء شاهد في ذرة ... عوالم لم نحي فيها سدى (5)

زمان تسخر فيه الرياح ... ويغدو الجماد به منشدا (6)

وتعنو الطبيعة للعارفين ... بمعنى الوجود وسر الهدى (7)

(1) الأيد (بتشديد الياء): القوي، من اليد (لفتح الهمزة وسكون الياء) بمعنى القوة. يقول: أتشقى أيها الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف في زمان فاض فيه العلم، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه، بما اكتسب من علم.

(2) بز: غلب. والسها: كوكب صغير خفي الضوء في بنات نعش، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفاء ضوئه. يقول: إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم، وجعله ظاهراً للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التي يدركونها بحواسهم. ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا غليه من اكتشافات في هذا العلم.

(3) المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر، فيقولون: نهر المجرة. والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، جمعه فراقد..

(4) شم الجبال: ما علا منها وشمخ، الواحد أشم. ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التي تنسف الجبال.

(5) الذرة: واحدة الذر (بفتح الذال)، وهو الهباء المنبث في الهواء. ويشير بهذا البيت إلى المنظار المكبر للأشياء، المعروف بالمكرسكوب ونحوه. ويريد "بالعوالم": عوالم الميكروبات.

(6) يشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الطائرات؛ وبالشطر الثاني إلى الحاكي.

(7) تعنو: تخضع وتذل.

إذا ما أهابوا أجاب الحديد وقام البخار له مسعدا (1)
وطارت إليهم من الكهربا بروق على السلك تطوي المدى (2)
أيجمل من بعد هذا وذاك بأن نستكين وأن نجمدا (3)
وها أمة (الصفر) قد مهدت لنا النهج فاستبقوا الموردا (4)
فيا أيها الناشئون اعملوا على خير مصر وكونوا يدا (5)
ستظهر فيكم ذوات الغيوب رجالاً تكون لمصر الفدا (6)
فياليت شعري من منكم إذا هي نادت يلبي الندا
لك الله يا (مصطفى) من فتى كثير الأيادي، كثير العدا
إذا ما حمدتك بين الرحال فأنت الخليق بأن تحمدا
سيحصي عليك سجل الزمان ثناء يخلد ما خلدا
ويهتف باسمك أبناؤنا إذا آن للزرع أن يحصدا

(1) أهاب به: دعاه. ومسعداً: معيناً.

(2) المدى: المسافة على نوعيها من زمنية أو مكانية. ويشير بهذا البيت إلى الآلتين المعروفتين بالتلغراف والتليفون.

(3) نستكين: نذل ونخضع.

(4) يريد "بأمة الصفر": اليابانيين؛ وسموا بذلك للونهم. والنهج: الطريق. وساتبقوا المورد: أي سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مناهل العلوم والمعارف.

(5) كونوا يدا: عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأي حتى كأنهم فرد واحد.

(6) ذوات الغيوب، أي الأقدار التي في عالم الغيب.

إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

(نشرت في 13 ديسمبر سنة 1906)

مالي أرى بحر السيا ... سة لا يني جزراً ومداً (1)
وأرى الصحائف أيبست ... ما بيننا أخذاً ورداً (2)
هذا يرى رأي العميـ ... ـد وذا يعد عليه عداً (3)
وأرى الوزارة تجتني ... من مر هذا العيش شهداً (4)
نامت بمصر وأيقظت ... لحوادث الأيام (سعداً) (5)
فطرحتها وسألت عنـ ... ـه فقيل لي: لم يأل جهداً
يا (سعد) أنت (مسيحها) ... فاجعل لهذا الموت حداً (6)
ي (سعد) إن (بمصر) أيـ ... ـتاماً تؤمل فيك سعداً
قد قام بينهم وبيـ ... ـن العلم ضيق الحال سداً

(1) يني: يبطئ.
(2) أيبست ما بيننا، أي قطعت ما بيننا من مودة؛ ويستعار للتقاطع؛ يقال: قد يبس ما بينهما: غذا تقاطعا، كما يستعار البلل للتواصل.
(3) يريد أن ساسة مصر فريقان: فريق يوافق عميد الدولة الإنجليزية على ما يرى، وفريق آخر يعد مساويه في مصر.
(4) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم.
(5) نامت، أي الوزارة.
(6) شبه بالمسيح في أن معجزته إحياء الموتى. قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله).

ما زلت أرجو أن أرا ك أباً وأن ألقاك جدا
حتى غدوت أباً له أضحت عيال القطر ولدا
فاردد لنا عهد (الإما م) وكن بنا الرجل المفدى (1)
أنا لا ألوم المستشا ر إذا تعلل أو تصدى (2)
فسليله أن يسبـ ـد وشأننا أن نستعدا
هي سنة في المحتل في كل العصور وما تعدى

الحث على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسنوي في دار التمثيل العربي، وخصص إيراده لمشروع الجامعة المصرية.

نشرت في 19 مارس سنة 1907

إن كنتم تبذلون المال عن رهب فنحن ندعوكم للبذل عن رغب
ذر الكتاتيب منشيها بلا عدد ذر الرماد بعين الحاذق الأرب (3)

(1) يريد "بالإمام": الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده.

(2) يريد بالمستشار: المستر (دانلوب) الإنجليزي، مستشار المعارف آنذاك. وتعلل: تصنع العلل والمعاذير المانعة من نشر العلم في البلاد المصرية. وتصدى: تعرض للمصلحين بالمنع.

(3) الأوب: البصير الماهر. ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزي لنظارة المعارف والعميد الإنجليزي إذ ذاك من إلهاء المصريين وتسكينهم بإكثار الكتاتيب الصغيرة في القرى والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوربية.

فأنشأوا ألف كتاب وقد علموا   أن المصابيح لا تغني عن الشهب
هبوا الأجير أو الحراث قد بلغا   حد القراءة في صحف وفي كتب
من المداوي إذا ما علة عرضت   من المدافع عن عرض وعن نشب (1)
ومن يروض مياه النيل إن جمحت   وأنذرت مصر بالويلات والحرب (3)
ومن يوكل بالقسطاس بينكم   حتى يرى الحق ذا حول وذا غلب
ومن يطل على الأفلاك يرصدها   بين المناطق عن بعد وعن كثب (4)
يبيت ينبئنا عما تنم به   سرائر الغيب عن شفافة الحجب
ومن ينر أديم الأرض ما ركزت   فيها الطبيعة من بدع ومن عجب (5)
يظل ينشد من ذراتها تبأً   ضنت به الأرض في ماضٍ من الحقب (6)
ومن يميط ستار الجهل إن طمست   معالم القصد بين الشك والريب (7)

(1) النشب (بالتحريك): المال. ويشير بهذا البيت والأبيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم: من أطباء، ومحامين، ومهندسين، وقضاة، وفلكيين، وعلماء بطبقات الأرض، ومعلمين.

(2) يروض مياه النيل: يقوم على تصريفها وتدبير أمرها، ولا يدعها تغرق البلاد بطغيانها. وأصله من رياضة الدواب، وهو تذليلها بعد صعوبتها ونفورها.

(3) القسطاس (بكسر القاف): ميزان العدل؛ قيل هو روحي معرب. والحول: القوة.

(4) يرصدها: يرقبها. والكثب (بالتحريك): القرب.

(5) يبز: يسلب. وأديم الأرض: وجهها. وركزت، أي طوت وخبأت. والبدع: الذي لا مثيل له.

(6) ينشد: يطلب.

(7) يميط: يكشف. وطمست: امحت واندثرت. ومعالم القصد: العلامات التي تبين طريقه وتدل عليه. يقول: إن هذا العالم الذي يبحث في طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب في كل ذرة من ذراتها سراً كتمته ولم تبح به في غابر الأزمان لجهل الماضين بما في باطن الأرض من عجائب.

فما لكم أيها الأقوام جامعة إلا بجامعة موصوصلة السبب (1)
قد قام (سعد) بها حيناً وأسلمها إلى (أمين) فلم يحجم ولم يهب (2)
فعانوه يعاونكم على عمل فيه الفخار وما ترجون ترجون من أرب
وبينوا لرجال الغرب أنكم إذا طلبتم بلغتم غاية الطلب
لا تلجئوا في العلا إلا إلى همم وثابة لا تبالي همة النوب
فإن تأميلكم في غيركم وهن في النفس يرخي عنان السعي والدأب (3)
إن قام منا منادٍ قال قائلهم لا تصخبوا فهلاك الشعب في الصخب (4)
أو نابنا حادث نرجو إزالته قال استكينوا وخلوا سورة الغضب (5)
فما سمونا إلى نجدٍ نحاوله إلا هبطنا إلى غور من العطب (6)
يا مصر هل بعد هذا اليأس متسع يجري الرجاء به في كل مضطرب (7)
لا نحن موتى ولا الأحياء تشبهنا كاننا فيك لم نشهد ولم نغب
نبكي على بلد سال النضار به للوافدين وأهلوه على سغب (8)
متى نراه وقد باتت خزائنه كنزاً من العلم لا كنزاً من الذهب
هذا هو العمل المبرور فاكتتبوا بالمال إنا اكتتبنا فيه بالأدب (9)

(1) يريد بالجامعى (الأولى): الرابطة التي تربط الأمة وتجمع طوائفها. وبالجامعة (الثانية): ذلك المعهد المعروف.

(2) يريد المرحوم سعد زغلول باشا، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين في تحقيقها، فلما اسندت إليه نظارة المعارف أسلم أعمال الجامعة إلى المرحوم قاسم بك أمين.

(3) الوهن: الضعف. والدأب: الاجتهاد في المر والاستمرار عليه.

(4) الصخب (بالتحريك): شدة الأصوات واختلاطها.

(5) استكينوا: استذلوا. وسورة الغضب: حدته.

(6) النجد: ما ارتفع من الأرض. والغور: ما اطمأن منها وانخفض. والعطب: الهلاك.

(7) المضطرب: المذهب يضطرب فيه الناس، أي يذهبون ويجيئون في أمور حياتهم. يقول: هل بعد هذا اليأس من فسحة تتسع فيها آمال مصر في جميع مناحي الحياة ومذاهبها. (8) النضار: الذهب. والسغب: الجوع.

(9) استعمال "الاكتتاب" بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة، استعمال شائع في كلام أهل العصر، وهو استعمال مجازي؛ واصله من قولهم: اكتتب فلان، إذا كتب اسمه في ديوان السلطان، ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماؤهم في سجل مخصوص لذلك، صح أن يتجوز في ذلك ويعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب.

سورية ومصر

أنشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

(نشرت في 25 مارس سنة 1908)

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلا وهناك المجد والحسب (1)
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما ... قلب الهلال عليها خافق يجب (2)
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ... ولا تحول عن مغناهما الأدب (3)
أم اللغات غداة الفخر أمهما ... وإن سألت عن الآباء فالعرب (4)
أيرغبان عن الحسنى وبينهما ... في رائعات المعالي ذلك النسب (5)
ولا يمتان بالقربى وبينهما ... تلك القرابة لم يقطع لها سبب؟ (6)
إذا ألمت بوادي النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشأم تضطرب (7)
وإت دعا في ثرى الحرام ذو ألم ... أجابه في ذرا لبنان منتحب (8)

(1) أي انتسب إلى أي الأمنين شئت، فكلتاهما في العلا والحسب سواء.
(2) وجب يجب وجبا وتوجيباً: اضطرب؛ وهو هنا كناية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما. والهلال: شعار الدولة العثمانية..
(3) الضاد: كناية عن اللغة العربية. والمغنى؛ المنزل الذي غنى به أهله، اي أقاموا.
(4) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهي اللغة، وأبوة واحدة، وهم العرب.
(5) يرغبان عن الحسنى: ينصرفان عن حسن الجوار. ورائعات المعالي: ما ظهر منها وما وضح.
(6) مت إليه بكذا: توسل إليه به.
(7) ألمت: نزلت. وراسيات الشأم: جبالها.
(8) ذرا لبنان: مرتفعاته وأعاليه، والواحدة ذروة.

لو أخلص النيل والأردن ودهما تصافحت منهما الأمواه والعشب (1)
بالواديين تمشي الفخر مشيته يحف ناحيتيه الجود والداب (2)
فسال هذا سخاء دونه ديم وسال هذا مضاء دونه القضب (3)
نسيم لبنان كم جادنك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب
في الشرق والغرب أنفاس مسعرة تهفو إليك وأكباد بها لهب (4)
لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلاً من طيب رياك لكن العلا تعب (5)
كم غادة بربوع الشام باكية على أليف لها يرمي به الطلب (6)
يمضي ولا حيلة إلا عزيمته ويثني وحلاه المجد والذهب (7)
يكر صرف الليالي عنه منقلباً وعزمه ليس يدري كيف ينقلب (8)
بأرض (كولمب) ابطال غطارفة أسد جياع إذا ما ووثبوا وثبوا (9)
لم يحمهم علم فيها ولا عددد سوى مضاء تحامى ورده النوب (10)

(1) الأردن: نهر بفلسطين معروف. والأمواه جمع ماء.

(2) الدأب (بالتحريك): الجد والاجتهاد.

(3) الديم من السحب: جمع ديمة، وهي الدائمة المطر. والقضب: السيوف القواطع، الواحد قضيب، فعيل بمعنى فاعل. يشير بالشطر الأول إلى وادي النيل؛ وبالشطر الثاني إلى وادي الأردن.

(4) مسعرة: ملتهبة من الشوق. وتهفو: تميل. ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم في أنحاء الأرض طلباً للرزق. (5) الريا: الرائحة الطيبة.

(6) الغادة: الفتاة المنثنية لينا ونعومة. ويرمي إلخ، أي يقذف به طلب الرزق في أنحاء البلاد.

(7) يقول: إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مزود إلا بعزيمة صادقة، ويعود متحلياً بحلى المجد، موفور الثراء والغنى.

(8) "يكر صرف الليالي عنه" إلخ، يقول: إن نوائب الأيام ترتد عنه منقلبة وعزمه ثابت ماض في سبيله لا يتغير ولا يتبدل.

(9) أرض كولمب: أمريكا أضيفت إلى مكتشفها. والغطارفة: السادة الشرفاء والسراة من الناس، الواحد غطريف أو غطراف. ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أمريكا. وإذا وثبوا وثبوا، أى إذا ما اعتدى عليهم انتصفوا لأنفسهم. والمواثبة بين الخصمين: أن يثب كل منهما على صاحبه.

(10) تحامى: تتحامى، فحذف إحدى التاءين للتخفيف. ويريد بقوله (لم يحمهم علي): إنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نوائب الأيام كليلة مهزومة.

أسطولهم أمل في البحر مرتحل | وجيشهم عمل في البر مغترب (1)
لهم بكل خضم مسرب نهج | وفي ذرا كل طود مسلك عجب (2)
لم تبد بارقة في أفق منتجع | غلا وكان لها بالشام مرتقب (3)
ما عابهم أنهم في الأرض قد نثروا | فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
ولم يضرهم سراء في مناكبها | فكل حي له في الكون مضطرب (4)
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا | إلى المجرة ركباً صاعداً ركبوا (5)
أو قيل في الشمس للراجين منتجع | مدوا لها سبباً في الجو وانتبدوا (6)
سعوا إلى الكسب محموداً وما فتئت | أم اللغات بذاك السعي تكتسب (7)
فأين كان الشاميون كان لها | عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذي يدي عن بني مصر تصافكم | فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة غلا الشام عاج على | ربوعها من بنيها سادة نجب (8)
لولا رجال تغالوا في سياستهم | منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا (9)
إن يكتبوا لي ذنباً في مودتهم | فإنما الفخر في الذنب الذي كتبوا (10)

(1) يقول: إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق في كل مكان.

(2) الخضم: البحر. والمسرب: الطريق. والنهج من الطرق (بتسكين الهاء): الواضح المسلوك منها؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن. "وذرا كل طود" أي أعالي كل جبل.

(3) المنتجع: مكان الانتجاع، أي طلب الرزق. يقول: إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبئ بوجوده في مكان غلا وجدت من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها.

(4) السرى (مقصوراً ومد الشعر): السير بالليل. ومناكب الأرض: نواحيها. والمضطرب: المذهب الذي يضطرب فيه الناس، اي يذهبون ويجيئون. (5) رادوا: طلبوا. والمناهل: الموارد. (6) انتدب فلان للأمر: خف إليه.

(7) يريد بقوله: "وما فتئت" إلخ: إنهم ينشرون اللغة العربية حيثما حلوا؛ وفي ذلك كسب لها.

(8) عاج على المكان: مال إليه.

(9) يقول: لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليهم في ذلك، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم.

(10) الضمير في "مودتهم" للسوريين.

في الحث على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقيم في "تياترو برنتانيا" في 8 مايو سنة 1908

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا ... إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا (1)
ولا حياة لكم إلا بجامعة ... تكون أما لطلاب العلا وابا
تبني الرجال وتبني كل شاهقة ... من المعالي وتبني العز والغلبا
ضعوا القلوب أساساً لا أقول لكم ... ضعوا النضار فإني أصغر الذهبا
وابنوا بأكبادكم سوراً لها ودعوا ... قيل العدو فإني أعرف السببا (2)
لا تقنطوا إن قرأتم ما يزوقه ... ذاك العميد ويرميكم به غضبا (3)
وراقبوا يوم لا تغني حصائده ... فكل حي سيجزى بالذي اكتسبا (4)
بنى على الإفك أبراجاً مشيدة ... فابنوا على الحق برجاً ينطح الشهبا (5)
وجاوبوه بفعل لا يقوضه ... قول المفند أنى قال أو خطبا (6)
لا تهجعوا إنهم لن يهجعوا أبداً ... وطالبوهم ولكن أجملوا الطلبا (7)

(1) "ينشر" إلخ، أي يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولاً.

(2) قيل العدو، أي قوله.

(3) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من العقبات في سبيل إنشاء الجامعة، وما كان يتهم به المصريين ويرميهم به من أنهم ليسوا أهلاً للتعليم العالي.

(4) حصائده، أي حصائد العميد، أي ما يقوله من الكلام الذي لا قيمة له ليثني به العزائم عن إنشاء الجامعة.

(5) الإفك: الكذب.

(6) يقوضه: يهدمه. والمفند: المكذب.

(7) الضمير في "إنهم" للإنجليز. وأجمل في الطلب: ترفق.

هل جاءكم نبأ القوم الألى درجوا   وخلفوا للورى من ذكرهم عجباً (1)
عزت (بقرطاجة) الأمراس فارتهنت   فيها السفين وأمسى جلها اضطرباً (2)
والحرب في لهب، والقوم في حرب   قد مد نقع المنايا فوقهم طنباً (3)
ودوا بها وجواريهم معطلة   لو أن أهدابهم كانت لها سبباً (4)
هنالك الغيد جادت بالذي بخلت   به دلالاً فقامت بالذي وجبا (5)
جزت غدائر شعر سرحت سفناً   واستنقذت وطناً واسترجعت نشباً (6)
رأت حلاها على الأوطان فابتهجت   ولم تحسر على الحلي الذي ذهبا (7)
وزادها ذاك حسناً وهي عاطلة   تزهى على كل من مشى للحرب أو ركبا(8)
(وبرثران) الذي حاك الإباء له   ثوباً من الفخر أبلى الدهر والحقبا (9)

(1) درحوا: مضوا وذهبوا. ويريد "بالقوم": أهل قرطاجنة الآتي ذكرهم.

(2) قرطاجة، يريد قرطاجنة، وهي مدينة على شاطئ افريقية الشمالي بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية، أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد. والأمراس: الجبال. وعزت: قلت. ويشير بهذا البيت إلى الحرب البونية الثالثة التي وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة 149 ق.م. التي قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال.

(3) الحرب (بالتحريك): الهلاك والويل. والنقع: الغبار. ويريد "بالطنب": الخيام، شبه بها غبار الحرب. والطنب (في الأصل): حبال الخيام.

(4) الجواري : السفن.

(5) الغيد: جمع غيداء، وهي الفتاة المنثنية ليناً.

(6) الغدائر: جمع غديرة، وهي الذؤابة من الشعر. والنشب: المال والعقار.

(7) "دارت حلاها على الأوطان" أي رأت غدائرها تبذل في الدفاع عن الوطن. وتحسر: تتحسر.

(8) الضمير في قوله: "زادها" للغيد "وتزهى": تختال وتفتخر.

(9) (حاك): نسج. وبرثران: قائد فرنسي ولد سنة 1773م، وخل الخدمة العسكرية سنة 1792 ضابطاً، وجاء مع نابليون إلى مصر، حيث جعله قائداً للمدفعية. وقد صحب نابليون إلى (جزيرة ألبا) ثم إلى جزيرة (سانت هيلانة)، حيث لبث معه إلى سنة 1821؛ وكانت وفاته سنة 1844 وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة في الأبيات الآتية.

أقام في الأسر حيناً ثم قيل له: ألم يئن أن تفدي المجد والحسبا
قل واحتكم أنت مختار، فقال لهم: إنا رجال نهين المال والنشبا
خذوا القناطير من تبرٍ مقتطرة يخور خازنكم في عدها تعبا (1)
قالوا حكمت بما لا تستطيع له حملاً نكاد نرى ما قلته لعبا
فقال: والله ما في الحي غازلة من الحسان ترى في فديتي نصبا (2)
لو أنهم كلفوها بيع مغزلها لآثرتني وضحت قوتها رغبا
هذا هو الأثر الباقي فلا تقفوا عند الكلام إذا حاولتم أربا
ودونكم مثلاً أوشكت أضربه فيكم وفي مصر إن صدقاً وإن كذبا
سمعت أن امرأ قد كان يألفه كلب فعاشا على الإخلاص واصطحبا
فمر يوماً به والجوع ينهبه نهباً فلم يبق إلا الجلد والعصبا
فظل يبكي عليه وفي يمناه أرغفة لو شامها جائع من فرسخ وثبا (4)
فقال قوم وقد رقوا لذي ألمٍ يبكي وذي ألم يستقبل العطبا (5)
ما خطب ذا الكلب؟ قال الجوع يخطفه مني وينشب فيه الناب مغتصبا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية: هذا الدواء فهل عالجته فأبى؟

(1) التبر: الذهب. ويخور: يضعف ويفتر.
(2) النصب: التعب.
(3) سغباً: جوعاً
(4) شامها: نظر إليها
(5) يريد بذي ألم الأز: صاحب الكلب. وبذي الألم الثاني: الكلب. والعطب: الهلاك.

أجابه ودواعي الشح قد ضربت   بين الصديقين من فرط ألقى حجباً (1)
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا   أما كفى أن يراني اليوم منتحباً
هذي دموعي على الخدين جارية   حزناً وهذا فؤادي يرتعي لهباً
أقسمت بالله إن كانت مودتنا   كصاحب الكلب ساء الأمر منقلبا(2)
أعيذكم أن تكونوا مثله غنلاى   منكم بكاء ولا نلفي لكم دأباً (3)
إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم   أجر المجاهد، طوبى للذي اكتتبا

رعاية الأطفال

أنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا في 8 إبريل سنة 1910 م.

شبحاً أرى أم ذاك طيف خيال   لا، بل فتاة بالعراء حيالي(4)
أمست بمدرجة الخطوب فما لها   راعٍ هناك وما لها من والي (5)
حسرى، تكاد تعيد فحمة ليلها   ناراً بأنات ذكين طوال(6)
ما خطبها، عجباً وما خطبي بها؟   مالي أشاطرها الوجيعة مالي؟(7)
دانيتها ولصوتها في مسمعي   وقع النبال عطفن إثر نبال(8)

(1) القلى: البغض والكراهية.
(2) المتقلب: المرجع والمصير.
(3) الدأب: الجد والاجتهاد.
(4) العراء بفتح العين: الفضاء الذي لا تستر فيه بشيء.
(5) مدرجة الخطوب: أي طريق النوائب.
(6) ذكين، أي توقدن واشتعلن.
(7) ما خطبها، أي ما شأنها.
(8) عطفن: رجعن.

وسألتها: من أنت؟ وهي كأنها رسم على طلل من الأطلال (1)
فتلملمت جزعاً وقالت: حامل لم تدر معنى الغمض منذ ليالي
قد مات والدها، وماتت أمها ومضى الحمام بعمها والخال(2)
وإلى هناك حبس الحياء لسانها وجرى البكاء بدمعها الهاطال
فعلمت ما تخفي الفتاة وإنما يحنو على أمثالها أمثالي
ووقفت أنظرها كأني عابد في هيكل يرنو إلى تمثال(3)
ورأيت آيات الجمال تكفلت بزوالهن فوادح الأثقال(4)ح
لا شئ أفعل في النفوس كقامة هيفاء روعها الأسى بهزال
أو غادة كادت تريك إذا بدت مس النهار فأصبحت كالآل
قلت انهضي، قالت: اينهض ميت من قبره ويسير شن بالي(6)
فحملت هيكل عظمها وكأنني حملت حين حملت عود خلال
وطفقت أنتهب الخطا متيمماً بالليل (دار رعاية الأطفال) (7)
أمشي وأحمل بائسين: فطارق باب الحياة ومؤذن بزوال(8)

(1) الرسم: اثر الدار بعد بلاها. شبه الفتاة برسوم الأطلال في النحول والضآلة.
(2) الحمام: الموت.
(3) يرنو: ينظر.
(4) يريد بفوادح الأثقال: نوائب الدهر التي لا تحتمل لثقلها.
(5) الآل: السراب.
(6) الشن: القربة الخلق البالية.
(7) انتهب الخطا، أي أسرع في السير. وتبسما: قاصدا.
(8) طارق باب الحياة: الجنين. ويريد بالمؤذن بالزوال: أمه.

أبكاهما وكأنما أنا ثالث ... لهما من الإشفاق والإعوال(1)
وطرقت باب الدار لا متعيباً ... أحداً ولا مترقباً لسؤال
طرق المسافر آب من أسفاره ... أو طرق رب الدار غير مبالي
وإذا باصوات تصيح: ألا افتحوا ... دقات مرضى مدلجين عجال(2)
وإذا بأيد طاهرات عودت ... صنع الجميل تطوعت في الحال
جاءت تسابق في المبرة بعضها ... بعضاً لوجه الله لا للمال
فتناولت بالرفق ما أنا حامل ... كالأم تكلأ طفلها وتوالي(3)
وإذا الطبيب مشمر وإذا بها ... فوق الوسائد في مكان عالي
حاءوا بأنواع الدواء وطوفوا ... ويرود مكمن دائها القتال(4)
لم يدر حين دنا ليبوا قلبها ... دقات قلب أم دبيب نمال(5)
ودعتها وتركتها في أهلها ... وخرجت منشرحاً رضي البال
وعجزت عن شكر الذين تجردوا ... للباقيات وصالح الأعمال(6)
لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها ... تلك المروءة والشعور العالي

(1) الإعوال: البكاء.

(2) المدلجون: السائرون بالليل. والعجال: المسرعون.

(3) تكلأ: تحفظ وتحرس. وتواليه: تتعهده وتحنو عليه.

(4) جثا يجثو: جلس على ركبتيه والخافت: الضعيف. ويرود: يطلب ويتعرف. ومكمن دائها: حيث يختفي الداء من جسمها.

(5) يبلو: يختبر.

(6) تجرد للأمر: أخلى نفسه له. والباقيات: المآثر التي تبقى بعد صاحبها. والباقيات: المآثر التي تبقى بعد صاحبها.

خير الصنائع في الأيام صنيعة تنبو بحاملها عن الإذلال (1)

وإذا النوال أتى ولم يهرق له ماء الوجوه فذاك خير نوال

من جاد من بعد السؤال فإنه – وهو الجواد – يعد في البخال

لله درهم فكم من بائس جم الوجيعة سيئ الأحوال

ترمى به الدنيا، فمن جوع، إلى عرى، إلى سقم، إلى إقلال

عين مسهدة وقلب واجف نفس مروعة وجيب خالي (2)

لم يدر ناظره أعريانا يرى أم كاسيا في تلكم الأسمال (3)

فكأن ناحل جسمه في ثوبه خلف الخروق يطل من غربال

يا برد، فاحمل، قد ظفرت بأعزل يا حر، تلك فريسة المغتال (4)

يا عين سحي، يا قلوب تفطري يا نفس رقي يا مروءة والي

لولاهم لقضى عليه شقاؤه وخلا المجال لخاطف الآجال (5)

لولاهم لكان الذى وقفا على نفس الفقير ثقيلة الأحمال

لله در الساهرين على الألى سهروا من الأوجاع والأوجال (6)

القائمين بخير ما جاءت به مدينة الأديان والأجيال

(1) الصنيعة: الإحسان. «وتنبو بحاملها» إلخ، أي تبعد بمن تقلدها عن الذل.

(2) مسهدة: ساهرة. والواجف: الخائف. والمروعة: المفزعة.

(3) الأسمال: الخرق البالية.

(4) الأعزل: الذي لا سلاح معه. ويريد به العاري من الثياب. يقول: أيها البرد احمل على هذا العاري وهاجمه فليس لديه ما يتقيك به.

(5) خاطف الآجال: الموت.

(6) الأوجال: المخاوف.

أهل اليتيم وكهفه وحماته ... وربيع أهل البؤس والإمحال (1)

لا تهملوا في الصالحات فإنكم ... لا تجهلون عواقب الإهمال

إني أرى فقراءكم في حاجة ... – لو تعلمون – لقائل فعال

فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم ... ميدان سبق للجواد النال (2)

والمحسنون لهم على إحسانهم ... يوم الإثابة عشرة الأمثال (3)

وجزاء رب المحسنين يجل عن ... عد وعن وزن وعن مكيال

مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها في حفل أقيم ببورسعيد في 29 مايو سنة 1910 م لإعانة تلك المدرسة.

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي ... في حب مصر كثيرة العشاق

إني لأحمل في هواك صبابة ... يا مصر قد خرجت عن الأطواق (4)

لهفي عليك متى أراك طليقة ... يحمي كريم حماك شعب راقي

كلف بمحمود الخلال متيم ... بالبذل بين يديك والإنفاق (5)

إني لتطربني الخلال كريمة ... طرب الغريب بأوبة وتلاقي

(1) الكهف: الملجأ والمحتمى. ويريد بقوله: ربيع أهل البؤس: أنهم للباءسين بمنزلة الربيع أي خصب وخير. والإمحال: الجدب.

(2) الجواد: الكريم. والنال: الكثير: الكثير النائل وهو العطاء.

(3) الإثابة" الجزاء. ويشير إلى قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

(4) الأطواق: جمع طوق، وهو الجهد والطاقة.

(5) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام): الشديد الحب للشيء.

وتهزني ذكرى المروءة والندى | بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية في صفاء مزاجها | والشرب بين تنافس وسباق (1)
والشمس تبدو في الكئوس وتختفي | والبدر يشرق من جبين الساقي
بألذ من خلق كريم طاهر | قد مازجته سلامة الأذواق (2)
فإذا رزقت خليقة محمودة | فقد اصطفاك مقسم الأرزاق (3)
فالناس هذا حظه مال، وذا | علم، وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصنا | بالعلم كان نهاية الإملاق (4)
والعلم إن لم تكتنفه شمائل | تعليه كان مطية الإخفاق (5)
لا تحسبن العلم ينفع وحده | مالم يتوج ربه بخلاق (6)
كم عالم مد العلوم حبائلا | لوقيعة وقطيعة وفراق (7)
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه | لمكيدة أو مستحل طلاق (8)
يمشي وقد نصبت عليه عمامة | كالبرج لكن فوق تل نفاق

(1) البابلية: الخمر، نسبة إلى بابل، وهي ناحية بالعراق كان ينسب غليها الخمر الجيد. والشرب: الشاربون. ويريد «بالسباق»: المسابقة في شرب الخمر.

(2) ألذ: خبر لـ«ما» في قوله السابق: «ما البالبلية».

(3) الخليقة: السجية والطبيعة.

(4) الإملاق: الفقر.

(5) تكتنفه، أي تحوطه وتحفظه. والشمائل: الأخلاق. والإخفاق: خيبة المسعى.

(6) الخلاق: النصيب من الصلاح والخير.

(7) حبائل الصيد: الأشراك التي يمدها الصائد للاصطياد، الواحدة حيالة. والوقيعة: غيبة الناس. والقطيعة، هي قطع الصلات بين الناس بنا تلقى بينهم من النمائم.

(8) يرصد فقهه، أي يعده ويهيئه.

يدعونه عند الشقاق وما دروا   أن الذي يدعون خدن شقاق (1)
وطبيب قوم قد أحل لطبه   ما لا تحل شريعة الخلاق
قتل الأجنة في البطون وتارة   جمع الدوانق من دم مهراق (2)
أغلى وأثمن من تجارب علمه   يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه   مفتاح رزق العامل المطراق (3)
تندى وتيبس للخلائق كفه   بالماء طوع الأصفر البراق (4)
لا شيء يلوى من هواه فحده   في السلب حد الخائن السراق (5)
وأديب قوم تستحق يمينه   قطع الأنامل أو لظى الإحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه   فكأنه في السحر رقية راقي
في كفه قلم يمج لعابه   سما وينفثه على الأوراق (6)
يرد الحقائق وهي بيض صنع   قدسية علوية الإشراق (7)
فيردها سودا على جنباتها   من ظلمة التمويه ألف نطاق (8)

(1) الخدن: الصاحب والصديق. والشقاق: الخلاف. ويريد هنا الخلاف بين الزوجين.
(2) المهراق: المنصب.
(3) المطراق: الذي يكثر طرق أبواب الرزق.
(4) تندى: تبتل. والمراد فيضان يده بالماء. والأصفر البراق: الذهب، ويريد الرشوة.
(5) يلوى من هواه، أي يثنيه ويصرفه عما يريد. وحده في السلب، أي جزاؤه على الرشوة. وحد السارق: قطع اليد.
(6) مج اللعاب من فمه: رمى به. واللعاب: الريق، شبه المداد به. وينفثه: يخرجه.
(7) النصع: الشديدة البياض. ويريد بقوله: «علوية الإشراق»: أن نورها من السماء.
(8) يريد بهذا البيت الذي قبله أن الكاتب كان يرى الحقائق ظاهرة جلية فيزورها بقلمه على القراء ويحوطها بالأكاذيب وأخلية الشر حتى يردها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق.

عريت عن الحق المطهر نفسه ... فحياته ثقل على الأعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه ... ببيانه ويراعه السباق
من لي بتربية النساء فإنها ... في الشرق علة ذلك الإخفاق (1)
الأم مدرؤسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق (2)
الأم روض إن تعهده الحيا ... بالري أورق أيما إيراق (3)
الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق (4)
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن في الأسواق (5)
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يدرجن رقبته ولا من واقي (6)
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق (7)
في دورهن شؤونهن كثير ... كشؤون رب السيف والمزراق (8)
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا ... في الحجب والتضييق والإرهاق (9)
ليست نساؤكم حلي وجواهرا ... خوف الضياع تصان في الأحقاق

(1) الإخفاق: عدم الظفر بالمطلوب.
(2) الأعراق: الأصول: الواحد عرق.
(3) الحيا: المطر.
(4) «شغلت» إلخ، أي ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا.
(5) السوافر: المنكشفات الوجوه.
(6) يدرجن: يمشين. والوازع: الزاجر. والرقبة: المراقبة.
(7) نواعس الأحداق: فاترات الأجفان؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التي خص بها جنسهن.
(8) المزراق: الرمح؛ يريد أن شأن المرأة في بيتها لا يقل عن شأن الفارس في الحرب.
(9) الإرهاق: الظلم.

ليست نساؤكم أثاثا يقتنى | في الدور بين مخادع وطباق (1)
تتشكل الأزمان في أدوارها | دلولا وهن على الجمود بواقي (2)
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا | فالشر في التقييد والإطلاق (3)
ربوا البنات على الفضيلة إنها | في الموقفين لهن خير وثاق (4)
وعليكم أن تستبين بناتكم | نور الهدى وعلى الحياء الباقي

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا، وقد استهلها بوصف القطار

[نشرت في أول فبراير سنة 1911]

صفحة البرق أومضت في الغمام | أم شهاب يشق جوف الظلام (5)
أم سليل البخار طار إلى القـ | ـصد فأعيا سوابق الأوهام (6)
مر كاللمح لم تكد تقف العـ | ـين على ظل جرمه المترامي (7)
أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيـ | ـه تولى في يقظة أومنام (8)

(1) المخادع: الغرف، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمها، مع فتح الدال وسكون ما بينهما).
(2) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة.
(3) يريد «بالحالتين»: التضييق على النساء والتوسيع عليهن.
(4) يريد «بالموقفين»: تقيد النساء في خدورهن وإطلاق السراح لهن. والوثاق: القيد الذي يوثق به من حبل أو نحوه.
(5) صفحة من كل شيء: وجهه وجانبه. وأومض البرق: لمع خفيفا.
(6) يريد «بسليل البخار»: القطار.
(7) المترامي: الممتد.
(8) شرخ الشباب: أوّله وريعانه، شبه به القطار في سرعة زواله. وكاسيه، أي لابسه والمتمتع به.

وانثنى راجعا إلى شاطئ النهـ ـر رجوع الكمى غب اغتنام (1)
وقف الناس ذاهلين وصاحوا تلك إحدى عجائب الأيام
أنجاة من القطار، من الجسـ ـر، من النهر، جل رب الأنام
وإذا صيحة علت من فتاة برزت من صفوف ذاك الزحام
وقفت موقف الخطيب ونادت تلك عقبى رعاية الأيتام
بسطت تحته أكفا تلقتـ ـه وحاطته رغم أنف الحمام (2)
دعوة البائس المعذب سور يدفع الشر عن حياض الكرام (3)
وهي حرب على البخيل وذى البغـ ـى وسيف على رقام اللئام
إن هذا الكريم قد صان عرضي وحماني من عاديات السقام
عال طفلى وعالني وحباني بكساء وبدرة وطعام (4)
وهو من معشر أغاثوا ذوي البؤ س وقاموا في الله خير قيام
وأقاموا للبر دارا فكانت خير ورد يؤمه كل ظامي (5)
ملئت رحمة وفاضت حنانا فهي للبائسات دار السلام
زرتها والشقاء يجري ورائي وشعاع الرجاء يسري أمامي
لم يقولوا: من الفتاة؟ ولكن سألوني عن آلامي

(1) الكمي: الشجاع. وغب: عقب.
(2) الحمام: الموت.
(3) يريد «بحياض الكرام»: حماهم.
(4) غاله: كفاه عيشه. وحباه بكذا: أعطاه. ويريد «بالبدرة» هنا: جملة من المال.
(5) ظامي: ظامئ.

إنما قمت فيه والنفس نشوى | من كؤوس الهموم والقلب دامي (1)
ذقت طعم الأسى وكابدت عيشا | دون شربي قذاه شرب الحمام (2)
فتقلبت في الشقاء زمانا | وتنقلت في الخطوب الجسام (3)
ومشى الهم ثاقبا في فؤادي | ومشى الحزن ناخرا في عظامي (4)
فلهذا وقفت استعطفت النا | س على البائسين في كل عام

إلى الخديوي عباس (5)

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرض فيها لما كان في مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط في سنة 1911م

كم تحت أذيال الظلام يتيم | دامي الفؤاد وليله لا يعلم
ما أنت في دنياك أوّل عاشق | راميه لا يحنو ولا يترحم
أهرمتني يا ليل في شرخ الصبا | كم فيك ساعات تشيب وتهرم (6)
لا أنت تقصر لي ولا أنا مقصر | أتعبتني وتعبت، هل من يحكم (7)
لله موقفنا وقد ناجيتها | بعظيم ما يخفي الفؤاد ويكتم

(1) نشوى: سكرى.
(2) القذى: ما يقع في الشراب من وسخ. والحمام بالكسر: الموت. ويريد بقوله: «دون شربي»، أي أن الموت أهون تجرعا على من تجرع هذا العيش المر.
(3) الجسام: العظام، الواحد جسيم.
(4) يقال: نخر العظم، إذا بلى وتفتت.
(5) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في الاجتماعيات مع ما تضمنته ممن مدح الخديوي عباس، لأن غرضها الأول مسألة اجتماعية، وهي الفتنة بين مسلمي مصر وأقباطها إذ ذاك.
(6) شرخ الصبا: أوّله وريعانه. (7) أقصر: كف وأمسك.

قالت من الشاكي؟ تساءل سربها   عني، ومن هذا الذي يتظلم؟ (1)
فأجبتها وعجبن كيف تجاهلت: هو ذلك المتوجع المتألم
أنا من عرفت ومن جهلت ومن له   – لولا عيونك – حجة لا تفحم (2)
أسلمت نفسي للهوى وأظنها   مما يجشمها الهوى لا تسلم (3)
وأتيت يحدو بي الرجاء ومن أتى   متحرما بفنائكم لا يحرم (4)
أشكو لذات الخال ما صنعت بنا   تلك العيون وما جناه المعصم (5)
لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى   يبقي عليه ولا الصبابة ترحم
لو تنظرين إليه في جوف الدجى   متململا من هول ما يتجشم (6)
يمشي إلى كنف الفراش محاذرا   وجلا يؤخر جله ويقدم (7)
يرمى الفراش بناظريه وينثني   جزعا ويقدم بعد ذاك ويحجم
فكأنه – واليأس ينشف نفسه –   للقتل فوق فراشه يتقدم (8)
رشقت به في كل جنب مدية   وانساب فيه بكل ركن أرقم (9)

(1) السرب (بالكسر): الجماعة، أي صواحبها.

(2) لا تفحم: لا تغلب.

(3) جشمه: كلفه.

(4) يحدو بي: يدفعني ويسوقني. ومتحرما: محتميا مستأنسا.

(5) الخال: الشامة في البدن، وهو غالب على شامة الخد؛ والجمع خيلان.

(6) ما يتجشم: ما يقاسي.

(7) الكنف (محركة): الجانب والناحية.

(8) ينشف نفسه، أي يهلكها. و(للقتل): متعلق بقوله: «يتقدم».

(9) الضمير في «به» و«فيه» يعود عل الفراش. وفي الشطر الأول من هذا البيت قلب، إذ المسموع أن الباء تدخل على المرشوق به، وهو المدية ونحوها، لا على المرشوق؛ يقال: رشقته بالسهم، لا رشقت السهم به. وانسابت، أي جرت وتدافعت في مشيها. والأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للأذى.

فكأنه في هوله وسعيره واد قد اطلعت عليه جهنم (1)
هذا وحقك بعض ما كابدته من ناظريك، وما كتمتك أعظم
قالوا: أهذا أنت! ويحك فاتئد حتام تنجد في الغرام وتتهم؟ (2)
كم نفثة لك تستثير بها الهوى (هاروت) في أثنائها يتكلم (3)
إنا سمعنا عنك ما قد رابنا وأطال فيك وفي هواك اللوم
فاذهب بسحرك قد عرفتك واقتصد فيما تزين للحسان وتوهم
أصغت إلى قول الوشاة فأسرفت في هجرها وجنت على وأجرموا
حتى إذا يأس الطبيب وجاءها أني تلفت تندمت وتندموا
وأتت تعود مريضها لا بل أتت مني تشيع راحلا لو تعلم
أقسمت (بالعباس)، إني صادق فمريهم بجلاله أن يقسموا (4)
ملك عدوت على الزمان بحوله وغدوت في آلائه أتنعم (5)
النجم من حراسه، والدهر من خدامه، وهو العزيز المنعم
هللت حين رأيت ركبك سالما ورأيت (عباسا) به يتبسم

(1) اطلعت: طلعت وظهرت.

(2) اتئد: تمهل. وأنجد: أتى نجدا، وهو المرتفع من الأرض. وأتهم: أتى تهامة، وهي المنخفض من الأرض. والإنجاد والاتهام في الغرام: كناية عن الذهاب في كل مذهب.

(3) نفث الساحر، هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها. وهاروت يضرب به المثل في السحر، وقد ذكره الله تعالى في القرآن.

(4) مريهم، أي مري الوشاة بالقسم على صدقهم فيما وشوا به.

(5) الحل: القوة. والآلاء: النعم.

وحمدت ربي حين حل عرينه ... متجدد العزمات ذاك الضغيم (1)
خققت قلوب المسلمين وأشفقت ... دار الخلافة والمليك الأعظم
ودعا لك البيت الحرام فأمنت ... بطحاء مكة والحطيم وزمزم (2)
ودوى بمصر لك الدعاء فنيلها ... وسهولها وفصيحها والأعجم (3)
ومشى الصغير إلى الكبير مسائلا ... يتسقط الأخبار أو يتنسم (4)
حتى اطمأنت بالشفاء نفوسهم ... وطلعت بالسعد العميم عليهم
مولاى أمتك الوديعة أصبحت ... وعرا المودة بينها تتفصم (5)
نادى بها القبطي ملء لهاته ... أن لا سلام وشاق فيها المسلم (6)
وهم أغار على النهى وأضلها ... فجرى الغبي وأقصر المتعلم (7)
فهموا من الأديان ما لا يرتضي ... دين ولا يرضي من يفهم
ماذا دها قبطي مصر فصده ... عن ود مسلمها وماذا ينقم؟
وعلام يخشى المسلمين وكيدهم ... والمسلمون عن المكايد نوم

(1) الضغيم: الأسد. وعرينه: مأواه.
(2) بطحاء مكة: مسيل واديها. والحطيم، هو ما بين الركن وزمزم والمقام.
(3) العروف (دوّى) بالتشديد. يقول: إن نيل مصر وسهولها إلخ تدعو لك؛ فخبر قوله «فنيلها» إلخ، محذوف للعلم به.
(4) تنسم الخبر: تلطف في التماسه.
(5) عرا المودة: روابطها. وتتفصم: تتقطع.
(6) ملء لهاته، أي ملء حنجرته.
(7) «فجرى الغبي» إلخ، أي سعى الأغبياء وقصار النظر في إشعال الفتنة بين المسلمين والأقباط، وكف المتعلمون وأقصروا عن إخمادها وتلافي أسبابها.

قد ضمنا ألم الحياة وكلنا يشكو، فنحن على السواء وأنتم
إني ضمن المسلمين جميعهم أن يخلصوا لكم إذا أخلصتم (1)
رب الأريكة، إننا في حاجة لجميل رأيك والحوادث حوم (2)
فأفض علينا من سمائك حكمة تأسو القلوب فإن رأيك أحكم (3)
واجمع شتات العنصرين بعزمة تأتي على هذا الخلاف وتحسم
فكلاهما لعزيز عرشك مخلص وكلاهما برضاك صب مغرم

محاورة بين حافظ وخليل مطران

في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا

[نشرت في 31 مارس سنة 1913م]

حافظ:

هذا صبي هائم تحت الظلام هيام حائر
أبلى الشقاء جديده وتقلمت منه الأظافر (4)
فانظر إلى أسماله لم يبق منها ما يظاهر (5)

(1) الضمين: الكفيل.
(2) الأريكة: سرير الملك. والحادث حوم، أي تطوف بنا وتحلق حوالينا، وأصله من تحويم الطائر حول الماء، أي دورانه به.
(3) تأسو: تشفى وتداوى.
(4) تقليم الأظافر: كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد في الحياة.
(5) الأسمال: الثياب البالية الخلقة؛ ويقال «ظاهر الرجل بين ثوبين»، إذا طابق بينهما ولاءم. يريد أن الثوب الذي يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد.

هو لا يريد فراقها خوف القوارس والهواجر (1)
لكهنا قد فارقته فراق معذورٍ وعاذر (2)
إني أعد ضلوعه من تحتها والليل عاكر (3)
أبصرت هيكل عظمه فذكرت سكان المقابر
فكأنما هو ميت أحياه عيسى بعد عاذر (4)
قد كان يهدمه النسيم وكاد تدوره الأعاصر
وتراه من فرط الهزال تكاد تثقبه المواطر
عجباً أيفرسه الطوى في قلب حاضرة الحواضر (6)
وتغوله البؤسى وطرف (رعاية الأطفال) ساهر !(7)
كم مثله تحت الدجى أسوان بادي الضر طائر (8)
خزيان، يخزن في الظلام خروج خفاش المغاور (9)

(1) القوارس: شدائد البرد. والهواجر: شدائد الحر.

(2) يريد بقوله: (فراق معذور) إلخ. أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد، فهي معذورة لفراقها أياه، وهو نابل عذرها.

(3) عاكر: مختلط الظلام.

(4) عازر: اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت. شبه البئس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بعدما ظهرت في عازر.

(5) تذروه: تفرق أجزاءه، وتطير أشلاءه. والأعاصر: رياح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كانها عمود، الواحد إعصار.

(6) يفرسه: يقتله. والطوى: الجوع. ويريد "بحاضرة الحواضر": مصر.

(7) تغوله: تهلكه.(8) الأسوان: الحزين. وتريد بقوله "طائر" أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقي وما يتوقع من مصائب الزمن.

(9) شبه البائس في أنه لا يظهر بظلمة الييل إلا بالخفاش الذي لا يبصر بالنهار، وإنما يبصر ليلاً.

متلفعاً جلبابه مترقباً معرف عابر
يقذي برؤيته فلا تلوي عليه عين ناظر (1)

ومنها:

قعدت شعوب الشرق عن كسب المحامد والمفاخر
فونت وفي شرع التنا حر من ونى ولا شك خاسر (2)
تمشي الشعوب لقصدها قدماً وشعل النيل آخر (3)
كم في الكنانة من فت ندب وكم في الشأم قادر (4)
لكنهم لم يرزقوا راياً ولم يردوا المخاطر
هذا يطير مع الخيا ل وذاك يرتجل النوادر (5)
جهلوا الحياة وما الحيا ة لغير كداح مغامر
يجتاز أجواز القفا ر ويمتطي متن الزواخر (6)
لا يستشير سوى العزيـ ـمة في الموارد والمصادر (7)
يرمي وراء الباقيا ت بنفسه ومى المقامر

(1) يقول : إن هذا العابر إذا مر بهذا المسكين ساءه ما يراه بادياً عليه من بؤس وفاقة، فيغض بصره عنه كأنما قد في عينه القذى، وهو ما يقع فيها من غمض أو رمص.

(2) يريد "بالتناحر": شدة التغالب في الحياة إلى أن ينحر الناس بعضهم بعضاً.

(3) مشي قدماً، أي متقدماً.

(4) الندب من الرجال: الماضي الخفيف في طلب الحاجة والسريع إلى الفضائل.

(5) ارتجل النادرة ونحوها: قالها من غير ترو. ويري بالنوادر: تلك النكب التي يتطرف بها الناس في المجالس.

(6) يجتاب: يقطع. واجواز القفار: اسواطها الواحد جوز (بفتح الجيم). والزواخر: البحار.

(7) في الموارد والمصادر، أي في الحل والترحال.

ما هد عزم القادريـ ـن بمصر إلا قول: (باكر)
كم ذا نخيل على غدٍ وغدٌ مصير اليوم صائر
خوت الديار فلا أخترا ع ولا اقتصاد ولا ذخائر
دع ما يجشمها الجمو د وما يجو من الجرائر (2)
في القاصتاد حياتنا وبقاؤنا رغم المكابر (3)
تربو به فينا المصـ انع والمزارع والمتاجر (4)
سل (حشمتاً) عن فهـ ذا (حشمت) في الجمع حاضر (5)
أحيا الصناعة والتجا رة مثلما أحيا الضمائر

مطران:

عجباً تعرفني به وأنا بهمته أفاخر!
لي فيه مالك فيه من أمل على الأيام كابر (6)
أنسيت (موجز الاقتصا د) وفضله أم أنت ذاكر (7)
أو لم يكن هذا الوزيـ ـر بذلك التعريب آمر
أنسيت ما عانيته واللفظ مستعص ونافر (8)

(1) خوت الديار: خلت.
(2) يجشمها: يكلفها. والجرائر: الجنايات، الواحدة جريرة.
(3) المكابر: المغالب والمعاند.
(4) تربو: تزيد وتنمو.
(5) يريد المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف.
(7) موجز الاقتصاد: كتاب في الاقتصاد نقله عن الفرنسية إلى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف.
(8) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره.

حافظ:

لم أنس ما سالت به   من خاطري تلك المقاطر

مطران:

لم أنس إدلال الكلا   م وذلتي بين المحابر (1)

حافظ:

لم أنس نحتي لاصطلا   حٍ دونه تحت المحاجر

مطران:

لم أنس تشذيب الفضو   ل ومقرض التثقيف دائر (2)

دعوة إلى الإحسان

(**نشرت في عام** 1915)

أجاد (مطران) كعادته   وهكذا يؤثر عن (قس) (4)

فإن أقف من بعده منشداً   فإنما من طرسه طرسي (5)

(1) يريد "بإدلال الكلام": تكبيره واستعصاءه وقلة مواتاته

(2) تشذيب الفضول، أي تقطيع الزوائد من الكلام وتنحيتها، واصله من تشذيب الشجر، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة. والتثقيف: التقويم والإصلاح.

(3) دعا سليم أفندي سركيس صاحب مجلة (سركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لمعونة أحمد أفندي أبي العدل وأسرة محمود حبيب، وكانا من أشهر الممثلين المصريين، فقعدت بالأول الشيخوخة واغتالت المنية الثاني. وفي مساء 12 أكتوبر 1915 م أقيمت حفلة تمثيلية في تياترو بريتانيا لهذا الغرض، كان للشعراء فيها مجال؛ وقد أعد خليل بك مطران قصيدة في هذا الغرض، إلا أن المرض حال بينه وبين غنشادها، فتولى ذلك عنه حافظ. مطلعها:

الضاحك اللعب بالأمس... بات صريعاً فاقد الأنس.

(4) يريد قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب في الجاهلية، ويضرب به المثل في الفصاحة والسن.

(5) من طرسه طرسي، أي أن شعره مستمد منه. والطرس: الصحيفة.

وإن رأيتم في يدي زهرة ... فإنها من ذلك الغرس
رثى (حبيباً) رثى بعده ... لذلك الموفى على الرمس (1)
كانا إذا ما ظهرا منبراً ... حلا من السامع في النفس (2)
فأصبحا هذا طواه الردى ... وذاك نهب من يد البؤس
لولا سليم لم يقل قائل ... ولم يجد من جاد بالأمس (3)
لله ما أشجعه أنه ... ذو مرة فينا وذو بأس (4)
يقوم في مشروعه نافذاً ... كأنه (عنترة العبسي) (5)
تلقاه في الجد كما تبتغي ... وتارة تلقاه في الهلس
(سركيس) إن راقك ما قلته ... في معرض الهزل فقل (مرسي)
أقسم بالله وآلائه ... يعرشه باللوح بالكرسي
بالخنس الكنس في سبحها ... بالبدر في مرآة بالشمس (6)
بأن هذا عمل صالح ... قام به هذا الفتى القدسي (7)
وذكرنا والمرء من نفسه ... وعيشه في شاغل ينسي

(1) يريد "بحبيب": المرحوم محمود حبيب. والمتوفى على الرمس: المشرف على القبر، يريد به أحمد أفندي أبي العدل.

(2) ظهر المنبر ونحوه: علاه.

(3) يريد "بسليم": سليم سركيس. ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل.

(4) المرة: القوة والعزيمة.

(5) استعمال "المشروع" بمعنى الغرض الذي يبدأ في تحقيقه استعمال شائع في كلام أهل العصر.

(6) الخنس والكنس: الكواكب.

(7) القدسي: نسبة إلى بيت المقدس. يشير إلى مولده.

بالواجب الأقدس في حق من ... باعته مصر بيعة الوكس (1)
هذا أبو العدل فمن خاله ... حياً فما خال سوى العكس
كانت له في حلقه ثروة ... من نبرة تشجي ومن جرس (2)
فغالها الدهر كما غاله ... حتى غدا كالطلل الدرس (3)
فاكتسبوا الأجر ولا تبتغوا ... شراءه بالثمن البخس
إني أرى التمثيل في غمرة ... غامرة تدعو إلى اليأس
لم يرمه في شرخه ما رمى ... لو كان مبنياً على أس (5)
أكلما خفت به صحوة ... من دائه عوجل بالنكس
إن تغفلوا دارس آثاره ... عفى عليها الدهر بالطمس
أعجزها النطق فجاءت بنا ... ننوب عن ألسنها الخرس

العدو والصديق

ترجمة عن فولتير

(نشر هذا البيت في 15 يناير 1916 م)

لا أبالي أذى العدو فحطني ... أنت يا رب من ولاء الصديق

(1) الوكس: النقصان والخسارة.

(2) الجرس: الصوت الخفي.

(3) ما بقي من آثار الديار. والدرس، أي الدارس الليالي.

(4) غمرة غامر: أي شدة عامة شاملة.

(5) في شرخه، أي في ريعانه وأول نهوضه.

جمعية الاتحاد السوري

أنشدها في حفل خيري أقامته هذه الجماعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر ليلة الثلاثاء 15 يناير 1916 م

أيها الوسمي زر نبت الربا واسبق الفجر في روض الزهر(1)
حيه وانثر على أكمامه من نطاف الماء أشباه الدرر(2)
أيها الزهر أفق من سنة واصطبح من خمرة لم تعتصر (3)
من رحيق أمه غازية ساقها تحت الدجى روح السحر (4)
وانفح الروض بنشر طيب عله يوقظ سكان الشجر (5)
إن بي شوقاً إلى ذي غنة يؤنس النفس وقد نام السمر (6)
إيه يا طير ألا من مسعد؟ إنني قد شفني طول السهر (7)
قم وصفق واستحر واسجع ونح وارو عن إسحاق مأثور الخبر (8)
ظهر الفجر وقد عودتني أن تغنيني إذا الفجر ظهر

(1) الوسمي: المطر أول الربيع.

(2) الأكمام: أغطية الزهر. والنطاف: القطرات الصافية من الماء.

(3) السنة : النوم. والاصطباح: الشرب في الصباح.

(4) الرحيق: الخمر. والغادية: السحابة تنشأ غدوة. والروح: الريح. جعل ماء المطر للزهر كالخمر.

(5) النشر: الرائحة الطيبة. وسكان الشجر: الطير.

(6) السمر: السمار.

(7) المسعد: المعين. وشفه السهر: هزله وأضناه.

(8) تصفيق الطير: خفقه بأجنحته. واستحر، أي غن سحراً. وسجع الطير: تغريده. ويريد بإسحاق: إسحاق ابراهيم الموصلي المغني العباسي المعروف. يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناءه.

غني كم لك عندي من يد   سرت الأشجان عنى والفكر (1)
اخرق السمع سوى من نبأ   خرق السمع فأدمى فوقر (2)
كل يوم نبأة تطرقنا   بعجيب من أعاجيب العبر
أمم تفنى وأركان تهي   وعروش تتهاوى وسرر (3)
وجيوش بجيوش تلتقي   كسيول دفقت في منحدر (4)
ورجال تتبارى للردى   لا تبالي غاب عنها أم حضر
من رآها في وغاها خالها   صبية خفت إلى لعب الأكر (6)
وحروب طاحنات كلما   أطفئت شب لظاها واستعر
ضجت الأفلاك من اهوالها   واستعاذ الشمس منها والقمر
في الثرى، في الجو، في شم الذرا   في عباب البحر، في مجرى النهر (7)
أسرفت في الخلق حتى أوشكوا   أن يبيدوا قبل ميعاد البشر
فاصمدوا ثم احمدوا الله على   نعمة الأمن وطيب المستقر (9)

(1) سرت الأشجان: كشفتها وخففت آلامها.

(2) يريد بالنبأ: نبأ الحرب العظمى. يقول. اسمعني أيها الطائر من أنبائك (أي غنائك) ما يلذ به سمعي، ولا تسمعني أنباء الحرب التي تصم الآذان وتدمي القلوب.

(3) تهي: تنحل وتسقط. وتتهاوى: يسقط بعضها إثر بعض.

(4) دفقت: انصبت بشدة.

(5) الردى: الهلاك.

(6) الوغى: الحرب، لما فيها من الصوت والجلبة. والأكر: جمع أكرة، وهي لغة في الكرة.

(7) في شم الذرا، أي في أعالي المرتفعات.

(8) يبيدوا : يهلكوا. وميعاد البشر: يوم يفنى الناس جميعاً.

(9) الصمد: القصد. ويستعمل في عصرنا بمعنى الصبر.

نعمة الأمن وما أدراك ما		نعمة الأمن إذا الخطب اكفهر (1)
واشكروا سلطان مصر واشكروا		صاحب الدولة محمود الأثر (2)
نحن في عيش تمنى دونه		أمم في الغرب أشقاها القدر
تتمني هجعة في غبطة		لم تساورها الليالي بالكدر (3)
إن في الأزهر قوماً نالهم		من لظى نيرانها بعض الشرر
أصبحوا – لا قدر الله لنا –		في عناء وشقاء وضجر
نزلاء بيننا إن يرهقوا		أو يضاموا إنها إحدى الكبر (4)
فأعينوهم فهم إخوانكم		مسهم ضر ونابتهم غير (5)
أقرضوا الله يضاعف أجركم		إن خير الأجر أجر مدخر (6)

(1) اكفهر: تجهم وعبس

(2) صاحب الدولة: رئيس الوزراء، كان إذ ذاك حسين رشدي باشا.

(3) الهجعة: النومة.

(4) يرهقوا، أي يعانوا من شظف العيش ما لا يطيقون.

(5) غير الزمان: أحداثه وتقلباته.

(6) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف، لأن الله المتولى رده والجزاء عليه.

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدي المغفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحيتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية. وقد قالها على لسان صنيعة من صنائع الجمعية كان يتيما بائسا فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلما.

(نشرت في 28 مارس 1916)

قضيت عهد حداثتي ما بين ذل واغتراب
لم يغن عني بين مشـ ـرقها ومغربها اضطراب (1)
صفرت يدي فجوى لها رأسي وجوفي والوطاب (2)
وأنا ابن عشر ليس في طوقي مكافحة الصعاب (3)
لم يبق من أهلي سوى ذكر تناساه الصحاب
أمشي يرنحني الأسى والبؤس ترنيح الشراب (4)
فلكم ظللت على طوى يومي وبت على تباب(5)
والجوع فراس له ظفر يصول به وناب (6)
فكأنه في مهجتي نصل تغلغل للنصاب (7)

(1) الاضطراب في الأرض: التردد فيها جيئة وذهابا.

(2) صفرت يدي: فرغت. وخوى: خلا. ويريد بالوطاب وعاء الزاد، والأصل فيه: سقاء اللبن.

(3) الطوق: الجهد.

(4) يرنحني، أي يمليني يمنة ويسرة. والأسى: الحزن.

(5) الطوى: الجوع. والتباب: الخسران.

(6) فراس: شديد الافتراس.

(7) تغلغل النصل في الشيء: دخل فيه ونفذ إلى جوفه. ونصاب السيف والسكين نحوهما: المقبض.

ولكم صحبت الأبيضيـ ـن فأبليا برد الشباب (1)
فإذا ظفرت بكسرة فإدامها مني لعاب (2)
وعلى طمر لو هفت ريح الشمال به لذاب (3)
فحروفه ومصائبي في العد يخطئها الحساب
ما زلت أوسع محنتي صبراً واحتمل العذاب (4)
حتى إذا تنفس صبح إقـ ـبالي ونجم النحس غاب (5)
ولكل سيف مصلت لحواث الدنيا قراب (6)
والعيش في إقباله شهد وفي الإدبار صاب (7)
فتلقفتني فتية رحب الشمائل والجناب (8)
مهدوا لأنفهسم بما صنعوه زلفى واحتساب (9)

(1) الأبيضان: الماء والخبز، قال الشاعر:

الأبيضان براد عظامي... الماء والفت بلا إدام

(2) الإدام: ما يؤدم به في الطعام.

(3) الطمر: الثوب البالي من غير الصوف. وهفت الريح بالثوب ونحوه: حركت وذهبت به.

(4) المحنة: ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب.

(5) تنفس الصبح: أضاء وأشرق؛ وهو استعمال مجازي.

(6) المصلت من السيوف: المجرد من غمده. وتراب السيف: حرابه. يريد أن كل شدة إلى انتهاء وكل عسر إلى يسر.

(7) الشهد: عسل النحل. والصاب: عصارة شجر شديد المرارة، يريد أن العيش حلو في إقباله، شديد المرارة في إدباره.

(8) يريد بالفنية: رجال الجمعية الخيرية الإسلامية

(9) مهدوا لأنفسهم، أي كسبوا لها خيراً. والزلفى: القربى. والاحتساب، هو أن تقدم عملاً صالحاً تحتسبه عند الله، أي تدخره ولا تبغي عليه جزاء من الناس. ويلاحظ أن الوقف هنا بسكون الباء في آخر البيت على غير الأنصح، وقد دعت إليه الضرورة.

وعدوا إلى الحسنى كما   تعدو المطهمة العراب
كم أسرة ضاق الرجا   ء بها وأعياها الطلاب
دقوا عليها بابها   والليل مسدول النقاب (2)
وتعاهدوها مثلما   يتعاهد النبت السحاب (3)
ودمال صنع البرْ   لا يستشف له حجاب
فتحوا المدراس حسبة   وتنظروا حسن المآب (4)
فيها تبينت الهدى   وقرأت (فاتحة الكتاب)
وبها صدقت عن الضلا   له واهتديت إلى الصواب (5)
وغدوت إنساناً تجمله الفضائل   لا الثياب
متبصراً ذا فطنة   تنفي القشور عن اللباب
(جمعية خيرية)   قامت لتخفيف المصاب
قد كان فيها (عبده)   غوثاً يلبي من أهاب (6)

(1) عدوا: أسرعوا. والمطهم منم الخيل: الذي تم حسنه وبرع في الجمال. والخيل العراب: الكرائم السالمة من الهجنة.

(2) يريد بقوله: مسدول النقاب: وصف الليل بشدة الظلام. ويصف رجال الجمعية بأنهم يبذلون المعروف في خفية وتبكتم، وذلك أفضل الإحسان.

(3) تعاهدوها: تفقدوها بالبذل والمعونة.

(4) تنظروا: انتظروا وارتقبوا.

(5) صدف عن الضلالة: أعرض عنها.

(6) يريد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

انظر التعريف به في الحاشية رقم 3 من صفحة 4 من هذا الجزء. وكان أقوى مؤسسي الجمعية الخيرية وأعظم الداعين إلى إنشائها. وأهاب: دعا.

لم يعد مسماحاً إلى ... إنعاشها إلا أجاب (1)

ما غاب عنها مرة ... حتى تغيب في التراب

ولعاصم أثر بها ... باق وذكر مستطاب (2)

قد كان يحميها كما ... تحمي بجاثمها العقاب (3)

ثبتت وأورث أهله ... حب التقلب طبع يعاب

داء التواكل وهو في ال ... عمران داعية الخراب

ثبتت لأن لها إلى ... أعتاب مولانا انتساب (5)

لولا (حسين) لم تم ... إلا كما دام الحباب (6)

الله أدركها به ... بحراً موارده عذاب

يا واهب الآلاف كم ... طوقت بالمنن الرقاب

لك ساحة علوية ... ما امها أمل وخاب (7)

مهدت للأخيار ميـ ... ـدان السباق إلى الثواب

لازلت في القطرين محـ ... ـروس الأريكة والركاب

(1) المسماح: الكثير السماح.

(2) يريد بعاصم: المرحوم حسين عاصم باشا.

(3) مجاثم العقاب: مواضعها التي تنزل بها، الواحد مجثم؛ يقال: جثم الطائر، إذا لزم مكانه فلم يبرح؛ أو تلبد بالأرض. والعقاب: طائر من الجوارح، والعرب تسميه الكاسر.

(4) الخلاب: الخداع.

(5) يريد بقوله: مولانا السلطان حسين كامل؛ وكان رئيساً لها أيام كان أميراً. والوقف على قوله: "انتساب" بسكون الباء لضرورة القافية جرياً على غير الفصيح، وهي لغة وبيعة، فإنهم يقفون على النون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقاً، أي سواء أكان منصوباً كما في هذا اللفظ، أم مرفوعاً أم مجروراً.

(6) الحباب: فقاقيع الماء التي تعلوه.

(7) علوية: نسبة إلى المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا جد الأسرة المالكة.

جمعية إعانة العميان

قالها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث بالأوبرا

في 19 ديسمبر سنة 1916 م ونشرت في اليوم التالي

إن يوم احتفالكم زاد حسناً وجلالاً بيوم عيد الجلوس
فاقتران اليومين رمزاً إلى اليمـ ـن وبشرى تسرهن الحبوس
فكأني أشيم عاطفة البـ ـر عياناً تجول بين الجلوس (4)
وأرى في الوجوه سيما ارتياح وابتهاج لسعي تلك العروس (5)
إن حق الضرير عند ذوي الأبـ ـصار حق مستوجب التقديس
لم يضره فقدانه نور عينيـ ـه إذا اعتاض عنهما بأنيس
آنسوا نفسه إذا أظلم العيـ ـش بعلم فالعلم أنس النفوس
وجهوه إلى الفلاح يفدكم فوق ما يستفيده من دروس
اكملوا نقصه يكن عبقرياً مثل (طه) مبرزاً في الطروس (6)

(1) القطران: مصر والسودان. والأريكة: سرير الملك.

(2) يريد عيد جلوس المغفور له السلطان حسين كامل.

(3) يريد برهن الحبوس: أن هذا المكفوف رهين حبس بصره، وحبس بيته، وكان أبو العلاء المعري يلقب برهين المحبسين.

(4) أشيم: أرى وانظر.

(5) يريد بالعروس: عاطفة البر السابق ذكرها.

(6) يريد بطه: الدكتور طه حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن. والطروس: جمع طرس، وهو الصحيفة يكتب فيها.

كم رأينا من أكمه لا يجاري وضرير يرجى ليوم عبوس
لم تقف آفة العيون حجازاً بين وثباته وبين الشموس
عدم الحس قائداً فحداه هدى وجدانه إلى المحسوس
مثل هذا إذا تعلم أغنى عن كثير وجاءنا بالنفيس
ذاك أن الذكاء والحفظ حلا فى جوار النهى بتلك الرؤوس
فعلى أكمة وبصير شكر أعضائكم وشكر الرئيس

ملجأ الحرية

(نشرت في 19 مايو سنة 1919 م)

أيها الطفل لك البشرى فقد قدر الله لنا أن ننشرا (1)
قدر الله حياة حرة وأبى سبحانه أن تقبرا
لا تخف جوعاً ولا عرياً ولا تبك عيناك إذا خطب أمر عرا (2)
لك عند البر في ملجئه حيث تأوى خاطر لن يكسرا (3)
حيث تلقى فيه حدبا وترى بين أترابك عيشاً أنضرا (4)

(1) ننشر: نحيا ونبعث. جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفاله شأنه كالموت؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثاً.

(2) عرا: ألم ونزول.

(3) يستعمل كسر الخاطر في إخجال السائل ورده بغير ما كان يؤمل، وهو استعمال شائع في كلام عصرنا.

(4) الحدب (بالتحريك وسكن الشعر) : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم جماعة العاطفين. وأترابك: نظراؤك، الواحد ترب (بالكسر).

لا تئ ظناً بمثرينا فقد ... تاب عن يثامه واستغفرا
كان بالأمس وأقصى همه ... إن أبى عارفة أن يظهرا (1)
فغدا اليوم يواسي شعبه ... وهو لا يرغب في أن يشكرا
نمت عاطفة البر به ... محنة عمت ومقدار جرى (1)
جمعتنا في صعيد واحد ... وأرادتنا على أن نقهرا (2)
فتعاهدنا على دفع الأذى ... بركوب الحزم حتى نظفرا
تواصينا بصبر بيننا ... فغدونا قوة لا تزدرى (4)
أنشرت في مصر شعباً صالحاً ... كان قبل اليوم منفك العرا (5)
كم محب هائم في حبها ... ذاد عن أجفانه سرح الكرى (6)
وشباب وكهول أقسموا ... أن يشيدوا مجدها فوق الذرا (7)
يا رجال الجد هذا وقته ... آن أن يعمل كل ما يرى
ملجأ أو مصرفاً أو مصنعاً ... أو نقابات لزراع القرى
أنا لا أعذر منكم من ونى ... وهو ذو مقدرة أو قصرا

(1) العارفة: العطية والمعروف.

(2) المحنة: ما يمتحن به الإنسان من بلية. والمقدار: القدر (بفتح القاف والدال). ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك.

(3) الضمير في جمعتنا للمحنة. ويقال: أراده على الأمر، وذلك إذا حمله عليه.

(4) لا تزدري: لا تحتقر

(5) الضمير في حبها لمصر. وذاد: منع ودفع. الكرى: النوم.

(7) الذرا: جمع ذروة، وهي المكان المرتفع.

(8) ونى: أبطأ.

فابدءوا بالملجأ الحر الذي جئت للأيدي له مستمطرا
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا أن كل الصيد في جوف القرا (1)
أيها المثري ألا تكفل من بات محروماً يتيماً معسراً
أنت ما يدريك لو انبته ربما أطلعت بدراً نيراً
ربما اطلعت (سعداً) آخرا يحكم القول ويرقى المنبرا (2)
ربما اطلعت منع (عبده) من حمى الدين وزان (الأزهرا) (3)
ربما اطلعت منه شاعرا مثل (شوقي) نابهاً بين الورى
ربما اطلعت منه فارساً يدخل الغيل على أسد الشرى (4)
كم طوى البؤس نفوساً لورعت منبتاً خصباً لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى (5)

(1) كفله يكفله (من باب نصر): قام بأمره. وألقرا: الحمار الوحشي وكل الصيد في جوف الفرا: مثل؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنبا، والآخر ظبياً، والثالث حماراً فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا على صاحب الحمار. فقال لهما : كل الصيد في جوف الفرا أي أن هذا الذي رزقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس ما يصيده الناس أعظم من الحمار. ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة.

(2) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيسا للوفد المصري إذ ذاك.

(3) يريد بعبده: الأستاذ الإمام محمد عبده (انظر التعريف به في الحاشية رقم 3 من صفحة 4 من هذا الجزء).

(4) الغيل (بالكسر ويفتح): الشجر الكثير الملتف، وتأوى إليه الأسود. والثرى: ماسدة جانب الفرات يضرب بآسادها المثل.

(5) العدم: الفقر.

جمعية الطفل

أنشدها في الحفل الذي اقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو 1928 م

ايها الطفل لا تخف عنت الدهـ ـر ولا تخش عاديات الليالي (1)
قيض الله للضعيف نفوساً تعشق البر من ذوات الحجال (2)
أي ذوات الحجال عشتن للبر ودمتن قدوة للرجال
لم يكونوا ليدركوا المجد لولا كن أو يسلكوا سبيل المعالي
بسمة تجعل الجبان شجاعاً وتعيد البخيل أكرم نال (3)
وعظام الرجال من كل جنس في رضاكن أرخصوا كل غالي
راعني من نفوسكن جمال يتجلى في هالة من جلال (4)
وجمال النفوس والشعر والأخـ ـلاق عندي أسمى مجالي الجمال (5)
فمن علمننا المروءة والعطـ ـف على البائسين والسؤال

(1) العنت: المشقة.
(2) قيض : أتاح. وذوات الحجال: النساء. والحجال: جمع حجلة، وهي موضع يزين للعروس. ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات.
(النال): الجواد الكريم.
(4) الهالة: دارة القمر
(5) مجالي الجمال، أي مظاهره وما يبدو منه.

فمن علمننا على الطفـ ـل شريداً فريسة المغتال
قد أجبنا نداءكن وجئنا نسأل القادرين بعض النوال
لو ملكنا غير المقال لجدنا إن جهد المقل حسن المقال (1)
انقذوا الطفل إن في شقوة الطفـ ـل شقاء لنا على حال
إن يعش بائساً ولم يطوه البؤ س يعش نكبة على الأجيال (2)
رب بؤس يخبث النفس حتى يطرح المرء في مهاوي الضلال
أنقذوه فربما كان فيه مصلح أو مغامر لا يبالي (3)
ربما كان تحت طمريه عزم ذو مضاء يدك شم الجبال (4)
رب سر قد حل جسم صغير وقعا وتابى على شديد المحال
فخفاف الأفيال أرفق وقعاً لو تبينت من دبيب النمال (6)
شاع بؤس الأطفال والبؤس داء لو أتيح الطبيب – غير عضال (7)
أيدوا كل مجمع قام للبـ ـر تجاه يظله أو بمال
كم يتيم كادت البأ ساء لولا (رعاية الأطفال)

(1) المقل: الفقير القليل امال
(2) يطويه : يغيبه ويذهب به
(3) المغامر: المقاتل الذي لا يبالي الموت
(4) الطمر: الثوب الخلق. وشم الجبال : المرتفعة منها، الواحد أشم.
(5) سر، أي موهبة خفية ونبوغ كامن. وتأبى: امتنع. والمحال: القدرة والقوة.
(6) يريد بهذا البيت أن النملة على ضآلتها فيها من السر ما ليس للفيل على ضخامته.
(7) داء عضال: شديد غالب معي.

ورجال الإسعاف أنبل – لولا شهوة الحرب – من رجال القتال(1)
يسهرون الدجى لتخفيف ويل أو بلاء مصوب أو نكال (2)
كم جريح لولاهم مات نزفاً في يد الجهل أو يد الإهمال
كم صريع من صدمة أو صريع من سموم مخدر الأوصال (3)
كم حريق قد أحجم الناس فيه عن ضحايا تئن تحت التلال
يترامون في اللهيب سراعاً كترامي القطا في فم المرئ الموالي (5)
فاصنعوا البر منعمين وجودوا أيها القادرون قبل السؤال
لانتشار العلوم أو لانطواء الـ ـالبؤس والشر لترفيه حال

كلية البنات الأمريكية

قالها في الحفل الذي اقامته الكلية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

(نشرت في 26 مايو سنة 1928 م)

أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً قد شأوتم بالمعجزات الرجالا (6)
وفهمتم معنى الحياة فأرصد تم عليها لكل نقص كمالاً(7)

(1) يقول: لولا حاجتنا إلى الجند في الحروب التي لا غنى لنا عنها، لكان رجال الإسعاف أنبل منهم وأفضل.
(2) النكال: العذاب.
(3) يريد بالسموم: المخدرات. والأوصال: الأعضاء، الواحد وصل (بالكر والضم).
(4) القطا: جمع قطاة، وهي طائر في حجم الحمامة.
(5) المرء: ذو المروءة. والموالي: المناصر المعين.
(6) الدنيا الجديدة: أمريكا. وشأوتم: غلبتم
(7) أرصدتم، أي أعددتم.

وحرصتم على العقول فحرمـ ـتم عصيراً يراه قوم حلالاً (1)
وقدرتم دقيقة العمر حرصاً وسواكم لا يقدر الأجيالا
كم أحالوا على غد كل أمر ومحيل الأمور يبغي المحالاً
قد تحديتم المنية حتى هم أن يغلب البقاء الزوالا (2)
وطويتم فراسخ الأرض طياً ومشيتم على الهواء اختيالاً
ثم سخرتم الرياح فسستم حيث شئتم جنوبها والشمالا
تسرجون الهواء إن رمتم السيـ ـير وفي الأرض من يشد الرحالا (3)
واتخذتم موج الأثير بريداً حين خلتم أن البروق كسالى (4)
ثم حاولتم الكلام مع النجـ ـم فحملتم الشعاع مقالا
ومحا (فورد) آية المشي حتى شرع الناس ينبذون النعالا (5)
وانتزعتم من كل شبر بظهر الـ ـأرض أو بطنها المحجب مالا
وأقمتم في كل أرض صروحاً تنطح السحب شامخات طوالاً (6)

(1) يشير بهذا البيت إلى قانون تحريم الخمر الذي كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته.

(2) تحديتم المنية، أي نازعتموها والغلبة وعارضتموها. ويشير إلى ما في هذه البلاد من العناية الشئون الصحية والمستحدثات الطبية، والاهتداء إلى مداواة بعض الأمراض التي كانت قبل مستعصية العلاج.

(3) تسرجون الهواء، أي تعدونه وتهيئونه للركوب كما يسرج الفرس، أي يشد عليه سرجه ليركب. ويشير بذلك إلى الطائرات. ويريد بقوله "وفي الأرض" إلخ: إنه لا تزال في الأرض أمم متأخرة لم تتحول عن جمودها في الحياة، وتشد الرحال على ظهور الجمال كعهدها في العصور الأولى.

(4) يشير بهذا البيت إلى الآلات اللاسلكية.

(5) فورد: صاحب معامل كبيرة للسيارات في أمريكا. ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها في أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وقلة أثمانها ليستغنون بركوبها عن المشي ولبس النعال.

(6) الصروح: الأبنية العالية.

وغرستم للعلم روضاً أنيقاً فوق دنيا الورى يمد الظلالا
وحللتم بأرضنا فعرفنا كيف تنمون بيننا الأطفالا
وراينا البنات كيف يثقفـ ـن بعلم يزيدهن جمالا
ليت شعري متى أرى أرض مصر في حمى الله تنبت الأبطالا
وأرى أهلها يبارونكم عد لما ووثباً إلى العلا ونضالا
قد نفضنا عنا الكرى وابتدرنا فرص العيش وانتقلنا انتقالا (1)
وعلمنا بأن غفلة يومٍ تحرم المرء سعيه أحوالا
فشققنا إلى الحياة طريقاً واصبنا على الزحام مجالاً
ونهضنا في ظل عرش (فؤاد) ورفعنا لعهد تمثالا
قد اب الله ان نعيش على النا س – وإن ضاقت الوجوه – عيالا

الأزبكية

كم وارث غض الشباب رميته بغرام راقصة وحب هلوك(4)
ألبسته الثوبين في حاليهما تيه الغنى وذلة المفلوك (5)

(1) ابتدرنا فرص العيش: عالجناها وأسرعنا إليها. والكرى: النوم.
(3) الأحوال: السنون، الواحد حول.
(3) الوجوه: المذاهب.
(4) الهلوك: الفاجرة المتساقطة على الرجال.
(5) المفلوك: الفقير البائس، وهي تسمية فارسية. قال صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون): هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم، ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال: الرجل غير المحظوظ، المهمل في الناس لإملاقه وفقره.

نشيد الشبان المسلمين

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا وذودوا عن تراث المسلمينا(1)
فمن يعنوا لغير فينا ونحن بنو الغزاة الفاتحينا (2)
ملكنا الأمر فوق الأرض دهراً وخلدنا على الأيام ذكرى
أتى (عمر) فأنسى كذلك كان عهد الراشدنيا
حبينا السحب في عهد رشيد وبات الناس في عيش رغيد(3)
وطوقت العوارف كل جيد وكان شعارنا رفقاً ولينا (4)
سلوا بغداد والإسلام دين أكان لها على الدنيا قرين
رجال للحوادث لا وعلم أيد الفتح المبينا
فلسنا منهم والشرق عانى غذا لم نكفه عنت الزمان (5)
ونرفعه إلى أعلى مكان كما رفعوه أو نلقى المنونا

(1) ذودوا: ادفعوا.

(2) يعنو: يذل ويخضع.

(3) جبينا السحاب، يريد وسعة السلطان. ويشير بذلك إلى ما روى عن أحد خلفاء الإسلام حين رأى سحابة معناه: أمطري حيث شئت فإن ما تنبتيه سيجنى خراجه إلينا .

(4) العوارف: العطايا والواحدة عارفة. والجيد: العنق.

(5) العاني: الأسير المقيد وعنت الزمان: مشقته.

غلاء الأسعار

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ ... ـش ولم تحسنوا عليه القياما

عزت السلعة الذليلة حتى ... بات مسح الحذاء خطباً جساماً (1)

وغدا القوت في يد الناس كاليا ... قوت حتى نوى الفقير الصياما

يقطع اليوم طاوياً ولديه ... دون ريح القتار ريح الخزامي (2)

ويخال الرغيف في البعد بدراً ... ويظن اللحوم صيداً حراماً

إن أصاب الرغيف من بعد كد ... صاح: من لي بأن أصيب الإداما؟

أيها المصلحون أصلحتم الأر ... ض وبتم عن النفوس نياما

أصلحوا أنفساً أضر بها الفقـ ... ـر وأحيا بموتها الآثاما

ليس في طوقها الرحيل ولا الجـ ... ـد ولا أن تواصل الإقداما

تؤثر الموت في ربا النيل جوعاً ... وترى العار أن تعاف المقاما (4)

ورجال الشام في كره الأر ... ض يبارون في المسير الغماما (5)

ركبوا البحر، جتوزوا القطب، فأتوا ... موقع النيرين خاضوا الظلاما

(1) السلعة: المتاع المتجر فيه. والخطب الجسام: العظيم.

(2) طاويا: جائعا. والقتار (بالضم): ريح الشواء. والخزامي: نوع من الرياحين، وزهرة من أطيب الأزهار نفحة. يقول: إن ريح ذاك الزهر أقل شانا عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الثاني دون الأول.

(3) الإدام: ما يؤدم به.

(4) الربا: مرتفعات الأرض، الواحدة ربوة. وتعاف: تكره.

(5) باراه: جاراه وفعل مثل فعله.

يمتطون الخطوب في طلب العيـ ـش ويبرون للنضال السهاما

وبنو مصر في حمى النيل صرعى يرقبون القضاء عاماً فعاما

ايها النيل كيف نسمي عطاشا في بلاد رويت فيها الأناما

يرد الواغل الغريب فيروي وبنوك الكرام تشكو الأواما(1)

إن لين الطباع أورثنا الذ ل وأغرى بنا الجناة الطعاما(2)

إن طيب المناخ جر علينا في سبيل الحياة ذاك الزحاما

أيها المصلحون رفقاً بقوم قيد الحجز شيخهم والغلاما

وأغيثوا من الغلاء نفوسا قد تمنت مع الغلاء الحماما

أوشكت تأكل الهبيد من الفقـ ـر وكانت تذود عنه النعاما (4)

فأعيدوا لنا المكوس فإنا قد رأينا المكوس أرخى زماما (5)

ضاق في مصر قسمنا فاعذرونا إن حسدنا على الجلاء الشآما (6)

قد شقينا – نحن كرمنا الله – بعصر يكرم الأنعاما

(1) الواغل: الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم دون أن يدعي. والأوام: شدة العطش.

(2) الطغام (بالفتح): أوغاد الناس واراذلهم.

(3) الحمام (بكسر الحاء): الموت

(4) الهبيد: حب الحنظل. وتذود: تدفع وتمنع. وخص النعام لأنها تأكل هذا الهبيد

(5) المكوس: ضرائب كانت تؤخذ على السلع الواردة لتباع في المدن، وكان يتغالى في فرضها. والزمام: ما تزم به الدابة، أي تقاد. ويريد بقوله: أرخى زماما: أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون.

(6) القسم (بالكسر): النصيب من الرزق. ويريد بالجلاء: انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق.

أضرحة الأولياء

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف ترزق الأموات
من لي بحظ النائمين بحفرة ... قامت على أحجارها الصلوات
يعسى الأنام لها، ويجري حولها ... نحو النذور، وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى ... ووسيلة تقضى بها الحاجات

وقال على لسان طفلة:

أخشى مربيتي إذا ... طلع النهار وأفزع
وأظل بين صواحبي ... لعقابها أتوقع
لا الدمع يشفع لي ولا ... طول التضرع ينفع
وأخاف والدتي إذا ... جن الظلام وأفزع
وأبيت أرقب الجزا ... ء وأعيني لا تهجع
ما ضرن لو كنت أسـ ... ـتمع الكلام وأخضع
ما ضرني لو صنت أثـ ... ـوابي فلا تتقطع
وحفظت أوراقي بمحـ ... ـفظتي فلا تتوزع
فأعيش آمنة وأمـ ... ـرع في الهناء وأرتع

الجزء الأول

المحتـــــــــويات